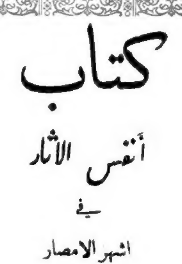


كتاب

أنفس الآثار

في

اشهر الامصار

**

مقتطف من رسائل كتبها العبد الفقير الى ربهِ

يوسف بن اليان سركيس الدمشقي

الى اخيهِ ميخائيل في بيروت

إثرَ رحلته من القسطنطينية الى رومية

عام ١٩٠٣

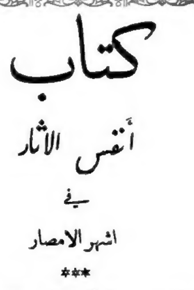
يباع في اشهر مكاتب مصر وسوريا

ويطلب ايضاً من مكتبة امين افندي الخوري في بيروت

وثمنهُ نصف ريال مجيدي

طبع في المطبعة الشرقية الحدث * « لبنان »

Sarkīs, Yūsuf Ilyān
// Kitāb anfas al-athār



***

مقتطف من رسائل كتبها العبد الفقير الى ربهِ

يوسف بن اليان سركيس الدمشقي

الى اخيهِ ميخائيل في بيروت

إثرَ رحلته من القسطنطينية الى رومية

عام ١٩٠٣

يباع في اشهر مكاتب مصر وسوريا

ويطلب ايضاً من مكتبة امين افندي الخوري في بيروت

وثمنهُ نصف ريال مجيدي

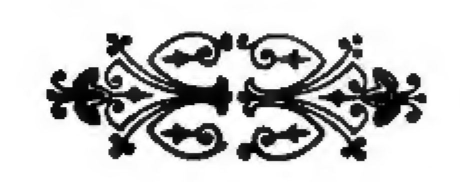
طبع في المطبعة الشرقية الحدث * « لبنان »

مقدمة

اخي العزيز

لا يخفى عليك ولعي الشديد منذ صباي بالتجول في البلاد · واستقراء احوال الامم في كل وقت واستيعاب اخبار العباد · ورغبتي في مشاهدة الامصار العظيمة · والبحث عن اثارها الحديثة والقديمة · وبينما كنت ارتقبُ الفرصة لتحقيق اماني واماليَّ · اذ يسَّر لي المولى الرحيل بمعية اخي موسى وبعض الاصدقاء الى رومية في ايام ارتقاء الحبر الاعظم الحالي · الى الكرسي الرسولي · فركبت البحر متكلاً على رب البحار واخترت سبيلاً يخوّلني الاجتياز بديار عامرة · مشهورة بالمآثر والابنية الفاخرة · فكلما دخلت مدينةً تفقدت معاهدها واحوالها · وزرتُ معابدها وقصورها ودور تحفها · وعنيت في استقراء ما تحويه من نفيس الاثار · والاستفهام عما جاَ عنها من نوادر الاخبار · الى ان وصلت الى رومية المدينة العظمى التي تحوي من اثار الفنون احسنها · ومن بدائع الصنائع افخرها واجملها · وشهدتُ فيها حوادث الاقتراع في جمعية الكرادلة · وحضرتُ حفلة التتويج البابوي التي يندر وقوع امثالها في سنين متطاولة

ولعلمي بانك تود الوقوف على جميع هذه الامور · عمدت الى تسطيرها يوماً فيوماً في رسائل انفذها اليك فتطالعها بقلب مسرور · وضمَّمتُ اليها فوائد عمومية وتاريخية · بعد ان صرفت العناء في اجتنائها من الموارد الاصلية · فاملي ان تتناولها بفرح وتغض الطرف عما وقع بها من الخلل والقصور · فالكمال لله وحده وعليه اتكالي في جميع الامور



القسم الاول

السفر من القسطنطينية الى ازمير وبيرة ونابولي ثمّ الى رومية

يوم الخميس في ٢٣ من تموز

«السفر ومنظر القسطنطينية»

السفر ومنظر القسطنطينية — كان سفري من القسطنطينية على الباخرة الفرنساوية «نيجر» من شركة «مسّاجري مريتيم» فاخذت الجواز الى نابولي بقيمة ١٤٠ فرنكاً في الدرجة الثانية · وودعت الاهل والاصدقاء وبما خفف عني ألم الفراق اشتياقي الى رؤية البلاد التي ازمعت الرحيل اليها

وقبل ان تقلع السفينة من المرفأ لاحت مني التفاتة الى المدينة التي انا فيها وقد عزمتُ على مبارحتها فاذا امامي منظر بديع حارت منه العقول ألا وهو منظر قاعدة سلطنة آل عثمان العظام التي زينتها الطبيعة بمواقع عجيبة ومحاسن غريبة · فان «بسفورها» المعروف بالبوغاز النادر المثال يفصل القارة الاوروبية عن القارة الاسيوية وخليجها المعروف بالقرن الذهبي تدخله المراكب والسفن الشراعية والبخارية الوفاً حاملة الاموال الوافرة من اطراف المعمور

فشاهدت اولاً في العدوة الاوروبية بقعة «غلطه» وعلى قمتها برجٌ شاهقٌ بناهُ الجنيويون يشرف على المدينة واطرافها الى مسافة ثلاث ساعات · وفيها الفنادق والخانات والقصور الشاهقة والمصارف الكبرى والحوانيت ما لا يحصى عدده وتمتدُّ الى ساحل البحر حيث الرصيف الذي بني حديثاً وعلى اطرافه الاندية يجتمع فيها الناس افواجاً للتلهي او لتشييع المسافرين

ثم نظرت الى جهة الخليج فاذا على يمينه و يساره سلسلة جبال مكللة رؤوسها بالجوامع البديعة والابنية الفاخرة منها في العدوة الجنوبية جوامع السليمانية والسليمية والفاتح ومنها دار المالية وبيت المشيخة الاسلامية ومدرسة «فنار» ذات القبة الحمراء وبجانبها دار البطريركية للروم الارثوذكس

والى شرقي جنوبي المدينة بقعة «سراي برنو» وهي اشبه برأس داخل في البحر وفيها الرياض والاشجار الباسقة تحيط بقصر الخزينة الهمايونية العامرة المعروف «باسكي سراي» اي القصر العتيق وكان مقرًّا للسلاطين العظام . وفي الزمان القديم نحو القرن السادس قبل المسيح حلّ في ذلك المكان قوم الميغاريين مع زعيمهم « بيزس » واسّسوا بزنطية وشادوا فيها قصورهم وجعلوا فيها اسواقهم ومساكنهم

وعلى رأس ذلك الجبل مما يلي القصر الهمايوني جوامع آيا صوفيا وسلطان احمد ونوري عثمانية وحولها المآذن التي تنطح بروقها السحاب وكنيسة آيا ايريني بناها قسطنطين الكبير وهي الان مستودع الاسلحة القديمة ثم دار الديون العمومية المشيدة حديثًا وتعدّ من اعظم البنايات واجملها هندسةً

ولما كانت الساعة الرابعة افرنجية مخرت بنا الباخرة فمررنا بجانب اسكدار على ضفة البوسفور في القارة الاسيوية فتأملنا بيوتها المرصوفة البنيان الصاعدة في الافق على نمط واحد وفيها مقبرة عظيمة تحف بها اشجار السرو والسنديان وفي اعلاها جبال اولمبس بغاباتها وغياضها . منها جبل « علم طاغ » الذي يحسب من اجمل المتنزهات في الدنيا في اعتدال هوائه وعذوبة مائه . ويلي اسكدار من جهة الجنوب « حيدر باشا » وهي من الضواحي التي توسعت اطرافها وزاد عمرانها بواسطة الخط الحديدي الذي انشئ فيها ويؤدي الى داخل برّ اناطول وسيمتد ان شاء الله الى بلاد الشام والعراق فيصبح من اهم الخطوط الحديدية في الدنيا ومنذ سنة بني في حيدر باشا مرفأ عظيم ورصيف جميل

وبينها وبين اسكدار الثكنة السليمية والمدرسة الطبية العسكرية التي صار افتتاحها في السنة الغابرة وتعد من اعظم مكاتب الشرق واجملها بناء وموقعًا

وبعد ان جزنا حيدر باشا شاهدنا « قاضي كوي » قرية القاضي المعروفة قديمًا بخلقيدونيا وهي مشهورة بمجمعها الخلقيدوني . وقد بنيت قبل بزنطية بنحو سبعين سنةً

ثم يتلوها « فناراكي » ومعناها المنارة الصغيرة وهي اشبه بجزيرة يحيطها البحر من كل جانب وفيها الاشجار الظليلة وموقعها جميل يروق للناظرين

وبازآء هذه الضواحي الاسيوية « استنبول » او « اصطنبول » وهو القسم العظيم من المدينة ونقطة مركز الاشغال ومحور التجارة وفيه كان موقع القسطنطينية القديمة

وكانت الريح تعصف اثنآء خروجنا من المرفأ حتى دخلنا بحر مرمرا فسكنت وهدأت الامواج وصرنا كأنَّا في بحيرةٍ وليس في بحرٍ

❋ يوم الجمعة في ٢٤ من تموز ❋

« من بحر مرمرا الى ازمير » — الوصول الى ازمير ·

من بحر مرمرا الى ازمير · -- قطعنا بحر مرمرا ودخلنا مضيق « دردانل» فمررنا اولاً « بغاليبولي » وهي مدينة صغيرة لها مرفأ طبيعي ترسو فيه البواخر وفيها اثار السور القديم الذي بناهُ الروميون وهي اول مدينة تملَّكها العثمانيون في القارة الاوروبية قبل فتحهم القسطنطينية ثم جزنا « جناق قلعه » المعروفة بالقلعة السلطانية وهناك الحصون والقلاع المنيعة من الجانبين

وبعد خروجنا من المضيق اقتربنا الى جزيرة « تندوس » واسمها الان « بقجه اطه سى » ولما وصلناها رأينا بعض المراكب الشراعية في ميناها وهذه الجزيرة مشهورة بتمدنها وغناها على عهد اليونانيين وقد ضربت فيها النقود الذهبية قبل التاريخ المسيحي بخمسمائة عام واليها تنسب قصة « لوكون » واولادهُ الذين افترستهم الافاعي وقد ذكرها ورجيل الشاعر اللاتيني وصُنع لتذكارها تمثالٌ بديع محفوظٌ في دار التحف الواتيكانية

وفي تلك الناحية قابلنا سفينةٌ من سفن الشركة الخديوية فسبقناها بمراحل ولعلَّها كانت من السفن التي لا تجري اكثر من تسعة اميالٍ في الساعة

ثم دخلنا خليج « ادراميت » وامامنا برّ اناطول وفيه بلاد عامرة كثيرة الخصب ولقد فرحتُ فرحاً لا مزيد عليه عند مشاهدتي البرّ وتأملتُ حينئذٍ مقدار سرعة تقلب قلب الانسان فاذا كان مقيماً في البر طلب السفر في البحر ومتى ركب البحر اشتاق الى اليابسة وقد جاء عن « بلاترخس » ان اجمل الاسفار البرية ما يكون على كتف البحار واشهى الاسفار البحرية ما يكون بالقرب من السواحل البرية

***

الوصول الى ازمير . — وصلنا الى ازمير عند الساعة الثانية ونصف افرنجية فيكون قد مضى من بدء السفر اثنتان وعشرون ساعة ونصف ساعة فنزلتُ بزورق وقصدت دير الرهبان الدومينيكانيين حيث اقام البادري منتي الايتالي خادم كنيسة « مقري كوي » في القسطنطينية سابقاً

ولما كان موعد السفر في اليوم التالي عرّجتُ على هذه المدينة نحو عشرين ساعة وعند وصولي الى الشاطئ ركبتُ الترامواي الذي تجرّه الخيل متوجهاً الى الدير المذكور من الطريق الشمالي في حيّ يقال له الرأس « لا بوانت » ومرفاء ازمير ورصيفه جميلان جدًا وطريقه عريضة ومفروشة بالحجارة البيضاء تشبه الرخام والمساكن المبنية على اطرافها متقنة للغاية ومنها يشاهد البحر كبحيرةٍ مستديرة الشكل وحولها القرى الصغيرة « برناباط » و « بنار باشي » و « كرديليو » وغيرها يسكنها بعض الازميريين في فصل الصيف بقصد النزهة و يذهبون اليها كل يومٍ بمراكب بخارية صغيرة

وما زال اسم المدينة كما كان في سالف الزمان « ازميرنيون » انما لم يبقَ اثرٌ من عظمتها القديمة كمدينة أفسس التي بجوارها ولا تبعد عنها اكثر من ستين كيلومترًا و بمناسبة ذكر أفسس نقول انها كانت كسائر البلاد اليونانية مهد الحكماء ومقرّ الفلاسفة وقد امتازت شهرتها بهيكلها البديع المكرس لديانا وكان يُعدّ من عجائب الدنيا السبع ثم تذكر فتشكر لموازرتها الحوار بين بانتشار الدين المسيحي فان الرسول بولس بشّر بها وسقّف تلميذهُ تيماوس عليها ـ وقال بعضهم ان مار يوحنا

الانجيلي هو الذي ساس كنيسة المسيح بأفسس في اول نشأتها ولهذا اسمها الان « ايا سلوق » محرَّفة عن « ايا ثيولوغس » اي القديس يوحنا الانجيلي

اما تجارة ازمير فهي عظيمة وغلالها وافرة اخصها التين والزبيب فيحملان الى الاقطار الاوروبية والاميركية ومن اغزرها واشهاها البطيخ الاصفر ولهُ رائحة مسكية يباع بابخس الاثمان

وينبت في ارضها الصبار والنخل وغيرها من الاشجار التي لا تنمو الا في البلاد الحارَّة فيستدل من ذلك على جودة تربتها واعتدال هوائها وقلة بردها في الشتاء

وقد انشأت شركتان اجنبيتان السكك الحديدية في ازمير الواحدة انكليزية واسمها « شركة ايدين » مدَّت خطاً من المدينة الى « ايدين » و« نظلي » و« دنزلي » وغيرها . والثانية فرنساوية واسمها « شركة قصبة » وخطها يمرّ « بمغنيزيا » و« الاشهر » و« قصبه » ويتصل « بقره حصار » و « عشاق » و« قونيه » و « اسكيشهر » ومنها الى القسطنطينية وبواسطة هذه السكك الحديدية تستجلب الحاصلات الكثيرة من تلك البلاد المخصبة كالافيون والبلوط والحبوب وشعر الماعز الابيض المعروف بالتفتيك او الموهر وتحمل الى بلاد المغرب ويأتيها ايضاً ربُّ السوس وينقل الى الولايات المتحدة وقد تألف في اميركا وانكلترة شركة لحصر التبغ وربّ السوس رأسمالها خمسة ملايين ليرة انكليزية

ومنذ بضع سنوات سارت ولاية ازمير المعروفة بولاية ايدين على قدم النجاح ونالت تجارتها قصب السبق في سبيل العمران وماذلك الاَّ في ظل الظليل الحميدي الانور ولحسن سياسة واليها صاحب الدولة كامل باشا ذي الفكر الثاقب والرأي الصائب . وبرهاناً على ذلك نقول ان الاموال والمحصولات التي تخرج منها بلغ قيمتها سنة ١٩٠٠ اربعة ملايين وسبعمائة الف ليرة عثمانية فزادت الى خمسة ملايين ليرة عام ١٩٠١ والى خمسة ملايين وثلثمائة الف ليرة في السنة التي تليها . ومعدَّل قيمة البضائع الواردة اليها من ثلاثة الى اربعة ملايين ليرة عثمانية في كل سنة .

وهذه جدول المحصولات التي تحمل الى الخارج على وجه التقريب

ليرة عثمانية		
٣٦٥٤٠٠	القمح	
٦٣٠١٠٠	الشعير	
٣٣٤٠٠٠	القطن	
١٦٣٢٠٠	التين	
٩٨٨٢٠٠	الزبيب	
٤٦٢٩٠٠	الافيون	
٢٨٠٠٠٠	السجاد	(وهو ينسج في عشاق)
٦٢١٠٠٠	البلوط	
١٤٠٠٠٠	رب السوس	
٦٠٨٠٠٠	الزيت	
٤١٧٢٠٠	حبوب مختلفة	
٥,٠٠٠,٠٠٠	المجموع	

ويزيد حركة تجارتها دخول المراكب والبواخر الكثيرة الى ميناها فانها تأتيها من جميع اطراف المعمور وترسو فيها اياماً لا بل شهوراً متوالية

ولا يشكو سكان ازمير من حرّها صيفاً لان النسيم يهب مساء وصباحاً فينعش الارواح والاجسام وفي فصل الصيف ينامون بعد الغداء نحو ساعتين ثم يذهبون الى اشغالهم وعند الغروب يتنزهون مع نسائهم على الرصيف ويجتمعون في الاندية لشرب المدام وتناول النقل (المازه) ثم بعد العشاء يرجعون الى معظم الملاهي والمراسح الكثيرة الموجودة على الرصيف حتى يخيَّل للغرباء ان ذلك النهار عيدٌ عند الازميريين مع ان عيدهم دائم على هذا النمط

واهالي ازمير يوصفون بلين الاخلاق واكرام الضيف ونساؤهم حسان يحببنَ رفاهية المعيشة وقلَّ ما تهتم المرأة الازميرية بشغل منزلها كما تعتني بزينتها وراحة نفسها

والسوق المشهور في ازمير يدعى الشارع الافرنجي وفيه المخازن المشحونة بالبضائع الافرنجية وهو اشبه بشارع « بك اوغلي » في القسطنطينية · وجميع طرقاتها نظيفة وشوارعها متناسقة وفيها الدور الجميلة والابنية الفاخرة

وبينما انا اتجول في المدينة زرت كنيسة القديس بوليكربس اللاتين ثم كنيسة القديسة فوتيني للروم الارثوذكس التي انشئ فيها حديثاً قبة جرس جميلة جداً ذات طبقات متعددة وكلها بالرخام الابيض المصقول · واما الكنيسة الكاندرائية للاتين فهي على اسم مار يوحنا الانجيلي وهي كبيرة حديثة البناء

وكرّمني البادري مُنتي وبتُّ تلك الليلة عنده وفي الغد ودعته شاكراً افضاله وركبت الترامواي قاصداً الميناء ونزلت الى الباخرة · ولما مخرت السفينة بالبحر نحو الساعة الثانية بعد الظهر وباسم الله مجراها كانت الريح لطيفة · فمكثنا مدة طويلة نشاهد امامنا برّ ازمير ومستودعات الملح التي حولها وجبالها والجزائر التي تجاورها وبت ليلتي وانا في هاجسٍ من رؤية مدينة اثينا المشهورة التي نصلها عند السحر

يوم الاحد في ٢٦ من تموز

النزول الى بيره او بيرِفس — اكروبول اثينا ·
هيكل برتنون — هيكل اركتيون — اثينا — محفل اريوس باغس
اثينا الحديثة

النزول الى بيره او بيرِفس · — تألفنا نحو اثني عشر راكباً للنزول الى بيره التي وصلناها باكراً جداً ولمشاهدة « اكروبول » اثينا الذي هو انفس الآثار في تلك الديار · غير ان صدور الاوامر الصحية متأخراً الجأنا الى النزول الى البر نحو الساعة الثامنة والسفينة لا ترسو في مياه تلك المدينة اكثر من اربع او خمس ساعات

وقبل ان نطأ ارض البلاد اليونانية التي يهشّ لذكرها وجه المدنية ويهتزّ

طرباً لاسمها قلب الحكمة والفلسفة لِما لامتها من الفضل العظيم في تمدن الممالك الاوروبية وانتشار الفنون والمعارف سرّحنا الطرف في بيره وضاحيتها فاذا ارضها خالية من الاشجار والاعشاب والمدينة تمتد على ساحل البحر مسافة طويلة ومرفاؤها واسع جميل قديم البناء اشبه ببحيرة كانت ترسو فيه اساطيل اليونان في سالف الازمان . ولم تكتفِ هذه الامة العظيمة بعمل مرفأ واحد في هذه البلدة بل مهدت مرفأ ثانياً للمراكب التجارية منفصلاً عن الاول . اما ابنيتها فجميلة وشوارعها واسعة منتظمة وفيها كنائس تعلوها القباب الشاهقة وقيل لنا ان بيرة كانت منذ ثلاثين سنة بلدة صغيرة لا يزيد سكانها عن احد عشر الف نفس فزاد عددهم الآن الى خمسة وثلاثين الفاً . وقامت فيها المعامل وشمّر اهلها عن ساعد الجد في سبيل ترقي الصنائع ليعتاضوا منها عن قلة محصولاتها

وقد بني بها « بريكلس » المشهور سوراً عظيماً شاهقاً عفا رسمهُ وكان يجتمع فيها الشيوخ والفلاسفة كما كانوا يجتمعون في اثينا

وفي هذه المدينة خط السكة الحديدية المؤدي الى اثينا وهي لا تبعد عنها اكثر من ثمانية كيلومترات

فاسرعنا نحو الشاطئ، ومنه الى المحطة فركبنا القطار باجرة طفيفة ووراً ينا مأموري السكة ذا لطفٍ ودعةٍ . وبعد عشرين دقيقة وصلنا محطةً اسمها « تيزِه » فنزلنا من القطار واخذنا نصعد ربوةً بقمتها اثار هيكل للاصنام . واطردنا الصعود والشمس اذ ذاك ترسل اشعتها الحارّة التي يثير فيها على تلك الاراضي القاحلة الغبار الابيض فقال لي اخي : ماذا جئنا نصنع في هذه الصحراء هل اتينا لنرى حجارةً وصخوراً ام نستقبل باعيننا تراباً اما كان الاجدر بنا ان ننطلق الى مدينة اثينا ونتمتع بمشاهدة ابنيتها الفاخرة . فهلمّ بنا نذهب اليها فاعترضته بلطفٍ وقلت له : تمهل علينا ريثما نصل الى راس الجبل و بعد ذلك نتمم مرادك

وما انتهينا من هذا الكلام حتى وصلنا قمة تلك الربوة الشاهقة ويعرف ذلك الموضع باكروبول اثينا و يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ١٥٦ متراً ولاح لدينا الهيكل العظيم البديع الشكل المعروف باسم « برتنون » كان فيه قديماً تمثال « منرفا » ربة الحكمة المصنوع من الذهب والعاج

اكروبول اثينا ـ • اكروبول لفظة يونانية معناها المدينة العليا وكان الاقدمون يبنون فيها حصن البلد وهيكل اصنامهم و يودعونها كنوزهم وقراطيسهم وصحائفهم وما شاكلها • وقد اختار « البلاجيون » اول سكان الديار اليونانية الجبل القريب من اثينا واحاطوه بسورٍ متين وبنوا فيه حصوناً خرّبتها الفرس عند افتتاحهم اثينا • ثم قام « تمستكل » سنة ٥٣٣ ق • م • فاستأنف بناءها وانجزها « كيمون » او « سيمون » [١] وهو الذي له الشهرة العظيمة ببناء الهياكل والاروقة داخل السور ثم كملها اخيرًا « بريكلس » [٢] وزينها زينةً فاخرة

ولما كان مقصد اليونانيين هيكل برتنون لينصبوا فيه تمثال منرفا ربة الحكمة و باقي تماثيل الالهة مهدوا امامه طريقاً مرصوفة بالرخام واروقة او قناطر شاهقة مسقوفة تعرف باسم « بروبيله » (Propilées) وكانت جدرانها واعمدتها من الرخام يتخللها قاعات رحبة مبنية ايضاً بالرخام • واشتغل اليونانيون بهذه القناطر مدة خمس سنوات وانفقوا عليها مبلغاً عظيماً يوازي قيمته اثني عشر مليون فرنك اما الان فلا اثر لها سوى قواعد الاعمدة الضخمة و بعض جدرانها • و يليها عدة هياكل صغيرة تنتهي الى راس الجبل حيث قام هيكل برتنون وهو اعجب ما صنعه البشر احكاماً وصناعةً ونقشاً

***

هيكل برتنون • ـ كان يعرف هذا الهيكل باسم اثيناء العذراء او « اثينة بولياس » وهو على شكل يقرب من المربع طوله ٦٨ مترًا و ٩٠ سنتيمترًا بعرض ٣٠ مترًا و ٣٧ سنتيمترًا وعلوه نحو ١٨ مترًا • ويصعد اليه بثلاث درجات عريضة من

---

(١) كيمون كان قائد الجيوش في اثينا وامير الاسطول البحري ثم ولاه اليونانيون امرهم سنة ٤٧٠ ق • م • ولما ظهر بريكلس تغلب عليه ونفاه • ثم عاد الى وطنه عام ٤٥٦ ق • م • وعقد الصلح مع امة « اسبرتا »

(٢) ولد بريكلس سنة ٤٩٢ ومات سنة ٥٢٩ ق • م • واشتهر بفصاحة لسانه وفي مواقع بعض الحروب وصار حاكماً في اثينا • وزين هذه المدينة بابنية جميلة خلدت ذكره



شبه تمثال منرفا الذي كان منصوباً في هيكل برتنون في اثينا
(كتاب انفس الآثار في اشهر الامصار صفحة ١٣)

الرخام الجميل فيظهر البناء اكثر علوًّا مما هو عليه وله احكام في الهندسة في غاية الحسن والاتقان ٠ وكان ضمن هذا الهيكل مقام خصوصي يدخل اليه بباب وفيه نُصب تمثال منرفا الذي صنعه فيدياس ٠ والمظنون ان علو هذا التمثال كان نيف عن ١٥ مترًا ومقدار ما صفحوه بالذهب بلغ قيمته نحو اربعة ملايين فرنك ما عدا ثمن العاج ٠ وفي جوار ذلك المقام موضع آخر لحفظ خزينة الدولة ٠ ولم يبقَ من هذا الهيكل العجيب سوى بعض جدرانه والدرجات الخارجة التي كانت يذبح عليها الذبائح ثم واجهته وهي مسنودة شرقًا وغربًا بثمانية عمدٍ وقبلةً وشمالاً بسبعة عشر عمودًا وعلو العمود عشرة امتار وقطره متر ونصف متر ورأينا بعض الاعمدة المكسورة من الرخام الابيض المصقول قطرها اكثر من مترٍ وهي مقسومة قطعًا قطعًا تبلغ ضخامة القطعة نحو مترين وكانت قديمًا مركبة بعضها فوق بعضٍ بلا قواعد ولا لحمة

ولا تعرف حقيقة تاريخ بناء هذا الهيكل والمرجح ان اليونانيين شرعوا في بنائه سنة ٤٤٤ ق ٠ م ٠ وانجزوه في السنة الثالثة من « اولمبياد » الخامسة والثمانين الموافقة لعام ٤٣٨ ق ٠ م ٠ بموازرة المهندس « اكتينس » تحت رئاسة فيدياس الذي اعتنى ايضًا بنقشه وزينه وحفر رسومه وصوره ثم صنع له تمثال منرفا المشهور

واول من دنس هذا البناء هو « ديمتريوس بليكرانس » في القرن الثالث قبل المسيح وسلب نفائسه « لخارس » سنة ٢٩٨ ق٠م٠ ومن ذلك الوقت توارى التمثال عن العيان فلم يقف له احد على اثر

اما الهيكل فبقي سالمًا الى ان استولى عليه المسيحيون في القرن السادس فخربوا منه وغيروا شكله داخلاً وخارجًا ليصلح لعبادتهم وكرسوه لمريم العذراء ٠ وزينوا جدرانه بصور مقدسة على الطرز البزنطي وشاهدنا على احد جدرانه صورة السيدة التي لا تزال ظاهرة غير ان الوانها تكاد تحول على مرور الزمان

ولما فتح العثمانيون مدينة اثينا اتخذوا برتنون جامعًا وطلوا حيطانه بالكلس وبنوا مأذنة في زاويته الجنوبية الشرقية ٠ وكان المسيحيون ثم المسلمون قد رفعوا ما استطاعوا من نقوشه ٠ وفي سنة ١٦٨٧ جاء اليه سائحان الواحد انكليزي والآخر فرنساوي وصوّرا كل ما وجداه من الرسوم والتماثيل داخلاً وخارجًا ونشراها في كتاب

خصوصي

وحاصر البنادقة مدينة اثينا وضربوا برتنون بالقنابل في اليوم السادس والعشرين من ايلول سنة ١٦٨٧ فوقعت قنبلة في الهيكل وكان العثمانيون قد ادّخروا فيه شيئاً كثيراً من البارود فالتهب وحرق الهيكل وسقطت مرتبة التمثال التي كانت مزينة ومزخرفة بضروب النقوش النفيسة ونقضت اعمدة كثيرة كانت باقية لذلك العهد

ولما دخله البنادقة حاولوا ان يسلبوا الخيل والعربة الرخامية المحفورة على وجهته فحطموها لعدم خبرتهم في نقلها. ثم جاء اللرد « الجين » الانكليزي ورفع ما بقي من الآثار في هيكل برتنون وفي اطراف اكروبول فابتاعتها الدولة الانكليزية بمبلغ قدره ٣٥ الف ليرة انكليزية واودعتها دار التحف الشهيرة بلندن.

***

هيكل «اركتيون» . — وعلى شمال « برتنون » آثار هيكل « اركتيون » وكان يتالف من قسمين الواحد اعلى من الثاني ففي الاول كان مقام منرفا الاصلية التي كان يظنها اليونانيون انها نزلت من السماء وهي مصنوعة من خشب الزيتون وكان مذبح ذلك الهيكل مغطى من كل جانب وفيه مصباح من ذهب يسرج مرة في السنة ويستمر مضيئاً ليلاً ونهاراً. واما القسم الثاني فكانت مساحته اوطى ويسمى « ايكيا اركتيون » وفيه مذبح لتقدمة القرابين بحسب الطقوس التي رتبها « سكربس » والى جانب هذا القسم مقام مذبح « بندروس » ابنة سكربس وفيه كانت شجرة الزيتون التي انبتتها منرفا عند وقوع المنازعة بينها وبين اله البحر وكان فيها ايضاً حوض الماء المالح الذي اوجده « نبتون » برمية من سهمه بحسب حكاية اليونانيين

وفي ٦ شباط سنة ١٨٨٦ اكتشف المعلم «كوّادياس» عند اطلال الهيكل المذكور اربعة عشر تمثالاً لاربع عشرة امرأة كانت تزينه في سالف الاعصار

***

اثيناء . — وعقيب ان مكثنا برهةً محدقين بهذه الآثار وحائرين من اشغال الاولين تقدمنا نحو الشرق فانكشفت لابصارنا مدينة اثينا منشاء الحكماء اليونانيين كانها في قبضة كفنا فقلت للشقيق تعال وتامل ما اجمل هذا المنظر. فلما

اقترب وسرح فيه طرفه اجاب : حقاً انه يخفف عنا ثقل المشقة التي تكبدناها في التسلق الى الاكرو بول . وذلك الموضع يشرف :

اولاً على هياكل وثنية في اطراف قاعدةالبلاد اليونانية لا تزال اثارهـا شاخصة

ثانياً على ملعب الحيوانات المعروف عندالاقدمين باسم « ستاد » وبجانبه هيكل المشتري

ثالثاً على قصر ملك اليونان وهـو مبني على رابية تظلله الاشجار ومطلي بالشيد الاصفر

رابعاً على الكنيسة الكاندرائية للروم الارثوذكس وهي كنيسة عظيمة بنيت سنة ١٨٤٠ ــ ١٨٥٥ وجمع اليونانيون لبنائها حجارة من انقاض سبعين كنيسة

(وفي اثينا كنيسة للاتين على اسم القديس « ديونيسيوس الاريوباغي »وهو اول من تنصر في اثينا على يد بولس الرسول ولم اسقف ايضاً وكذلك للبروتستنت وللروس كنائس في هذه المدينة)

خامساً على دار التحف وسائر ابنية المدينة

فلو ذهب الانسان الى اثينا ولم يرتقِ اكرو بولها لما استطاع ان يتمتع بهذا المنظر الجميل ولهذا ننبه المسافرين الذين يمرون بمينا بيره الا ينخدعوا بالذهاب الى اثينا لضيق الوقت بل ان يقدموا على ذلك الصعود الى الموضع الذي وصفناه فتنشرح به صدورهم

ونذكر هنا ان قاعدة المملكة اليونانية تضاهي ميناها فان بقعتها قاحلة وليس فيها الاشجار والمزارع والبساتين كما نراها في الديار الشامية لانها قليلة المياه و بهذا يعرف فضل اليونانيين الاقدمين الذين وان كانوا قد تلقنوا العلوم عن الفونيقيين والمصريين فانهم فاقوهم فناً ومهارةً . و بينما نراهم في ارض ضنت الطبيعة عليهم بخيراتها قد شيدوا تلك الابنية الجميلة البديعة التي خلدت ذكرهم ودلت على ارتقائهم درجة سامية في الصناعة والحفر والنقش لم يتوصل اليها غيرهم من القبائل حتى ولا من الامم المتمدنة .

***

محفل « اريوس باغس » . — وعلى كتف جبل اكروبول في الجهة الغربية طريق تؤدي الى صخرة شامخة شاهدناهـا حين نزولنا من اكروبول واقعة بينه و بين تلة اخرى معروفة بتلة « بنات الماء » . وعندها كان محفل « اريوس باغس » او « اريوباج » يجتمع فيه القضاة لتنفيذ الشرائع والحكم على المجرمين ولهذا المحفل حكايات وقصص ملفقة عند اليونانيين الاقدمين لا محل لذكرها هنا

وقد ذهب قومٌ الى ان خطاب مار بولس الرسول الذي نطق بـه سنة ٥٣ للمسيح حينما جاء اثينا حيث قال : « يا رجال اثينا ارى انكم في كل شيءٍ تغلون في العبادة لاني في مروري ومعاينتي لمساكنكم صادفت مذبحاً مكتوباً عليه للاله المجهول فهذا الذي تعبدونه وانتم تجهلونه به انا ابشركم (اعمال الرسل ص ١٨ عدد ٢٣) لم يكن في المحفل المذكور نفسه كما يفهم من ظاهر العبارة المكتوبة في اعمال الرسل لان رجاله كانوا قضاةً وليس فـلاسفة والمرجح انه نطق بهذا الكلام في السوق المعروف باسم « اغورا » وفيه كان الرسول يفاوض كل يوم اليهود والمتعبدين في المجمع و يباحثه قومٌ من الفلاسفة الايكوريين والرواقيين (راجع عدد ١٧ و ١٨ من الاصحاح المذكور) وهذا السوق الكائن على شمال محفل اريوس باغس كان مشهوراً بهيا كله العديدة و باحتشاد الشيوخ الخمسمائة وفيه كان يقيم الحكام الاثينيون الملقبون باسم ابريتانه (Pritanèes) و به كان يستوطن الغرباء (عدد ٢١) والبيع والشراء

ولا يزال الطريق في ذلك الموضع على اسم الرسول المذكور

***

اثينا الحديثة . — ان تـاريخ هذه المدينة العظيمة معروف لدى الخاص والعام فلا حاجة الى تكراره — وقد برّز اهلها في الزمن القديم في العلوم الرياضية والهندسية وظهرت محاسنهم في الصنائع العالية وضربوا النقود الذهبية والفضية وانتشرت اثارهم في سائر الاقطار

وفي القرون المتاخرة اخذ العلماء والادباء الاوروبيون يقدرون هذه الاثار حق قدرها و ينفقون في سبيل اقتنائها الدرهم الوضاح فزينوا بها دور تحفهم وطفقوا يقصدون نفس البلاد اليونانية ولا يبخلون بمـال لحفر الارض في مكان البنايات

المهدومة طمعاً باستخراج الاثار العتيقة

ومنذ نحو خمسين عاماً شرع اهل اثينا يسلكون مسالك الاوربيين وقد تكلل سعيهم بالنجاح وتنافسوا في ترقية بلادهم الى معارج الفلاح وبعد ان كانت قاعدة ملكهم لا تحوي اكثر من ثلاثمائة بيت سنة ١٨٣١ زاد سكانها حتى بلغ عددهم الان اكثر من مائة وعشرين الف نسمة · وراجت بها اسواق العلوم والمعارف وتأسست فيها المدارس والمكاتب وقامت فيها الجمعيات العلمية وازدهت بدار تحف فاخرة · ولما كانت الدور الحديثة التي انشئت فيها في سبيل نشر المعارف والفنون مما تستحق الذكر احببنا ان نذكر اخصها وهي :

المدرسة الكلية · — بنيت هذه المدرسة العظيمة سنة ١٨٣٧ بمناظرة المهندس الدانمركي « هنسن » فقلّد بها شكل الابنية القديمة بنقشها وزخرفها وهندستها · ويقصدها الطلبة الوفاً من كل بلد وناحية فمنهم نحو الفي طالب لدرس العلوم الطبية والفقهية والف تلميذ لتعلم البيان والفلسفة واللاهوت وفيها اكثر من مائة وعشرين استاذاً درسوا على الالمانيين والفرنساويين · ويلي هذه المدرسة خزانة كتب تحوي ١٨٠ الف مجلد

الاكاديميا او الجمعية العلمية · — وبجوار المدرسة المذكورة بنى البارون « سينا » النمسوي على نفقته (١٨٥٩ — ١٨٨٥) داراً لجمعية العلماء وكلها من الرخام الجميل ولها اروقة بعمد منيفة ويتقدمها قواعد عليها تماثيل اثينه ربة الحكمة واله المشتري ثم افلاطون وسقراط · اما القاعة التي يجتمع فيها اعضاء الاكاديميا فهي منقوشة برسوم تشير الى احوال الاقدمين وقصصهم · وبجانبها دار المسكوكات القديمة وفيها اليوم ما ينيف عن المائة الف قطعة من فضة وذهب ونحاس ·

دار التحف · — طولها مائة متر بعرض ثمانين تبرع بنفقة بنائها الموسيو « برناداكيس » التاجر اليوناني المقيم في بطرسبرج وهي ملآنة باثار نفيسة · ويسوغ لنا ان نقول بان لليونانيين فضلاً عظيماً بهمتهم وبذلهم الاموال لحفر الخربات والاستقراء عن اثار الاقدمين · ولهم جرائد مهمة تنشر الاكتشافات الجديدة التي لا غنى عن مطالعتها لمن اراد ان يتضلع في التواريخ اليونانية · وتفتخر هذه الدار خصوصاً بما تحويه من الاثار والاواني الذهبية الخالصة التي لا مثيل لها في

الدنيا وهي الحلى وادوات الزينة وغيرها التي وجدوها في قبور « الميسانيين » وهي امة عاشت في بلاد اليونان قبل نشأة الامة اليونانية · ولما نبش هذه الحلى العلامة « اشليمان » بعث برسالة برقية الى ملك اليونان يقول له : بشرى لك فاني وجدت كنوزًا ثمينة تشتمل على اوان وحلى ذهبية نفيسة ·

وقد اطال العلماء والمؤرخون المناظرة والتدقيق في تاريخ الامة الميسانية والرأي المعول عليه الان هو ان اصلها من بلاد المشرق

وفي دار التحف غرف للاثار المصرية جمعها في الاسكندرية الموسيو « برانيس ديمتريو » المنوسي واهداها لهذه الدار وغرف للتماثيل الرخامية والاواني الخزفية والنحاسية من صنع اليونانيين الاقدمين وسائر الاثار التي يفتخر بها اصحاب الفن وارباب التاريخ

دور الاجانب ·ـ وما خلا الابنية التي ذكرناها فقد شيد الفرنسيس والالمانيون دورًا جميلة يقصدها طلبة العلم من اهل بلادهم ليدرسوا فيها التواريخ القديمة ولهم ايضًا جرائد تطبع في اثينا لنشر الاكتشافات الحديثة وللبحث عن حقائقها ·

﴿ يوم الاثنين في ٢٧ من تموز ويوم الثلاثا في ٢٨ منه ﴾

(الوصول الى نابولي ·ـ نابولي ·ـ ملاقاة المنسنيور هبرا
والنزول الى الكرنتينا ·ـ التجول في نابولي)

الوصول الى نابولي ·ـ خرجنا من بيره والريح شديدة مضطربة والامواج تلعب بسفينتنا كما يلعب الهواء بالغصن فالمّ الدوار باكثر الركاب وكان مسيرنا بالقرب من سواحل البلاد اليونانية المشهورة بجبالها وصخورها الشامخة

ولما اقتربت السفينة من راس « ماله » نشرت راية السلام وصفرت فتطلعنا لنرى السبب في ذلك فاذا هي تحيي ناسكًا يسكن كهفًا بذلك الجبل · ومما يذكر عنه ان النوتيين يأتونه بالطعام فيضعونه على صخرة ولما يتوارى عنه المركب ينزل الى

شاطئ البحر فيأخذه الى كهفه . وقد تكلم عن هذا الحبيس « لامرتين » الشاعر الفرنساوي والظاهر ان الحبيس القديم مات وخلفه آخر وجاء الثالث الذي القت عليه السفينة السلام وشاهدناه واقفاً على صخرة قابضاً بيده على راية صغيرة اشارةً الى يد التحية . وارباب المراكب في تلك النواحي يتلقون سلامه تبركاً لهم

ولما قطعنا رأس « ماتابان » المسمى « تينار » عند الاقدمين المشهور بالعواصف التي تثور باطرافه اخذت الريح في السكون الى ان اقبلنا على بوغاز « مسينا » وكان ذلك ليلاً

وصباح الغد امطرت السماء مدراراً وهاجت الرياح ولمت البروق وقصفت الرعود فالمّ الدوار باكثر الركاب فخفنا ان يطول هذا الحال ويحرمنا لذة الدخول الى نابولي آمنين . ولكن الله قد منّ علينا في ساعة بالسكون وانقشاع الغيوم عن جبال ايتاليا فخفقت قلوبنا طرباً عند مرآها وكانت تزداد ابتهاجاً كلما دنونا منها وانجلت لابصارنا غاباتها ومزارعها ورياضها وبطاحها الخضراء وبيوتها المبنية بعضها في الوديان وبعضها على ذروة الجبال والتلال كما هي في جبال لبنان . والفرق بين لبنان وايتاليا هو ان جبال ايتاليا مزروعة بالاشجار وارضها خضراء وغاباتها واحراشها كثيرة على ان لبنان لا يرى فيه الا القليل من الاحراش التي كان لها شهرة عظيمة في الاجيال الخالية كاشجار الارز التي قطع من اخشابها سليمان الحكيم وغيره من الملوك ما احتاجوا اليه لبناء الهياكل والقصور

***

نابولي . — ولما اقبلنا الى نابولي رايناها مدينةً غناء مبنية في سفح تلال متصل بعضها ببعض ، وفوق التلال جبل شاهق يعرف بجبل « فيزوف » وهو البركان المشهور الذي يقذف من فوهته النار والدخان في اغلب الاوقات وعندما يكون مشتعلاً تسطع انواره ليلاً الى مسافة بعيدة

ومدينة نابولي قديمة البناء واسمها يوناني الاصل مشتق من « نيابوليس » اي البلد الجديد وكانت قبلاً قاعدة جزيرة سيسيليا ومملكة نابولي والآن تحسب من المدن العامرة الكبيرة فان سكانها يبلغون ٥٦٣٥٤٠ نفساً بحسب احصاء سنة ١٩٠١ ولو اضفنا اليها سكان ضواحيها لبلغ عدد سكان نابولي نيفاً وثمانمائة الف

نفس . وقد جملها المولى بمحاسن طبيعية تقرّ بها الابصار وهي جيدة التربة واسعة البقعة كثيرة البساتين والاشجار نزهة النواحي والاقطار ولها خليج عظيم طوله ستة عشر ميلاً وعرضه كذلك و باطرافها بعض الجزائر الصغيرة التي لها خلجان كثيرة يقال انها من اجمل ما خلق المولى من البلاد الواقعة على سيف البحر

ولما دخلنا فرضتها الواسعة التي ترسو فيها السفن والاساطيل العظيمة كانت المدينة امامنا وفوقها حصون منيعة يقال ان الفرنسيس لما تملكوها على عهد الملك لويس الثاني عشر حصنوها وجعلوها من المدن العزيزة الجانب . وفيها بنايات على الرصيف يحسبها الركاب من البحر ثكنا للجنود مع انها مخازن لادخار الحبوب وغيرها من الاموال والسلع

***

ملاقاة المنسنيور هبرا والنزول الى البر والكرنتينا . — كان وصولنا الى نابولي الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر[١] و بينما نحن على ظهر السفينة والركاب كلهم على اهبة النزول الى البر اذ سمعنا اصواتاً تنادينا وتقول ان احد الكهنة يسال عنكم وهو في قارب فقلنا هذا لا يعنينا لانه ليس في نابولي كاهن يعرفنا ولم يخطر اصلاً ببالنا ان ابن عمتنا المنسنيور هبرا النائب البطريركي لطائفة السريان في رومية ياتي لملاقاتنا ولم يبلغه خبر قدومنا لا سيما وانه كان في باريس منذ ايام قلائل . ولما دنا قاربه من سفينتنا رأيناه مرأى العين فحيانا وشكرنا له هذه الملاقاة التي جاءتنا كبلسم اشفى مضض السفر الذي احتملناه وكرب النوَ الذي اصابنا

وما مضت هنيهة حتى ازدحمت القوارب وفيها الفتيات والشبان يضربون بالمعازف والقيثارة راقصين منشدين الغناء المعروف باسم « سنتا لوشيا » (القديسة لوسيا وهي شفيعة نابولي) وهذا تعريب شطر منه :

---

(١) عندما رست السفينة في نابولي نظرت الى ساعتي فدلّت على الساعة الرابعة ونصف فيكون الفرق بين نابولي والقسطنطينية ساعة كاملة لاننا اتينا من المشرق الى المغرب

نابولي انتِ الجميلة وانتِ الارض السعيدة
تبسم لك المولى اذ خلقكِ
وجعلكِ تفوقين المعمور بمحاسنكِ ونضارتكِ
سنتا لوشيا — سنتا لوشيا

ومن عادة هولآء المغنين ان يصعدوا الى ظهر السفينة و يرقصوا امام الركاب ولكن شاع الخبر ان ركاب سفينتنا لا يخالطون المدينة بداعي مرض ظهر في مدينة طرابلس حينما اجتازت بها الباخرة فكانت الفتيات وهنَّ في القوارب يفتحنَ مظلاتهن ليلتقطن الدراهم التي تكرم بها عليهنَّ جماعة من الركاب وانتظرنا نصف ساعة الى ان اذنت ادارة الصحة للركاب القاصدين نابولي ان بالنزول اليها اما سكان المدينة فلا يستطيعون مخالطة السفينة · وللحال جاءنا مركب بخاري فنقلنا الى الحجر الصحي لتطهير الملابس وكنا نحوا من ثلاثين راكباً يرافقنا طبيب الصحة

ولما وصلنا الى ادارة الصحة اخذ كل منا يفتح صناديقه و يناول الخدمة ماله من القمصان المستعملة مدة السفر وغيرها من الملبوسات وفي برهة خمس او عشر دقائق ادخلت هذه الامتعة في خلقين بخاري عظيم ثم أُخرجت واخذ كل من الركاب ما خصهُ

وكان ابن عمتنا المنسنيور هبرا قد تبعنا بقاربه وجاء محطة الصحة وكنا نحدثه عن بعدٍ بدون ان نقترب منه الى ان تطهرت اثوابنا · ولا نقدر ان نصف لك لطف المأمورين وهم يقومون بوظيفتهم احسن قيام ولا سيما الاطباء الذين اظهروا البشاشة والملاطفة نحو الجميع

وفي اثناء ذلك جرى الكلام بين المسيو دلبف مدير جريدة استنبول الفرنساوية رفيقنا في السفر و بين ابن عمتنا في وفاة لاون الثالث عشر وانتخاب خلفه وقد تنبأ له ابن عمتنا ان القرعة ستصيب غالباً الشيخ الجليل المالك سعيداً اعني به يوسف سرتو رئيس اساقفة البندقية واستغرب الموسيو دلبف هذا الرأي ونشره في جريدته بالقسطنطينية قبل انتخاب البابابيوس العاشر

ونقلنا المركب البخاري من ادارة الصحة الى دائرة الجمرك وكان ابن عمتنا يرافقنا على قاربه · ولما دخلنا الجمرك انشرح صدرنا لانه متسع للغاية وجميل مرتفع السقوف

من زجاج وعاملنا المأمورون بانس لا مزيد عليه وصرفوا سبيلنا بدون ان يفتحوا صناديقنا فخرجنا حامدين لطفهم واظن ان الفضل بذلك عائد لابن عمتنا لانه يعد من ابن البلاد

وركبنا العربات منطلقين الى احد الفنادق حيث نبيت تلك الليلة وفي الغد عند انتصاف الليل نقصد رومية

***

التجول في نابولي — عقيب ان اصلحنا شؤوننا خرجنا من المنزل قصد التجول في نابولي وركبنا الترامواي الكهربائي الذي هو غاية في الاتقان وسرعة السير والانتظام وكل قطار من الترامواي مؤلف من عجلتين الواحدة مكشوفة والثانية لها نوافذ تغلق • فاذا احب الراكب تجنب الهواء واشعة الشمس جلس في العجلة المقفلة والاَّ استوى في العجلة الثانية • وتتصل قوة الكهربائية الى الترامواي بسلك كسلك التلغراف ممتد على طول الطريق

وترجلنا عند سوق « امبرتو » ويسمى « غالريا امبرتو » بني حديثاً على اسم ملك ايطاليا • وهو اجمل الاسواق واكثرها نظاماً وزينةً سقف بالزجاج وزين بانواع النقوش وفرشت ارضه بالرخام الجميل وعلى جانبيه المخازن المفروشة بالتحف البديعة • وفي الطوابق العليا دور ومنازل للسكن ويدخل اليه من اربعة جوانب لم نرَ مثل هذه السوق لا في باريس ولا في رومية • ويأتيه سكان نابولي ونزلاؤها للاستراحة بمقاعده وانديته امنين الحر والبرد وضوضاء العجلات والعربات واذا ارادوا ان يتناولوا طعاماً او ان يشربوا المرطبات فيجدوا في فنادقه ما يبتغون • وعند غروب الشمس تأتيه فرقة الموسيقى العسكرية وتطرب المحتشدين فيه بالحانها الشجية فهناك يجتمع الشبان والفتيات والرجال والنساء في احسن زي واجمل لباس ويتسامرون ويتجاذبون اطراف الحديث الى اي ساعة شاءوا

ثم انطلقنا من سوق امبرتو الى المطعم واول طعام طلبته كان المكروني وفي الحقيقة انها اكلة لذيذة مختصة بالبلاد الايتالية

وفي نابولي شوارع عريضة وطويلة منها شارع « توليدو » وطوله كيلومتران وشارع « سنتا لوشيا » الذي يزدحم فيه الخلق من كبير وصغير والشارع

الوطني وشارع رومية وما بين الشوارع الرحبة بعض طرق ضيقة تدل على فقر اهلها وهم لا يبالون كثيرًا بامر معيشتهم ولا يجدون في تحصيل الاموال والترقي في الصنائع بل يصرفون اوقاتهم بالتنزه واللهو و يساعدهم على ذلك جودة الهواء ومنتزهات مدينتهم ورياض ضواحيها الغناء

وفيها ايضاً مخازن كبيرة تباع فيهـا الاقمشة الحريرية والصوفية باثمان بخسة وحركة تجارتها متسعة انما يقال ان اكثر تجارها من الاجانب وليس من الوطنيين

اما المراسح والملاهي فهي عديدة وقد راينا بعضها على ضفة البحر غاصة بالوف من الناس لاستنشاق الهواء اللطيف وتفريج الهم . وفيهـا مرسح « سن كرلو » الذي يعد من اكبر مراسح اوروبا تمثل فيه العاب « الاوبرا » في فصل الشتاء وفي اكثر الملاعب تمثل الفتيات النابوليات اللاتي يسبين القلب برقة اخلاقهن ولطافتهن . ولما كان فن الموسيقى في ايتاليا قد بلغ درجة عليا من الاحكام والاتقان فقل ان تجد رجلاً او امرأة لا تحسن الانشاد . فاذا غنت الفتيات شنفن اذان السامعين باصواتهن الرخيمة (١)

والحق يقال ان نابولي هي بلد لهو وطرب وقد جاء في المثل الايتالي : الموت حلوٌ ولكن بعد مشاهدة نابولي

وكان طوافنا ليلاً قريب المدى لاننا نوينا ان نذهب في الغد الى « بومبي » المدينة التي طمرها بركان « فيزوف » في السنة التاسعة والسبعين للمسيح وفيها الان كنيسة بومبي المشهورة بالمعجزات

---

(١) قال ذكرياء بن محمد القزويني في كتابه المدعو اثار البلاد واخبار العباد : الغالب على طبع الروم مباشرة اللهو والطرب لان المنجمين زعموا ان الروم تتعلق بالزهرة . اه . ويطلق كلام هذا المؤلف على اهل نابولي بنوع خاص

⁂ يوم الاربعاء في ٢٩ من تموز ⁂

(كنيسة سيدة بومبي — بومبي — مساكن بومبي — صورها — الحكم على الصور من حيث الرسم — الكتابات — منزل شبسلس بوكندس وقراطيس حساباته — دار ونسي وصورة عقاب اكتيون — صورة ذبيحة افيجياني في بيت الشاعر غلوقس — الفوروم — مدافن بومبي — فوهة البركان — دار التحف في نابولي — الكنائس في نابولي — خزائن الكتب — المتسولون)

كنيسة سيدة بومبي — من بومبي الى نابولي مسير ٢٤ كيلو مترًا وهي في سفح جبل فيزوف . فركبنا القطار اليها صباحًا فوصلناها في ثلاثة ارباع الساعة وللحال انطلقنا الى كنيسة السيدة التي طارت شهرتها عند سكان تلك الاصقاع فيقولون ان من جاءها سقيماً وصلى فيها بورع نال الشفاء فيقصدها الانقياء من جميع الاطراف وهنا نذكر بالايجاز وصف الكنيسة اولاً ثم نتكلم عن المدينة المهدومة فنقول :

المعابد عمومًا في ايتاليا تبنى بغاية الاتقان و ينفق في سبيلها اموال وافرة . فلما دخلنا كنيسة سيدة بومبي استحوذت علينا الدهشة لدى تاملنا جدرانها المنقوشة ورسومها الجميلة وهندستها البديعة ويتخيل للناظرين في بعض الاماكن ان النقش هو من القماش الحريري او من القطيفة الناعمة ومعظم حيطانها مكسوة بالرخام وعلقت النذور من حلى ذهبية وفضية حول الكنيسة . وكراسي الاعتراف فيها محفورة حفرًا دقيقًا ينكشف فيها وجها الكاهن والمعترف لانظار الشعب الواقف في الكنيسة . وارغنها جميل للغاية قيل ان ثمنه ثلثمائة الف فرنك وحوله ايوان من خشب مذهب بغاية الاتقان

وبينما نشهد القداس رأينا رجلاً داخلاً مع امرأته زحفاً على ركبتيهما الى ان وصلا المذبح الكبير والامرأة تدق على صدرها متخشعة تتضرع الى مريم العذراء بصوت جهير وفهمنا انها تشكرها لان بشفاعتها نال ابنها الشفاء من مرض عضال وقد اقتبلت مع زوجها سر القربان المقدس

***

بومبي . — انطلقنا من الكنيسة الى المدينة القديمة التي صونها الان الايتاليون لئلا يدخلها احد بدون اداء فرنكين المرتب المفروض على كل زائر . فدخلناها لنجول في اسواقها وشوارعها وساحاتها ونرى منازلها وهيا كلها وقصورها كما انشأها الروميون في الزمان القديم وقبل ان نشرح ما شهدناه فيها من العجائب والغرائب احببنا ان نورد تفاصيل خرابها واندثارها :

روى لنا المؤرخون عن « سينكا » انه في اليوم الخامس من شباط سنة ٦٣ مسيحية تزلزلت الارض في اقليم (كمبانيا) (Campagnie) وسقط قسم عظيم من مدينتي « بمبي » « وهرقولانم » وتهدمت ابنية كثيرة في نابولي وجوارها ودل هــذا الزلزال على ان نار الفيزوف اخذت في الاضطرام ثم عاد البركان الى السكون واستمر كذلك ست عشر سنة الى ان انتصف صيف عام ٧٩ فعادت الاضطرابات الارضية في ذلك الاقليم واعادت الزلازل الكرة ونضبت البحار والينابيع واخذت مياه البحر تجيش جيشاناً عظيماً فيسمع لها دوي كانه صادر من بطن الارض . وقد ترك لنا « ابلينس » الاصغر رسالة اخبر بهـا عن موت عمه العلامة « ابلينس » الاكبر تحت رماد البركان وفي تلك الرسالة تفاصيل اندثار بومبي وطمورها بالنار والحجارة فلخصنا منها ما ياتي . قال :

في اليوم الثالث والعشرين من آب صعد دخان كثيف من فوهة البركان على شكل شجر السنوبر وبلغ علوّه زهاء ثلاثة الاف متر ونشر الظلام عليه رواقه وكان يتخلل ذلك الدخان لهيب اشبه بوميض البرق اما عمي ابلينس امير الاسطول فكان وقتئذٍ مقيماً في « ميزينا » وانتبه لهذا الحادث العجيب فاراد الاقتراب منه ليقف على احواله فاوعز الى بعض رؤساء البواخر ان يسيروا الى « رزينا » وينقذوا الناس الفارين

وعباً من الخطر ولكن تعسر على السفن الدنو من الساحل من جرآء ارتفاع مياه البحر واضطراب الامواج وتساقط الحمم فعادت السفن خائبة

فانطلق ابلينس الى قرية « استابي » ورأى من ذلك المكان ان البركان يتأجج وتخيل له حينئذ ان فوهات جديدة قد انفتحت في ذروته · ثم شاهد دخانا كثيفاً وابخرة جديدة تتصاعد من تلك الفوهات وتلتهب في الجو · ثم انتشر الدخان وغطى بظلامه الحالك ما حول الجبل الناري · وما زال ابلينس يراقب هذه الحوادث ويملي وصفها على كاتبه ولما امسى المساء استحم كعادته ورقد · ولكن لم يكن الا برهة من الزمان حتى غطى رماد الجبل سطح داره فكادت ان تخسف من ثقله فهرع اليه رجاله وايقظوه فنهض وجعل على رأسه وسادة صيانة من تناثر الحجارة عليه وانطلق الى شاطي البحر وحاول النزول الى السفينة فلم يتمكن من ذلك لاضطراب الامواج وتلاطمها · ثم اراد الفرار من تلك الفاجعة فلم يستطع لضخامة جثته فمد بساطاً وجلس عليه ثم طلب ماء ليشرب

وفي اثناء ذلك تكاثر اللهيب وانبعثت منه رائحة كبريتية وكانت الناس وقتئذ تسرع الى الفرار

ومن جملة ما ذكره « سينكا » في كتابه الرابع رأساً اول حينما روى قصة خراب بومبي ان ابلينس سمع تنهد النساء الهاربات وزفراتهن وصراخ البنين وعويلهم وضجيج الرجال وعجيجهم فالصبي ينادي اباه والاب ينادي امرأته واولاده وكانوا راكضون مرتعشين وسمع جماعة يصرخون ملتجئين الى الالهة ومنهم من لم يعد يعترف بها وظنوا ان تلك الساعة هي الاخيرة التي فيها يبتلع الكون ويدفن في الظلمات الدهرية ·١ه·

ولما اراد ابلينس النهوض بادر رفقاؤه الى اعانته ولكن هاله الدخان فسقط ميتاً مخنوقاً به وبعد مرور ثلاثة ايام من تلك الفاجعة انقشع الظلام وعاد رجال ابلينس الى الموضع الذي مات فيه فوجدوا سيدهم طريحاً على الارض بلباسه المغطى بالرماد

***

وكانت بومبي التي نحن بصددها مدينة عامرة بلغ سكانها اثني عشر الف نفس

فقذف عليها البركان حمماً وكبر يتاً فغشّى منها مقدار ستة او سبعة امتار ونزل مثل هذه الرزيئة بمدائن « هرقولانم » و « رزينا » و « ابلنته »

ولا شك في ان اهل تلك الاصقاع تمكن اكثرهم من الفرار فلم يهلكوا جميعاً كما ذهب اليه البعض من المؤرخين لان الحفارين لم ينبشوا الى الان من عظام الموتى اكثر من ستمائة جثة وهو قليل بالنسبة الى سكان تلك البلاد التي كان عددهم في ذلك الزمان نحو اربعين الف نفس. وحكي ان كثيرين ارادوا ان ينقذوا شيئاً من متاعهم الغالي الثمن فصرفهم طارق المنون عنه وهم لا يشعرون

وما زالت بومبي مدفونة تحت التراب الى ان وجد الباحثون شيئاً من آثارها سنة ١٧٥٠ فنبشوا وحفروا حتى اكتشفوا جانباً عظيماً من المدينة المهدومة وهو على حالة القديم اذ لم تمسّه ايدي الخراب ورمموا كثيراً من جدرانها وابنيتها ليحفظوها من الدمار. فكأننا بهذه المدينة قد طال ليلها ثمانية عشر جيلاً فلما اصبح صباحها ونهض اهل المدينة من رقادهم وجدوا كل شيء في مكانه. فلو رجع احد معاصري اغسطس قيصر الى الدنيا ودخل الان المدينة لصرخ هاتفاً: السلامُ عليك يا وطني. ها مسكني ثابتٌ في الدنيا وهو سالمٌ محفوظ. وهذه حصيرتي. واواني منزلي وادواته. وصحائفي ورسومي. هلموا بي يا رفاق لنذهبنّ الى الاسواق وندخل المراسح حيث يمثل لنا روايات (ترنسيوس) و (اوريبيدس).

وفي الحقيقة يتجول الانسان في شوارعها ويمشي على الحجارة القديمة التي صفها الروم ويجوب اسواقها وساحاتها ومنازلها ويقرأ الكتابات اللاتينية التي منها يستدل على اسماء اصحابها ونوع المهنة التي كانوا يتعاطونها فيها ويرى ازقتها مفروشة ببلاطٍ متصل بعضه ببعضٍ بقطع من حديد. وفي بعض الاماكن حجارة عالية يقطع عليها المشاة ايام الشتاء اذا جرت المياه سيولاً فيحسب نفسه بعد ذلك انه من سكان بومبي لايام الرومانيين

لئن كانت مدينة بومبي صغيرة لم تحوِ ضمن اسوارها قصوراً شاهقة ودوراً واسعة فانها انموذج لتمدن العصر الذي هُدمت فيه فان دكاكينها وحوانيتها الضيقة مع انتظامها وترتيبها وقصورها الصغيرة وزينة دورها وحماماتها وساحات شعبها وملاعب الخيل فيها وما كان عليه اهلها من الفساد مع تمدنهم جميع ذلك يحكي

بلسان حاله عن حالة الدولة الرومانية في ايام قياصرتها

فكانك بها العوبة تمثل هيئة تلك المملكة العظيمة · وقد حجبتها الالهة عن العيون لتظهرها بعد اجيال متطاولة فيراها الناس متعجبين و ينادون قائلين : لعمري لا شيء جديد على سطح الكرة الارضية

وشاهدنا الافران التي كان يخبز فيها والحوانيت لبيع الخمر ولزبت مع القوادير التي كانت فيها وكذلك الحمامات العمومية والخصوصية مع بركها ورخامها ودخلنا بعض دور اعيان البلدة واكابرها ووقفنا في عرَصاتها واروقتها القائمة على عُمدٍ رخامية · منها دور « بنسّا » و « وَتيِّي » وغيرها المشهورة بحدائقهـا وغرفها وعلى جدران البيوت تصاوير ملونة بالوان جميلة جدًا ومنها منقوشة بالفسيفسا الدقيقة وفيها برك الماء والايوانات مما يعجز الانسان عن وصفه وتضيق الكتب دون استيعابه

ومما يدهش الابصار و يحير الافكار وتضطرب النفس برؤيتهِ هو منظر الاجسام البشرية المتحجرة من رجالٍ وغلمان ونساء اكتشفها الحفارون في بومبي نفسها ولم تزل على حالتها الكئيبة المزعجة وقت باغتها دخان فيزرف وغطاها الرماد الذي تناثر منه · فمن هولاء الاجسام ما عليه سيماء الكفاح والمعالجة للهرب من الموت ومنهم من استسلم لليأس ومات كئيبًا حزينًا (١) · وهذه الاجسام مع جثث بعض الكلاب محفوظة في بيوتٍ من زجاج في دار خاصة أُنشئت ضمن المدينة المهدومة

وشاهدنا القمح والذره والعجين وماكولات كثيرة وُجدت تحت الردم وهي محجرة ومحفوظة من ذلك العهد

و يخلق بنا ان نشرح مفصلاً عن مساكن هذه المدينة وما اكتشفه فيها العلماء موخرًا من الرسوم النفيسة والكتابات وغيرها من الغرائب لان منها توضح جليًا كيف كانت معيشة اهلها في ذلك العصر الذي هُدمت فيه وما كانوا عليه من التمدن والدين والى اي درجة بلغوا بالفنون والصنائع العالية

---

(١) عندما اكتشف العلاّمة « فيورلّي » هذه الاجساد ونبشها من تحت التراب سكب الجبسين على اعضائها البالية وصارت اجسامًا محجرة بهيئتها الكاملة

مساكن بومبي . -- كانت قديماً الدور صغيرة في رومية وفي البلدان المجاورة لها ولكن لما زاد اهلها وعظم شأنها وكثر خدامهم وعبيدهم اخذوا في بناء منازل واسعة . وحكي ان بعض البيوت كان يسكنها اربعمائة نفس . وبما ان اثمان الاراضي ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً في رومية اضطر اصحابها الى ان يبنوا بيوتهم ذات طبقات متعددة واتصل بهم الامر الى ان رفعوا احدى عشرة طبقة لدار واحدة . ولما قام اغسطس قيصر وضع حداً لذلك وأمر ان لا تعلو الابنية اكثر من سبعين قدماً وانزلها « تريانس » ايضاً الى الستين

اما بيوت بومبي فكانت عموماً ذات طبقة واحدة او طبقتين لا غير ولكن لم يبق اثر للطبقة العليا والمرجح ان اهلها لم يعبأوا بها كما نرى الان في منازل دمشق فان الغرف العليا قد خصت بالرقاد ليلاً وتعرف هذه المخادع عند الدمشقيين بالفرنكات او بالقصور

وقد ذهب البعض الى ان غرف الطبقة العليا في بومبي كانت مخصصة للنساء لانهم وجدوا حلى وادوات كثيرة لزينة النساء على سطوح بعض المنازل التي لم تسقط سقوفها كلها

و بنيت المساكن متلاصقة بعضها ببعض ومن حولها الشوارع الضيقة ولم يكن لها شرفات ولا منافذ تطل الى الخارج خلافاً لما هو جار في هذه الايام بل انهم احاطوها بسور . والاغنياء منهم انشأوا حولها دكاكين وحوانيت ليؤاجروها ويتمتعوا بدخلها ولم يرغبوا اصلاً في التطلع الى خارج بيوتهم ليشاهدوا المارين في الازقة والاسواق ولا ان يراهم الغريب ويعرف احوالهم او ما هو جار داخل بيوتهم ولدورهم عرصة مكشوفة تعرف باسم « آتريوم » او الدار الخارجية ومنها يدخل الى الدار الثانية ولها قناطر قائمة على اعمدة واروقة اسمها « بريستيليوم » .

اما الابواب فكانت دائماً مغلقة يفتحها البواب الواقف لحراسة الدار وعندما يدخل الزائر الى صاحب المنزل فلا يستقبله هذا بين عياله بل في غرفة مخصوصة من الدار الخارجية . فاذا شاء رحب به والا اطلق البواب سبيله . واذا اتفق نحل عنده ذات يوم ضيف ثقيل وانتظره في الدار الخارجية او عند الباب رحل صاحب الدار عنه من باب اخر

وا نشئ في بعض المنازل غرف للحرَم او المحرَم في مواضع سرية وراء دهاليز تغلق ابوابها للانهماك في الملذات كما لاحظ ذلك المدققون في بيت «سالستس» او «اكثيون» حيث وجدوا صورة ديانا تستحم واكتيون الصياد مطل عليها من جهةٍ ومن الجهة الثانية تثب عليه كلابه لتفترسه · يريد بذلك صاحب المنزل ان يحذر كل انسان غريب حاول ان يكشف الستار عن اسرار حرمه مما اصاب اكثيون الفضولي · وهذه الصورة من اجمل ما وجد في منازل بومبي واحسنها حفظاً علوها اربعة امتار وعرضها ثلاثة

ولعل قوماً يعترضون كيف كان سكان بومبي يصرفون اوقاتهم في تلك الدور الضيقة التي ليس لها باحات رحبة وعرصات كبيرة وجنائن فسيحة وكيف يجلسون في تلك المخادع الصغيرة التي لا منافذ لها سوى ابوابها فنجيبهم ان الاقدمين كانوا يصرفون زماناً طويلاً تحت اروقة الساحة العمومية او في المراسح والملاعب وقد اعتاضوا عن ضيق المخادع بكثرتها وخصصوا كل حجرة لحاجةٍ كما كان لكل عبدٍ وظيفة خصوصية فلم يعهدوا مثلاً قاعةً واحدة للطعام كما نفعل في هذه الايام بل قاعات متعددة يدخلونها بحسب فصول السنة او بنسبة الضيوف الذين يضيفونهم

وكان لهم ايضاً حجرة ينامون فيها نهاراً بعد الغذاء واخرى للرقاد ليلاً ولا يدخلونها الا وقت الرقاد وكما ذكرنا انفاً كان للاغنياء عرصات مكشوفة ودور مسقوفة ذات اروقة على عمدٍ فيجلسون صيفاً في الدار المكشوفة وشتاء تحت الاروقة المسقوفة وحولهم نساؤهم واولادهم وامامهم الخدم والجواري · وقد زينوا دورهم وزخرفوها حتى لا يبصروا الاَّ ما يروق باعينهم فدهنوا الجدران بلون رمادي او اسود وصبغوا الاعمدة بالاصفر والاحمر ورصفوا ارض دورهم بالفسيفساء وصوروا على افريز القناطر اكاليل من الازهار المشتبكة وعلى اغصانها طيور غريبة الشكل والجنس وفي صدور المجالس صور رموز تمثل ما يتعلق باصول دينهم وحكايات ابطالهم ونصبوا في الزوايا او على برك الماء تماثيل نحاسية على شكل التماثيل الرخامية التي نحتها الصنَّاع اليونانيون البارعون — ممثلة المصارع والالهة والضارب بالعود او القيثارة وهلم جرّاً — وكان لهذه التحف في اعينهم قدر يسمو بقدر سمو الصنعة واتقانها وقصارى القول ان اهل بومبي كانوا عائشين في رغدٍ ونعيم يقضون حياتهم بين الصفا وحب الفنون

صورها . — لما وقفنا في مساكن بومبي وقعت عيوننا على الصور البديعة الالوان المرسومة بغاية الاتقان قرّةً للعيون و يستدل منها على عوائد الرومانيين في ذلك الزمان لا بل على شواعر سكان المنازل التي نقشت فيها

وقد نشر العلماء الكتب العديدة في جلاء غوامض هذه الرسوم وكشف رموزها واخصهم العلاَّمة « هلبيك » الذي اثبت الفي صورة منقولة عن منازل هذه المدينة وذكر ان ثلاثة ارباعها تمثل حوادث ميتيولوجية اي متعلقة بالالهة وقواعد الدين وبحكايات الابطال الاقدمين واستنتج من ذلك ان اصول الدين كانت لم تزل في ذلك العهد راسخة في قلوب الامة

ومن العجب العجاب ان هذه الرسوم قد نقشها الرسامون في وقتٍ ابتدأ عنده انتشار الدين المسيحي [1] ولما جاء مار بولس الرسول وانطلق من « بوزبول » او « بوطيولي » الى رومية (اعمال الرسل ص ٢٨ عد ١٣) مرَّ بتلك البلاد المشحونة بيوتها وابنيتها بالرسوم العشقية والوثنية وبذل غاية جهده في حض الناس على عبادة الله وكان يرشدهم ضمن منازلهم وصور دينهم نصب اعينهم في كل حين فكان هذا الامر مانعاً عظيماً في سبيل انتشار الدين المسيحي ـ المناقض كل التناقض لدينهم ومن المقرر ان الروماني كان شديد التعلق بالهته المرسومة امامه على جدران بيته او في مضجعه وفي سائر غرفه فكان يشق عليه ان يخلّي تعظيم الهة نقش ذكرها على لوح صدره او يترك ذكرها ووضع حبها وهو في مهده ليعتنق ديناً اخر مخالفاً لمبادئه ـ ولذلك اصاب اباء الكنيسة بقولهم : ان الوثني معتصم بحب الهته لانه تعرّف بها منذ طفوليته

وفضلاً عن ذلك ان الصور الغرامية والعشقية كانت مفضّلة على سواها بين الرسوم الميتيولوجية ـ فترى المشتري لا يشغل الا باستمالة « داناية » وخاطر « ايو » « وليدا » (وكلهنّ من بنات الالهات) ولا يهمُّ الا خطف « أُوربا » الالهة ـ

---

(١) من المعلوم ان ابنية مدينة بومبي قد تجددت على اثر الزلزال الذي قوضها سنة ٦٥ للمسيح وكان تجديدها على نسق ابنية رومية التي شادها الرومانيون بامر نيرون بعد تدميرها بالنار لعهده ـ

وفي الاثني عشر رسم لابولون نرى هذا الاله راكضاً وراء « دَفنه » – و« الزُهرة » مرتمية بين ذراعي « المريخ » في خمس عشرة صورة ومعانقة ادونيس في ستة عشرة – وهكذا قل عن اكثر التصاوير التي تمثّل حوادث غرامية ولا حاجة الى تعدادها –
وعلى هذا النسق استبدل الرومانيون تدريجاً قواعد دينهم المستحدثة بحوادث هزلية وخلاعية – فكان ذلك للمبشّرين بالمسيح سبباً عززوا فيه حجتهم على فراغ قلوبهم من شعار الاداب والدين وعلى تمسكهم باباطيل زاغت معها قلوبهم واخلاقهم واتخذ المسيحيون ايضاً تلك الرسوم برهاناً يحمل الوثنيين على هجر محبة المتهم وترك التعلق بها

***

الحكم على الصور من حيث فن الرسم · — انتقد الاقدمون انفسهم على الصور والنقوش التي كانت في بومبي وادّعوا انها غير متقنة فنّاً ولم يخترع النقّاشون موضوعها بل نقلوها عن رسوم العلماء الاقدمين الذين برعوا بهذه الصناعة وانقرضوا · وفي هذا الموضوع تكلّم « بترون » نديم الملك نيرون المشهور بحذاقته وثقوب عقله · قال في بعض مصنفاته بلسان احد المنتقدين :

كانت الصنائع والفنون الدقيقة مزهرة في الاجيال السالفة المعروفة بالاجيال الذهبية « يريد بها ايام السعد والفلاح » حيث كانت الفضيلة محبوبة حبّاً حقيقياً خالياً من كل شائبة – فهل يأخذنا العجب مما يبدو لنا من اهمال هذه الفنون اذا عرفنا ان الالهة والبشر صاروا يؤثرون سبيكةً من ذهبٍ على جميع التماثيل والرسوم التي عُني بصنعها اليونان الاقدمون ارباب البراعة « كفيدياس » و« وأبيلس » – لعمري ان فنّ الرسم الحقيقي انقرض ولم يبقَ له اثر · اه ·

اما المعلمون المحدثون فلا يرون رأي بترون بحكمه الصارم وكأني بهم يذكرونه بقول الشاعر العربي :

أُولع الناس بمدح القديم وبذمّ الجديد غير الذميم
ليس ذا غير انهم حسدوا الـ ـحيّ وحنوا الى عظام رميم

و يقولون ولئن كانت الرسوم التي نراها في بومبي غير اصلية الوضع فانها حفظت

لنا مثال الاصل الذي اضمحل وزال وهي ثمينة لدينا وان لسكان تلك المدينة فضلاً جزيلاً علينا لانهم لم يحرمونا لذة التمتع بهذه الرسوم بل منوا لنا النظر الى اثار تلك القرون الغابرة حيث ارتقى فيها الفن اسمى درجة من الكمال ولولاهم ما كنا ادركنا هذا الوطر

***

الكتابات . — ما اكثرها على الجدران في المنازل والاسواق ما بين جدية وهزلية وغرامية يخاطب بها العاشق عشيقته والمحبوبة حبيبها وبقي قسم عظيم من هذه الكتابات التي سطرها السوقة الى يوم اكتشاف المدينة وكان بعضها مسطوراً بقطعة من الفحم على الحيطان واننا مع اجتناب الاسهاب في هذا الباب لا نتمالك انفسنا من القول بعد الذي شاهدناه : ان الانسان الذي يطوف في تلك الاماكن وكان يحسبها خراباً لانها دُفنت تحت الرماد مدة ثمانية عشر قرناً يرى عكس ما كان يتوهمه — اذ يرى ذاته في بلدة عامرة لم تخلُ منها الحيوة وكل ما شخص فيها يحدثهُ عن اثار اهلها الذين عاشوا في القرن الاول من التاريخ المسيحي وفي مدينة بعيدة عن قاعدة ملكهم ويكشف له ما كان يدور في خلدهم وما كانوا يشتغلون بهِ كشفاً تعجز عن وصفه التواريخ المفصلة

***

منزل شيسلس يوكندس وقراطيس حساباته : كان هذا الرجل صيرفياً . فبنى له منزلاً مذكوراً بما ضمهُ لان الحفارين وجدوا فيه عند ما رفعوا عنه الردم قراطيس او صحائف وعت حساباته وطريقة تعامله مع الزبائن ويعد ذلك من الاكتشافات الغريبة

ولا يدل ظاهر المنزل المنوه به على ثروة بانيهِ لان صاحبهُ قد تعمد اجتناب الزينة الظاهرة صيانة لنفسه وماله — ومع ذلك لا يلبث الواقف فيه والناظر الى ترتيبه وما حواه من الرسوم والنقوش ان يستدل بذلك على انه كان لاحد وجهاء المدينة واكابرها

ولما ظهر اول مرة للعيان في اليوم الثالث من تموز سنة ١٨٧٥ عثر الباحثون فوق باب الدار الداخلية على طاقة فيها صندوقة ضمنها الواح او قراطيس كان الرومانيون ينقلون عليها بعض كتاباتهم او صورة حساباتهم. واما الرسائل والكتب التي كانوا يحرصون عليها فكانوا يثبتونها على الرق. والالواح المذكورة عبارة عن اخشاب رقيقة مدهونة بالشمع ومرتبط بعضها ببعض ارتباط دفات الكتب فكانوا يكتبون على الشمع بمنقاش من حديد

ومن الغرائب ان هذه الالواح السريعة العطب قد حفظت ثمانية عشر قرناً رغماً عن رطوبة الهواء وسقوط الرماد والحجارة على ابنية بومبي . ولكنها كانت بحالة يرثى لها من الفساد كانها قطعة فحم مكلسة وزاد فسادها وقوع اشعة النور عليها بعد انحجابها عنها مدة اجيال فاسقطتها فتاتاً . ومع ذلك نقلها الحفارون الى دار التحف في نابولي حيث عني المعلمون الماهرون في جمع تلك الشتات وتفريق بعضها عن بعض ونظروا في القراطيس التي كان لم يزل الشمع راسخاً عليها فتمكنوا من استجلاء سطورها والارقام الحسابية المخطوطة بالمنقاش

قال العلامة « دي بترا » الذي اعتني بتلاوة تلك القراطيس انه كان في صندوقة « يوكندس » البمبي ١٣٢ صكاً مذيلة بتواقيع المتعاملين معه قرأنا منها ١٢٧ صكاً متعلقة ببيع الاموال بالمناداة (الحراج) . والظاهر ان البيع بالمناداة كان محصوراً في زمان الرومانيين في اموال المفلسين او الذي يتعذر عليه توفية الديون المطلوبة منه . ثم جرت العادة ان تباع الاموال كذلك في اي وقت ارادوا ولهذا بنوا في الامصار اندية خاصة فسيحة يعرضون فيها السلع والاموال التي يراد بيعها بالمناداة وكان يتعين على بائعها ان يدون حساباتها ويعطي عنها شرحاً وافياً ولا يكلف هذه المهمة الا من كان ذا ثروة صيرفياً ومهنته تسليف النقود

ولهذا كان « شيسلس يوكندس » محترفاً بهذه الحرفة يصيب منها مالاً جزيلاً ولم يكن يكتفي بأخذ الجعالة (الكومسيون) فقط لقاء اتعابه بل كان يسلف اصحاب الاموال النقود قبل اوان بيعها ويأخذ ربح ما يسلفه وكان في جملة هذه الصكوك ما كان له علاقة مع رجال البلدية لتضمين بعض عائداتها فدلّنا هذا الاكتشاف على ان المهنة التي يتعاطاها بعض تجار اليوم هي قديمة العهد ومن بقايا



الاعصر الخوالي . اه

***

دار وتسي وصورة عقاب اكتيون . — كشفت هذه الدار سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ ; وهي من اجمل دور بومبي في داخلها اروقة مسقوفة على اعمدة محفورة ولهذه الاعمدة قواعد منقوشة نقشاً بديعاً وعند كل زاوية من زواياها بركة ماء مستديرة ولينوفرة و بجانبها حوض مستطيل الشكل تنصبّ الماء اليه . و بجانب الاعمدة قواعد كانت قد نصبت عليها تماثيل منها تمثالان نحاسيان يمثلان غلامين منصوبين الواحد بازاء الآخر وكلٌّ منهما حاملٌ بيده بطاً تتساقط الماء من فمه و بينهما تمثال باخوس (اله الخمر) وعلى اطرافه اعمدة رفيعة عليها روءوس ضاحكة من رخام

ولم تتوقف زينة الدار على هذه التماثيل وبرك الماء والاساطين الجميلة بل هناك من تزاويق جدرانها وزخارفها وصورها ما يأخذ بالابصار دهشة وعجباً بل كانك في دار تحف ٍ جمعت اثاراً نفيسة . ومعظم رسوم هذه الدار يخبر بحكايات الالهة منها صورة عقاب « اكتيون » محفوظة بالوانها واشكالها تماماً وهاك شرحها . يرى المجرم « اكتيون » مشدوداً الى دولاب وامامه « هيفايستس » الذي شدّ وثاقه ورمى بمرزبته ومنتفه الى الارض و بجانبه « هرمس » كأنه ينتظر صدق الاوامر الالهية

وفي وسط الصورة شكل امرأة جالسة وعليها شارات الحزن وكأنها روح من ارواح الموتى ولسان حالها يقول : ان عذاب المرء في الاخرة وليس في الدنيا . ـ وذراعها مرفوع لتأثرها من شدة الالم الذي يلم بالمجرم وقد زعم قومٌ ان هيئة تلك الامرأة تشبه صورة مريم العذراء التي نقلها كثيرون من المصورين الايتاليين

ثم في الجهة اليمنى صورة امرأتين جميلتين للغاية كانهما من عالم الارواح وعليهما سيماء الكمال فالواحدة هي « يونون » او امُّ الالهة جالسة على عرش ٍ و بيدها الصولجان والثانية صبية واقفة عند اكتافها وهي « ايريس » كملاك ٍ سماوي او رسول امين وهي تنظر الى يونون وتشير بيدها الى المجرم الذي اغاظها متوعدة اياه بالعقاب لارتكابه المنكر او لهجسه بما يمسّ عفافها . —

***

صورة ذبيحة افيجياني في بيت الشاعر « غلوقس » . — من اجمل ما وجد الايتاليون ايضاً في بومبي من الرسوم صورة ذبيحة افيجياني في بيت نسبوه الى الشاعر غلوقس ثم نقلوها الى دار التحف في نابولي وهاك تفصيلها :

ترى افيجياني في هذا الرسم محمولة على اكف « اوليس وديوميداس » لتذبح ضحية للالهة ودموعها تهطل من عينيها ويداها مرتفعتان اما ابوها « اغا ممنون » فهو واقف جانباً يستر وجهه لئلا يكون شاهداً لموت ابنته وفي جانب اخر صورة الجلاد « كلخاس » قابضاً على سكين ومتأهباً لذبح الضحية وعلى وجهه لوائح الحزن والكآبة . وبجانب اغا ممنون عمود عليه تمثال « ارتاميس » ماسكاً بيده شمعتين وعند اقدامه كلبان يحرسانه

ثم ترى « ديانا » اتية من العلا ملتحفة بضباب لطيف وبازائها كبش او ظبي معدّ للحرقة بدلاً من افيجياني وكأنّ ديانا تقول : انني ارتضي بهذه الكفارة

ذهب العلاّمة هلبيك الى ان الصورة التي وصفناها تعد من الرسوم البديعة بحسن وقعها وجمال الوانها وشكل ملابس اشخاصها ويمكن وضعها بمصاف الرسوم القديمة التي امتازت حسناً واتقاناً

« الفوروم » — ومن المواضع التي جلنا فيها هو « الفوروم » او ساحة الامة التي كان يجتمع اليها اهل البلد لانتخاب القضاة او للمباحثة في المصالح العمومية وفيها الاسواق ومجالس الحكام وحولها الهياكل والمذابح والمدارس والمراسح ولا تزال فيها اثار هذه الابنية التي يقتضي اياماً للبحث عن خصائصها وتضيق المجلدات دون وصفها

وسنأتي في القسم الثاني على الكلام في ساحة الامة في رومية فنقف منه على ما كان يجري من الامور والحوادث في تلك الساحات على عهد الروم

***

مدافن بومبي — لم يسمح لنا الوقت بالذهاب الى خارج البلدة لنشاهد



صورة ذبيحة افيجياني في بيت الشاعر غلوقس في بمبي
(كتاب انفس الاثار في اشهر الامصار صفحة ٢٦)

صفوف المدافن الجميلة التي بناها البومبيون على مسافة ٢٥٠ متراً وكلها محفوظة سالمة من الخراب ـ وكان للاقدمين ايام معينة يزورون فيها القبور و يعظمون ذكر الذين انطلقوا الى الابدية

***

فوهة البركان . — وكثير من السيّاح يبلغون ذروة جبل فيزوف عندما تكون انفاسه خامدة فيطوفون حول فوهته التي تتصاعد منها النار والدخان وقانا الله من شرّه .

***

دار التحف في نابولي . ـ ولما انتهينا من التجول في بومبي تناولنا طعام الغداء في احدى الدساكر ورجعنا الى نابولي على القطار الحديدي وذهبنا تواً الى دار التحف . وما ادراك ما هي : دارٌ من افخر الابنية واضخمها واجلها واعظمها فيها غرف كثيرة مشحونة بالآثار النفيسة فتقصينا الطبقة الاولى وفيها تماثيل الرخام والنحاس منها تمثال « هرقل » المشهور اشتغله الصناع اليونانيون البارعون ومنها الثور المعروف بثور « فَرْنِزْ » وحوله اشخاص متعددة من انفس الاشغال الرخامية وله حكاية غريبة ـ ثم رأينا الاواني الزجاجية والقوارير الخزفية ويزيد عددها عن الخمسة الاف و يقال ان هذه الآنية الخزفية هي اثمن من كل ما يماثلها في سائر دور التحف الاوروبية

ويزيد قدر هذه الدار وفضلها بالآثار المستخرجة من « بومبي » و « هرقولانم » منها الصور المنقوشة على جدران تينك المدينتين كصورة ذبيحة « افيجياني » التي ذكرناها بصفحة ٣٥ وصور الرقاصات الجميلة نقلت الى نابولي ومنها الادراج المحكمة الحاوية تآليف الرومان وتصانيفهم وادوات الزينة النسائية كالحلق والاساور والخواتم والخرصان وما شاكلها

ثم صعدنا الى الطبقة الثانية حيث القاعات الرحبة المزينة بصور مشاهير الرسامين وقسمٌ عظيم منها يمثل بعض حوادث العهدين القديم والجديد وصورة الشهداء والقديسين ـ وقد استوقفت نظرنا صورة السيد المسيح يخاطب السامرية

للعلم فتنانا وغيرها من الصور النفيسة اشكالاً والوانًا فجلنا في تلك القاعات بسرعة لا مزيد عليها مع انه يقتضي لمشاهدتها ساعات لا بل ايام متعددة

ولم يتيسر لنا الدخول الى دار المسكوكات القديمة المشهورة في نابولي لان ابوابها تقفل في الصيف الساعة الثالثة بعد الظهر — ويقال ان قد جمعت من النقود القديمة نحو خمسين الف قطعة

٭

الكنائس في نابولي : كنائسها عديدة اكثر من ان تحصى وقسمٌ عظيم منها بني في القرون الوسطى واشهرها كنيسة القديس « جانو يارو » شفيع المدينة يقال انه في كل سنة يوم عيد هذا القديس يتساقط من جسده المحفوظ ضمن الكنيسة بعض نقط من الدم وتعرف هذه الكنيسة باسم القبة لجمالها الباهر ورسومها البديعة — ولها ثلاث باحات تفصلها مائة وعشرة اعمدة وكلها من الصوان اخذت من الهيا كل الوثنية وفيها اكثر من مائة معبد (كابلة) ومن خارجها عند مدخلها عمودان من البرفير — ومن عجائبها حوض العماد فانه مصنوع من حجر اليشب منصوب على قاعدة برفيرية وعليها نقوش ناتئة ذات رموز وثنية · وهناك ايضاً قبور كثيرين من الملوك والامراء يقصر اللسان عن وصفها

ونذكر ايضاً غيرها من الكنائس الشهيرة التي تضاهي كنائس رومية فخرًا وبهاءً فلم يساعدنا الوقت على زيارتها منها كنيسة مار « فيلبس نيري » وفيها تماثيل نحتها ابرع المعلمين وكنيسة القديسة « رستيتوتا » بناها الملك قسطنطين فوق هيكل نبتون وكنيسة القديسة « كلارا » ومار « عبد الاحد » والقديس « مرتينس » وكنيسة العذراء الورعة ومار بولس ومار يعقوب ومار « فرديننـد » ومار انطونيوس والثالوث الاقدس ومار « لورنسيو » والرسل وكلها كنائس فخيمة وهيهات ان يحصي القلم سائر المعابد النابولية

٭

خزائن الكتب · — في نابولي اربع خزائن كتب عمومية الواحدة متصلة بدار التحف وتحوي مائتي الف مجلد منها ثلاثة الاف مخطوطة باليد والثانية اسمها

خزانة « برانكاشيانا » وفيها سبعون الف كتاب مطبوع وسبعة الاف مخطوطة باليد ثم خزانة على اسم القديس « فيلبس نيرسي » ثم خزانة المدرسة الجامعة (الاونيفرسيتا)

المتسولون : يطوفون المدينة ويجولون في ازقتها واسواقها باسطين ايديهم لطلب الصدقة خلافاً لاهل المدن الاوروبية حيث حظرّ التسول عندهم - وفي نابولي فقراء كثيرون ولهم احياء قذرة وبيوت حقيرة - انما مع وجودهم في حالة الفاقة والمسكنة فالغالب على طبعهم اللهو والطرب فيرقصون ويغنون مساءً كان او صباحاً ليلاً او نهاراً وقلّ ما يشغلهم الهمّ والحزن

وعلمنا ان النشالين فيها ذو مهارةٍ وحذق فاذا لم ينتبه الغريب اليهم سرقوه لا محالة والسرقة خلة عند جماعة كثيرين من النابوليين فعلى المسافر ان يحترس منهم في اي موضع ذهب اليه وعلى الخصوص في الاماكن التي يزدحم فيها القوم فانهم ينزعون منه الدراهم والحلى بخفةٍ وهو لا يشعر



القسم الثاني

في رومية العظمى وما فيها من النفائس والعجائب

«وذكر انتخاب البابا بيوس العاشر»

يوم الخميس في ٣٠ من تموز

(الوصول الى رومية . ـ كنيسة مار بطرس الواتيكانية . ـ لمحة من تاريخ الكنيسة البطرسية وذكر بعض اثارها . ـ داخل الكنيسة . ـ الساحة . ـ آيا صوفية في القسطنطينية)

الوصول الى رومية . ـ سافرنا من نابولي على القطار الساعة الحادية عشرة وربع مساءً اي قبل نصف الليل بثلاثة ارباع الساعة والمسافة بين رومية ونابولي ٢٦٢ كيلومترًا . وكان قلبنا يخفق فرحًا كلما دنونا من رومية العظمى مقر الملوك والقياصرة الذين دانت لهم المشارق والمغارب واهتزت لهم الارض هيبة ووقارًا من كل جانب تلك المدينة التي بعد ان كانت عاصمة المملكة الرومانية اصبحت قاعدة الدين المسيحي ومنها انتشرت انوار العلم والدين في اقطار الدنيا

وعند الفجر لاح لنا خيالها بما حولها من الضواحي في بسيط من الارض ثم قربنا منها عند بزوغ الشمس ووصلناها الساعة السابعة افرنجية صباحًا فنزلنا من القطار وقد اخذ منا العياء في سفرٍ لم يذق جفننا في خلاله طعم الكرى

واتفق ان منزل ابن عمتنا قريبٌ من المحطة فذهبنا اليه مشاة وفي الطريق مررنا بساحة كبيرة في وسطها بركة واسعة لها ميئات من النوافير تنضح منها الماء

بقوة وحولها تماثيل خيلٍ ضخمة على صهواتها نساء عراة الابدان من الرخام الاسود

ولما وصلنا الى البيت الذي نقصده الواقع بزقاق « فيرنسا » على مقربة من قصر الملك دخلناه على الرحب والسعة لان ابن عمتنا المنسنيور هبرا كان قد تقدمنا اليه لاستقبالنا والاحتفاء بنا واعمل الالة الكهربائية فاضاء البيت وتدفقت منه الانوار لانه كان في كل حجرةٍ من داره مصباح كهربائي يستنار به في اي وقتٍ كان ليلاً او نهارًا فاعجبنا هذا الترتيب الجميل الذي يحفظ المنازل نظيفة دون مزيد عناء

ومكثنا مقيمين في البيت حتى الظهر حيث تناولنا طعام الغداء ثم انطلقنا الى مخادعنا التي هيأ ها لي ولاخي بقصد القيلولة « المزيجرنو » وهي كلمة ايتالية تأ ويلها نصف النهار فما اصدق معناها في رومية لما وضعت له لان الروماني الا يستطيع تجنب النوم بعد الظهر ولو ساعةً من الزمان ولا سيا في زمن الصيف لشدة الحرّ الذي يحدث فيها

***

كنيسة مار بطرس الواتيكانية . — عند نهوضنا من الرقاد عزمنا قبل كل شيء ان نزور الكنيسة البطرسية . فرافقنا اليها الشاب الاديب الموسيو فايان حسني وهو مقيم برومية لاقتباس فن التصوير وكانت الساعة نحو الخامسة بعد الظهر. فركبنا الترامواي الكهربائي ببدل لا يتجاوز ثلاثين باره عن كل راكب ولما وصلنا الساحة التي تتقدم الكنيسة وقفنا برهةً نتأملها لانها تدهش الابصار واول ما لحناه المسلة الفرعونية المنصوبة في وسطها وعلى جانبيها بركتان جميلتان تتدفق منها المياه بغزارة وسيأ تي الكلام على هذه الساحة

ولما وطئنا ارض الكنيسة استحوزت علينا الدهشة فاخذنا نمشي الهوينا متفرسين في ما يحف بنا من طرائف الفن ودقيق الصناعة ونحن لا ندري كيف نستجلي ما تضمنته انحاؤها

أ ننظر الى حيطانها المنقوشة والمزينة بالرسوم البديعة المختلفة الالوان او نتطلع الى صحنها المرصوف بالرخام الابيض او الاحمر القاني او نرفع الحاظنا الى القبة العظيمة البنيان التي تعدُّ من عجائب الزمان او نتأ مل قواعدها واركانها الضخمة المنشأة كلها بالرخام . فهناك التماثيل العظيمة التي تذهل العقل بدقة صنعتها حتى

ان الانسان يحسبها ذات ارواح و يتوهم ان الالبسة التي عليها هي من الخز والقطيفة [1] و يعلو المذبح الخاص بالحبر الاعظم مظلة جميلة مصنوعة من النحاس الاسود يبلغ ثقلها ٧٦ الف كيلوغرام · وقد تعدّدت القائمة حول الكنيسة والمتصلة بها حيث تقدم عليها كل يوم الذبيحة وتقام فيها الصلاة · فاذا دخل الزائر الكنيسة لا يعرف اين تقدم الذبيحة و يقضي زماناً ليس بيسير للاهتداء الى ما يقصده · ومع هذا الاتساع يشمل نظر الواقف في صحن الكنيسة اكثر جهاتها ولا سيما قبتها الرفيعة

ورأينا مخطوطاً على الرخام في ارض الكنيسة مقياس الكنائس الكبرى الموجودة في الدنيا ومعارضتها بها فمقياس طولها ١٨٧ متراً ما خلا الرواق وضخامة الجدران والاركان و يبلغ طول كنيسة مار بولس في لندن ١٥٨ متراً وكنيسة فيرنسا ١٤٩ وكنيسة ميلانو ١٣٥ وجامع آيا صوفيا في قسطنطينية ١٠٨ امتار

◎◎◎

لمعةٌ من تاريخ الكنيسة البطرسية وذكر بعض آثارها · — جاء في التاريخ : ان هذه الكنيسة بناها الملك قسطنطين الكبير امتثالاً لرغبة البابا « سلوسترُس » وذلك في الموضع الذي انشأ فيه نيرون مرمحاً للخيل واستشهد فيه مار بطرس الرسول وكان جسد هذا القديس موضوعاً في صندوق من نحاس فاتوا به الى تلك الكنيسة التي غشوا حيطانها بالرخام ونمقوها بالذهب والفسيفساء وكان يتقدمها ساحة و يحيط بها ديار ومعابد صغيرة · وفي سنة ٨٠٠ للمسيح اقتبل بها الملك « كرلمان » التاج الملكي من يدَيْ البابا لاون الثالث و بعد ذلك تتوّج فيها كثيرون من الملوك والاحبار

---

(١) و بينا كنا نتجول في الكنيسة وقع نظري على احد المذابح فرأيت جمجمة مغطاة بنقاب احمر من الحرير وكان ذلك النقاب موضوعاً بلا نظام ومجعداً في بعض اطرافه فقلتُ بنفسي لا شك ان الخدمة هنا لا يعتنون بترتيب المعبد لسعة ارجائه ولكن لما دنوتُ من ذلك الغطاء رأيته رخاماً ولم اثبته حتى لمسته بيدي

واصابتها عين الزمان فخرب جانب منهـا ولذا عزم البابا نيقولاوس الخامس عام ١٤٥٠ ان يجدّدها فأمر ببناء صدر الكنيسة كما رسمها له المهندس الغيور نتيني « برنردو روسيليانو » وكان قد وسع نطاقها عما كان ولما علت جدرانها خمس اقدام عن سطح الارض مات الحبر وتوقف البناء

فاستأنفه يوليوس الثاني بعد مرور خمسين سنة واراد توسيعها فكلف عدة مهندسين ان يرسم لهُ كلٌ منهم رسماً بحسب معرفته ففاق جميعهم « برامنت » المبردي الذي حاز رسمه القبول وهو الذي خطط الكنيسة لتكون على شكل صليب يوناني وفي وسطها قبة عظيمة وعلى جوانبها اربع قباب صغار · وكان وضع اول حجر لهذا البناء سنة ١٥٠٦ في اليوم الثامن عشر من نيسان بحضرة ٣٥ كردينالاً ولم يكمل وقتئذٍ البناء وقد اشتغل به غيره من المهندسين الماهرين نظير « يوليانوس سنكالو » ورافائيل [١] وغيرهما الى ان نبغ المعلم الحاذق البارع « ميكلانج » [٢] القائم الصيت (سنة ١٥٤٦) واستأنف رسم « برامنت » المبردي غير انهُ بدَّل شكل الصليب اليوناني بصليب لاتيني ورتب بناء القبة الشاهقة كما هي الان

وكان البابا بولس الثالث قد سمى « ميكلانج » مهندس الكنيسة البطرسية وعين له راتباً سنوياً مقداره ستمائة دينار ذهباً اما ميكلانج فابى قبضه ولبث سبع عشرة سنة يناظر ويشارف ويتمهد مجاناً بناء المعبد الذي اغنى كثيرين غيره · وكان هذا المعلم البارع ـ مع حرصه على العفاف ـ هدفاً لسهام حساده ارباب هذه الصناعة

ولما توفي ميكلانج تولى ملاحظة البناء المهندس « ونيولا » ثم قام «جاك دلاّ برتّا » و « دومينيك فنتانا » وهذان الاخيران شرعا في رفع القبة البديعة في ١٥ تموز من سنة ١٥٨٨ على عهد « سكتس » الخامس · فاستأجرا ستمائة فاعل وكانوا يشتغلون بها ليلاً نهاراً والبابا « سكتس » يحضهم على انجاز العمل ويناظرهم الى ان فرغوا منها في الخامس عشر من ايار سنة ١٥٩٠ وبارك

---

(١) ولد « رافائيل سنزيو » سنة ١٤٩٣ ومات سنة ١٥٢٠

(٢) ولد « ميكلانج بيوناروتي » سنة ١٤٧٤ ومات سنة ١٥٦٤

هذا الحبر آخر حجر منها في اثناء القداس الذي احتفل به ذلك النهار وأُطلقت المدافع من حصن « صنت أنج » حين تركيبه على القبة

وقد عاب بعض المهندسين بحق التسريع ببناء القبة التي كان يقتضى لها نحو من عشر سنوات مع انها أُكملت في تسعة وعشرين شهرًا وهي لعمري قبة بديعة الشكل عظيمة البنيان يعجز عن تشييد مثلها امهر المهندسين

ثم انجز بناء الكنيسة البطرمية المهندس « ليبرنين » وهو الذي اراد ان يقيم قبتين للاجراس فبنى احداها ثم هدمها اتقاء ثقلها لانه تبين له عجز الاساس عن احتمال ثقل القبتين . و يستدل مما ذكر على ان بناء الكنيسة قد استغرق مائة وثماني سنوات متوالية . وكان تدشينها على عهد البابا « أُربانس » الثامن في ١٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٢٦ ومقدار نفقتها ٢٣٥ مليون فرنك . وينفق على ترميمها سنويًا زهاء ١٨٠ الف فرنك

واضاف اليها البابا « بيوس » السادس ملبسًا للكهنة « سكرستيا » انفق في بنائها اربعة ملايين ونصف من الفرنكات وهي مؤلفة من ثلاثة معابد ورواق تسنده العمد ونقش على جدرانها كتابات مختلفة وزينها بتماثيل وصور جميلة جدًا

وتبلغ مساحة الكنيسة ١٥١٦٠ مترًا مربعًا مع ان الكنيسة الكاتدرائية في ميلان لا تبلغ أكثر من ٨٤٠٦ امتار مربعة ومار بولس بلندن ٧٨٧٥ وايا صوفيا في قسطنطينية ٦٨٩٠ وكاندراء كولونيا ٦١٦٦ و « نتردام باريس » ٥٩٥٥ مترًا

اما واجهتها فعرضها ١١٢ مترًا و ٦٠ سنتيمترًا وعلوها ٤٤ مترًا و ٢٠ سنتيمترًا ولها ثمانية اعمدة ضخمة واربعة اركان مربعة وست ركائز على الطرز القورنتي و يعلو سطحها تماثيل المخلص والرسل طول كلٍ منها ٥ امتار وسبعين سنتيمترًا وعلى افريز الواجهة كتابة تخبر بان باني الكنيسة هو البابا « بولس الخامس » البرغيزي سنة ١٦١٢

وفوق الواجهة مطلة (لوجيا) يشرف منها البابا على الشعب المجتمع في الساحة ايام الاعياد الحافلة فيمنحه البركة وفي تلك المطلة كان يتوَّجه الكرادلة

ويبلغ طول الرواق القائم امام الكنيسة ٧١ مترًا وارتفاعه ٢٠ وجوه ١٣،٥٠ وسقفه منقوش ومزين بالرسوم الجميلة وفي جانبيه تمثالان نحاسيان الواحد يمثل

قسطنطين الكبير والثاني كرلمان وكلاهما على صهو الجواد

ولها خمسة ابواب على خطٍ واحد اوله وسمه الباب المقدس من الجهة اليمنى لا يفتح الا في سني اليوبيل اي مرةً كل خمس وعشرين سنة والباب الذي في الوسط يدعى الباب النحاسي محفور عليه صور ذات رموز وثنية ومسيحية معاً أمر بصنعه البابا « اوجانيوس الرابع » في سني ١٤٣٩ و ١٤٤٥

***

داخل الكنيسة . — يكل الوصف عما تحويه الكنيسة من الكنوز والنفائس والذخائر فلذلك نقتصر على ذكر المشهور منه فنقول :

عند الدخول من احد ابواب الكنيسة الكبرى الملقبة باسم « باسيليقا » يطئ الزائر ارضاً مفروشة بالرخام المجزّع ويقع بصره على حيطان القواعد العظيمة المكسوة ايضاً بالرخام الملوّن . ويرى على القاعدة الاولى يميناً وشمالاً حوضين لماء المصلّى يسندها غلامان واقفان يخيّل للناظر اليهما عن بعد انهما حيّان . وعلى القاعدة من الجهة اليمنى تمثال مار بطرس من نحاس اسود وقد نحتت رجله من كثرة القبل تبركاً

واذا تقدم المرء قليلاً الى الامام شاهد القبة العظيمة مرتكزة على اربعة اركان ضخمة محيط كل منه ٧١ متراً وفي كلٍ منها شبه طاقة عليها تماثيل كل من القديسة « ويرونيكا » والقديس « لنجينس » والقديسة « هيلانة » والقديس « اندراوس » وعلو التمثال خمسة امتار وفوق التماثيل شرُفاتٍ تُعرض منها بعض الذخائر المقدسة في ايام الاعياد ويعلو تلك الشرفات صور الانجيليين الاربعة كلها مرصعة بالفسيفساء وعلى افريز القبة كتابة لاتينية منقوشة باحرف ناتئة يبلغ كبر الحرف منها مترين وهذا تعريبها :

انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي ولك اعطي مفاتيح الملكوت السماوي .

وتحت القبة مظلة نحاسية يسندها اربعة اعمدة مموّهة بالذهب وقد انشأها البابا « اربانس الثامن » سنة ١٦٣٣ وهي ثمينة للغاية يبلغ علوها ٢٩ متراً وفي سفحها المذبح الذي يقدم عليه البابا ذبيحة القداس في الاعياد والمواسم الرسمية .

والى جانب المذبح مغارة محفوظ فيها لحد هامة الرسل يُنزل اليها بدرج وعلى الدرج ٨٩ قنديلاً تُسرج ليلاً ونهاراً وفي آخر الدرج تمثال البابا « بيوس السادس » يمثله جاثياً على ركبتيه وفي حالة الابتهال لربه وقد نحته « كانوفا » المشهور

وفي صدر الكنيسه الاريكة البطرسية وهي ايضاً من نحاس ملون تسندها تماثيل اساطين الكنيسة وهم القديسون « امبروسيوس » و « اغسطينس » و « اثناسيوس » و « يوحنا فم الذهب » وثقل هذه الاريكة ٧٣٢٦٠ كيلوغراماً

هذا ما كان من صحن الكنيسة وقبتها ومذبحها الحَبري واما اذا طاف الزائر حولها فيستحوز عليه الذهول لما هنالك من المعابد والهياكل العديدة وفي كل منها رسوم كبيرة جداً مرصعة كلها بالفسيفساء منقولة عن مشاهير المصورين خلا ما يراه فيها من تماثيل الاحبار والملوك والامراء التي لا تحصى

واكبر المعابد (الكابلاّت) اثنان الواحد يسمى معبد « الخورُس » وفيه ارغنان وتقام فيه القداسات الملحنة في ايام الاحاد والاعياد ولا يدخلها من الرجال والنساء الاّ بالبزة السوداء . وفيها قبور وتماثيل بديعة . والثاني يُعرف بمعبد القربان المقدس وهو يحاذي معبد الخورُس وفيه يصمد القربان دائماً وكلٌّ من هذين المعبدين وغيرها يحسب كنيسة قائمة بذاتها وله سكرستيا خاصة وكهنة للقيام بخدمته

وتحت الكنيسة المغارة المقدسة التي ذكرناها ولم يتيسر لنا النزول اليها وهي مؤلفة من مغارتين الاولى اسمها المغارة الجديدة وفيها اربعة معابد كبيرة ما عدا المعبد المكرس للرسولين بطرس و بولس وفيها لحد مار بطرس . والثانية اسمها المغارة القديمة وهي اسفل الاولى وطولها ٤٥ متراً وعرضها ١٨ فيها قبور بعض الاحبار والملوك منها قبر البابا « نيقولاوس » الاول (٨٦٧) و « غريغوريوس » الخامس (سنة ٩٩٩) والملك « اوتون » (سنة ٩٨٣) وغيرهم

وجملة القول ان الكنيسة البطرسية هي اعظم الكنائس مساحة واوعبها ذخيرة واجملها هندسة واتقنها بناء واجلها قدراً وقيمة وقد حوت كلّ ما من شأنه ان يجلو الخواطر و يدهش النواظر ويحرك النفس للعبادة و يلقي فيها الهيبة والوقار ولو ان واحداً عمرّ طويلاً وكان ياتيها كل يوم لرأى في كل يوم من النفائس ودقة الصنعة وضروب الزينة والتنميق وجمال الهندسة ما لم يره من قبل وقلما يخرج منها الزائر



ساحة الكنيسة البطرسية في رومة [illegible]

ولا يعلو قمته بارجوحة اليه مرارا كم علقت حتى يصل قمته يملك ان شاء الله تعالى

***

الساحة — خرجنا من الكنيسة ووقفنا عند الدرج الذي يشرف على الساحة لان الكنيسة يصعد اليها بنحو عشر او خمس عشرة درجة وجلسنا على احداها وهي بغاية النظافة فسمعنا عندئذٍ الساعة الكبيرة الموجودة في احد اطراف الكنيسة تدق السادسة على نغم مطرب جداً

وحدقنا نسرح النظر في تلك الساحة الرحبة التي تعدُّ من احسن الساحات في اوروبا واجملها مدى وهي تصلح ان تتقدم اكبر كنيسة في الدنيا. يبلغ طولها ٣٨٠ مترًا وعرضها ٢٤٠ وعلى طرفيها يمنةً ويسرةً قناطر معقودة على شكل نصف دائرة فوق ٢٨٤ عموداً و ٨٨ قاعدة غليظة و يبلغ ارتفاع العمود ٣٦ مترًا يكاد يحيط بكل منها ثلاثة اشخاص باسطين ايديهم . والاعمدة مصفوفة تحت القناطر اربعة اربعة يمرُّ من خلالها عربتان معاً دون حرج ويأوي القوم الى تلك القناطر عندما ترسل الشمس اشعتها الى الساحة. وراينا على سطح القناطر التماثيل الرخامية واحداً واحداً و يبلغ عددها ١٦٢ تمثالاً تمثل رسلاً وقديسين و يبلغ ارتفاع كل منها نحو عشرة امتار واما الناظر اليه من الساحة فيراه لارتفاع مركزه بعلو قامة الانسان

وفي الجهة اليمنى من هذه القناطر الباب النحاسي ومنه تدخل الناس الى القصر الواتيكاني . وفي وسط الساحة المسلة الفرعونية التي اشرنا اليها وعلى جانبيها بركتان تتدفق منها المياه بغزارة الى علوّ شاهق وللمسلة قصة غريبة اقصها عليك :

قيل ان الملك « كاليغولا » نقلها من « هليوبوليس » من اعمال افريقية الى رومية ونصبها في ملعب الخيل الذي بني مكان القصر الواتيكاني ومنه نُقلت الى ساحة مار بطرس سنة ١٥٨٦ بمناظرة المهندس « فنتانا » وقد استعان هذا على نصبها بثمانمائة فاعل . وفي ذلك الوقت حظّر على العملة بموجب امر البابا التفوه بكلمة في اثناء العمل ومن خالف الامر عوقب بالموت . فاتفق ان المهندس ذهل عن تقدير مدى امتداد الحبال التي ربطت بها المسلة واشتدادها . فلما ارتفعت قليلاً عن الارض اشتدت الحبال حتى اوشكت تنقطع فتهبط المسلة قطعاً فما كان من احد الفعلة

المسمى « بريسكا من سنت ريمو » وكان نوتيًّا الا ان صاح باعلى صوته قائلاً :
أسرعوا بماء للحبال » فلساعته رطبوا الحبال بالماء وكان صراخ النوتي سببًا لنجاح
العمل وعوضًا عن ان يعاقب بالموت نال جائزة سنية وهي ان الاحبار انعموا
عليه وعلى ذريته بتقديم اغصان النخل لكنيسة مار بطرس يوم احد الشعانين في
كل سنة

⊛⊛⊛

« آيا صوفيا » في القسطنطينية . — عقيب ان زرنا الكنيسة البطرسية
وشاهدنا عجائبها خطر ببالنا جامع « ايا صوفيا » الذي دخلناه مرات عديدة في
القسطنطينية ذلك البناء البديع الذي انشأه « يستينيانس» الملك وانفق فيه اموالاً
وافرة جدًا وغالى في تنميقه وتزيينه وموّه جدرانه وسقفه بالفضة والذهب ورصعه
بالفسيفساء ورفع له قبة شاهقة تأخذ بالابصار وتحير العقول بهندستها واحكام
وضعها

وبما ان هاتين الكنيستين هما من ابدع كنائس الدنيا واعجبها وضعًا ونظرًا لما
بينهما من التماثل والتقارب يجدر بنا ان نصف لك كنيسة القسطنطينية ونشرح
لك مآثرها ونفائسها وهكذا تتمكن من المقابلة بين المعبد اليوناني والمعبد
الروماني فنقول :

ان جامع ايا صوفيا باقٍ على حاله القديم وقد شيده اولاً قسطنطين الملك [١]
ثم ثارت فتنة على يوحنا فم الذهب في زمن الملك « اركاديوس » سنة ٤٠٤ رأى
عندها هذا القديس الجليل الابتعاد وحين خروجه من الكنيسة طارت شرارة الى

---

(١) من المقرر ان قسطنطين الكبير بنى ثلاثة معابد في القسطنطينية الاول
« ايا صوفيا » ومعناها حكمة القدوس او الحكمة المقدسة والثاني « ايريني » ومعناه
السلام والثالث « انستازيا » ومعناها القيامة . وقد ذكرنا كنيسة ايريني وجه ٥
اما كنيسة انستازيا فهدمت وبني مكانها جامع جميل للغاية اسمه « محمد باشا
صوقللي »

الكرمي البطريركي وانتشرت النار بسرعة عجيبة في الكنيسة فاحرقتها فجدّدها « ناودوسيوس » بن « اركاديوس » . ثم لعبت بها النار مرةً اخرى على عهد « يستينيانس » سنة ٥٣٢ . فقصد هذا الملك ان يجدد بناءها فيجعلها من افخر البنايات مخلّداً بها ذكره . فاستعان على بنائها بعشرة الاف عامل و بمناظرة مائة معلم ورئاسة المهندس « انثاميوس » واستمروا على العمل خمس سنوات متوالية واستجلب لها اعمدة نفيسة من « افسس » واثينا و بعلبك ورومية وصنع لقبتها من الاجر الخفيف الذي احضره من جزيرة رودُس وثقل ست قطع منها يوازي ثقل واحدة وغشى حيطانها بالرخام المجزّع ورصع سقوفها وايواناتها بالفسيفساء والذهب ونقش على جوانب القبة صور الكاروبيم تشبهاً بهيكل سليمان الحكيم

وكانت الحجارة الكريمة تزين اواني الكنيسة ولا سيما مذبحها المصنوع من فضة وذهب ومما كان يزيدها بهاء ورونقاً الشماعدين والقناديل المصفحة بالذهب خلا ما كان هنالك من النفائس التي نضرب صفحاً عنها كالعرش الملوكي والاريكة البطريركية

ذكر ان الملك يستينيانس لما وطّد العزم على بناء هذه الكنيسة قال للمهندس انثاميوس : أَبنِ لي هيكلاً يليق بعظمة الله جلّ جلاله . فاجاب المهندس وقال: مولاي لا يليق بعظمة الله سوى قبة السماء . فقال يستينيانس إذن قلد قبة السماء وجمالها

وبعد الفتح الاسلامي صارت الكنيسة جامعاً وتجرّدت من زينتها الخارجية ورُفعت اوانيها الكنسية لكنها ما زالت على هيئتها القديمة بمحرابها وجدرانها وسقفها وايواناتها . وصور الكاروبيم الاربعة التي في اطرافها حول القبة يرى اثارها الى الان وان يكن تغشت بنقوش جديدة وفي امكنة كثيرة يشاهد اثر صور القديسين على الجدران او على اركان البناء

لا يدل ظاهر البنا من الخارج على ابهته بل هو مربع الشكل في زواياه اربع مآذن عالية والقبة الجميلة تبان عن بعد يحيط بها نوافذ كثيرة احاطة السوار بالمعصم وفوقها هلال من النحاس المذهب وعلى جانبيها شرقاً وغرباً قبتان صغيرتان شبه نصف قبة

و يتقدم هذا البناء بحسب الطقس اليوناني « نرتيكس » داخلي [1] ونرتيكس خارجي وهما اشبه برواق مسقوف طول الواحد منهما ستون مترًا بعرض عشرة امتار وحيطان النرتيكس الداخلي مدبجة بالفسيفساء الذهبية بنقش بديع مختلف الاشكال وفيه تسعة ابواب عظيمة يدخل منها الى الجامع وكلها من خشب مصفح بالنحاس الثمين · اما الان فأُغلق منها اربعة ابواب ومتى دخل المرء من الباب الكبير الواقع في الوسطى منه يرى نفسه كانه بلغ صحن المعبد لان نظره يشمل البناء وهو لعمري منظر تحار منه العقول · وسمعتُ اناساً كثيرين يقولون انه يبدو اكثر بهاء واجمل رونقاً من كنيسة مار بطرس في رومية

والجامع مربع الشكل من داخله طوله ٧٥ مترًا (ما عدا الاروقة والمحراب) وعرضه ٧٠ وفي وسط هذا المربع تنتصب القبة التي يبلغ محيطها ٣٢ مترًا وعلوها من الارض ٦٥ مترًا وهي تحاكي بشكلها قبة السماء يحيط بها اربعون نافذة وقد ذكرناها وحولها سبع قباب صغار او هي نصف قبه مخنية الشكل ايضاً يتخلل كلاً منها خمس نوافذ ينفذ منها ومن منافذ القبة الكبيرة نورٌ لطيف يستنار به في المعبد

و بين الاركان التي قامت عليها القبة اربعة اعمدة عن اليمين وار بعة عن الشمال كلها خضراء اللون وقيل انها كانت لهيكل « افسس » ووراء الاركان ثمانية اعمدة من الارجوان لها ركائز وتيجان من رخام ابيض منقوشة نقشاً بديعاً زعم البعض انها كانت لهيكل الشمس في بعلبك · و يبلغ عدد الاعمدة القائمة في الطبقة السفلى اربعين وعلى طرفي هذه الطبقة محال كانت مختصة بالموعوظين يصل بعضها ببعض قناطر وفوقها ساحة كبيرة رحبة جدًا تتصل بالمرتبة التي فوق النرتيكس وكانت تختص بالنساء · ويسند سقف البناء في هذا الموضع ستون عمودًا مختلفة الالوان ذو قيمةٍ ثمينة وعليها تيجان مختلفة الشكل محفورة حفرًا دقيقاً ومزدانة بانواع الزهور وحول اعلى نقطة من القبة رواق عرضه نحو مترين يتقدمه درابزون من حديد محكم الصنعة

---

(١) النرتيكس هو الرواق الذي كان يخرج اليه الموعوظون في الزمان القديم عند تقدمة الاسرار الالهية اثناء القداس

ونضرب صفحاً عن تعداد باقي النفائس تفادياً من الملل ولم نذكر الزينة التي اكتسى بها هذا البناء بعد ان صار جامعاً لان المراد التكلم عن بناء يستينيانس والمقابلة بين الهندسة اليونانية والهندسة الرومانية

***

قال احد الادباء في كلامه عن آيا صوفيا : ان هذا الرخام وهذه الاواني الذهبية والاساطين الثمينة والقبة التي لم يسبق لها مثال في ذلك العصر والاروقة وتقاطيعها وتفاصيلها جميع ذلك حمل المؤرخين على ان يبالغوا في مديح الهيكل الذي بناه يستينيانس ويقولوا انه من عجائب الزمان · اه ·

وقد روي عن الملك نفسه (وان كانت الرواية غير مثبوتة) انه لما دخله لاول مرةٍ بعد انجازه وتأمل صنعه وزينته الفاخرة صاح قائلاً : قد غلبتك يا سليمان

ولو اردنا ان نقول ان هذا المعبد يفوق هياكل اثينا وقرنتية هندسةً واحكاماً مع ما هو عليه من النظام والاتساع فقولنا مردود لا يطابق حقيقة الحال

وزاد المعلم المذكور على كلامه ما يأتي · ولو افترضنا ان المهندس انتاميوس رجع الى الدنيا ورأت عيناه جميع الابنية الفاخرة التي تشيدت بعد احياء الصنائع الهندسية في القرون المتأخرة لاعترف مقرًّا بان صنعه لا يحسب الا كرسم ابتدائي

ولا ننكر مع ذلك بان الهيئة التي نعاينها في آيا صوفيا تدل على ذوق اهل ذلك العصر حيث كانت الفنون اليونانية قد أخذت في الانحطاط وان لم يكن عفت اثارها تماماً · ولكن شهرة البناء المذكور قامت في القبة البديعة التي اتخذها المهندسون المحدثون مثالاً لم كارأ بناه في بناء الجوامع الشريفة في القسطنطينية والكنائس المسيحية في البلاد الاوروبية

وعلى كل حالٍ لا يقدر المرء ان يحكم قاطعاً بتفضيل بناء على آخر فهذا الحكم نتركه لكل انسانٍ يزور جامع آيا صوفيا والكنيسة البطرسية ولعل الاذواق متباينة في الدنيا فكلٌّ يمدح ما يلوح لديه جميلاً والله خير الحاكمين

﴿ يوم الجمعة في ٣١ من تموز ﴾

المقابر ٠ ـ كنيسة مار لورنسيوس خارج الاسوار ٠ ـ ضريح بيوس التاسع ٠ ـ

المقابر ٠ — رافقنا الموسيو ريشي احد اصدقاء ابن عمتنا لزيارة المقابر العمومية بجانب كنيسة مار لورنسيوس ٠ فوجدنا على ابوابها اربعة تماثيل عظيمة رمز التأمل والسكوت والرجا والصلوة فلما دخلناها وشرعنا نجول في ساحاتها واروقتها لمشاهدة قبورها او المعابد الخصوصية المقامة لبعض عيال رومية تذكرنا وصف والدنا لنا ونحن في حداثتنا مقبرة اللاتين في القسطنطينية اذ كان يطنب بمدح ترتيبها ونظامها ويعدّد محاسنها ومدافنها الموجودة بين الاشجار المورقة والزهور المتألقة ٠ فقلنا بنفسنا ليت والدنا ياتي فيزور هذه المدافن البديعة التي يكلّ اللسان عن وصف نظامها واحصاء مبانيها وتنذهل العيون لكثرة تماثيلها وانتظام قبورها وتفنن الاشجار والزهور التي تحتف بها

ووقفنا عند ضريح امرأة صبية كان زوجها نحاتاً فلشدة تحسره عليها صنع لها تمثالاً يحسبه الناظر حياً ومكثنا برهةً نتأمل شغلهُ ودقة صنعهِ ـ ثم اخذنا نطوف حول سائر المدافن واحداً واحداً فراينا كثيراً منها على شكل المذابح مزينة بالتماثيل والزهور واشكال النقش الحدادي وكلٌ يختلف عن الاخر ـ وكان في بعض المواضع مساند ذات اهداب او ازرار وتماثيل مكسوة بثيابٍ بيض فتوقع بنا الحال مراراً الى الدنو منها ولمسها بيدها لانها كانت تبدو لنا من بعدٍ كانها من قماشٍ وليس من رخام

وفي تلك المقبرة مدفن عظيم للجنود البابا وية والفرنساوية الذي انتصروا على « غريبلدي » في « منتانا » في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٨٦٢

***

كنيسة مار « لورنسيوس » خارج الاسوار ٠ ـ لما انتهينا من زيارة المقبرة

انطلقنا الى كنيسة مار « لورنسيوس » القائمة بجوارها ولهذا القديس سبع كنائس في رومية ـ اخصها المعروفة باسم خارج الاسوار لانها تُعد من الكنائس الكبرى « الباسيليقات » السبع وشهرتها لقدمها فانها من لدن قسطنطين الملك وهو بانيها فوق ضريحي مار « لورنسيوس » والقديسة « سيرياكا » ـ ثم جدَّد بناءها البابا « بيلاجيوس » الثاني سنة ٥٧٨ ويستدل من هندستها على ان الشكل البيزنطي كان في ذلك العصر مفضلاً على غيره حتى في رومية ـ واضاف عليها البابا « اونوريوس » الثالث (سنة ١٢١٦ ـ ١٢٢٧) صحن الكنيسة الجديدة مع المذبح الكبير الذي في صدرها واعتنى اخيرًا بترميمها وتزيينها داخلاً وخارجاً البابا « بيوس » التاسع (سنة ١٨٦٤ ـ ١٨٧٠)

وامام ساحة هذه الكنيسة عمود عليه تمثال مار « لورنسيوس » وللكنيسة مقدَّمة جميلة مزينة برسوم ذات الوان ذهبية اخصها صور مؤسسيها والمعتنين بها وهم « بيلاجيوس » الثاني « وقسطنطين » الملك « واونوريوس » الثالث « وبيوس » التاسع « وسكتس » الثالث « وادريانوس » الاول ـ والرواق الذي يتقدمها له ست اعمدة قديمة وعند احد اطرافها قبة جرس قديمة بنيت في القرن الثالث عشر

اما داخلها فيقسم الى قسمين : الاول منسوب الى « اونوريوس » الثالث ويسنده اثنان وعشرون عمودًا يختلف شكل بعضها عن بعض وعلى الحيطان رسوم ملونة تمثل حيوة القديسين الشهيدين « لورنسيوس » « واسطفانوس »

والثاني منسوب الى « بيلاجيوس » المشار اليه آنفاً وهو الكنيسة القديمة ينخفض موقعها عن الاولى ثلاثة امتار وفي مصلاَّها اثنا عشر عمودًا من الرخام البنفسجي الجميل ولها تيجان منقوشة على النسق القورنتي ـ ومن وراء المذبح ينزل بدرج الى :

ضريح بيوس التاسع . ـ وقد انشىء في هذا المعبد امتثالاً لوصيته وهو من الرخام حوله درابزون حديد في وسط دهليز طويل ـ وجدران هذا الدهليز وسقفه مدهونة بنقوش ورسوم ملونة تقرّ ببهجتها العيون

☀ تابع النهار المذكور ☀

الكنيسة البولسية خارج الاسوار ٠ ـ تاريخ الكنيسة البولسية ٠ ـ دير الاباء البندكتيين ٠ ـ موضع استشهاد مار بولس والثلاثة ينابيع ٠ ـ سجن مار بطرس ٠ ـ ـ

بعد ظهر هذا النهار طفنا بصحبة ابن عمتنا ورافقتنا في طوافنا سيدة مكسيكية مع ابنةٍ صبية لها رشيقة القدّ لينة الجانب ذات عينين براقتين سمراء اللون يلوح عليها سيماء بنات الوجهاء ـ لكننا حُرِمنا لذة محادثتها لانها لا تحسنان التكلم الا باللغة الاسبانية وزرنا معاً عدة اماكن نأتي على ذكرها

الكنيسة البولسية خارج الاسوار ٠ ـ هي من اجمل والطف كنائس رومية وتحسب الثانية بعد الكنيسة البطرسية ـ وعندما يدخلها الزائر ويشاهد اتساعها البالغ ١٢٠ مترًا طولاً في ستين عرضاً ويرى اعمدتها الضخمة ياخذه العجب وتستحوذ عليه الدهشة ٠

وعدد اعمدتها ثمانون مقسومة الى اربعة صفوف وفي كل صف منها عشرون عموداً كلها متناسقة متناسبة كانها مستخرجة من مقلع واحد

قيل ان اربعة وعشرين عمودًا منها كانت لمدفن الملك هدريانس وهي محفورة على نسق واحد ولونها ابيض بنفسجي وبعضها ازرق سماوي ولم يعرف اصلاً انه كان في الازمنة القديمة اعمدة اكثر ثمناً منها ـ اما الاعمدة الاربعة عشر التي تكمل الصفين اللذين في وسط الكنيسة فلونها ابيض رمادي والاعمدة القائمة على الاطراف هي من الصوان واقل ضخامة من الاولى

ومما يزيد رونق الكنيسة زينتها الفاخرة وعجائبها الباهرة من جملتها صور احبار الرومانيين من لدن مار بطرس الرسول الى بيوس التاسع وجميعها مرصعة بالفسيفساء وكبر الصورة نحو متر ونصف وكلفتها نحو اربعة الاف فرنك

ونصب عند مدخل الكنيسة عمودان من الرخام الابيض وبالقرب من مظلة المذبح الخاص بالحبر الاعظم اربعة اعمدة تماثلها اهداها خديوي مصر الى البابا

غريغوريوس السادس عشر ومرتكزات هذه الاعمدة هي تحفة «نيقولاوس» الاول ملك روسيا

وعند المذبح الكبير الذي في صدر الكنيسة قنطرة اشبه بقبة نصر منقوشة بالفسيفساء يذكر انها من القرن الخامس وعليها صورة السيد المسيح وحوله الاربعة والعشرون شيخًا المذكورون في روءيا يوحنا . ثم في الوسط صورة المخلص وعلى جانبيه يمنةً ويسارًا القديسان بطرس وبولس

ودخلنا هذه الكنيسة من احد ابوابها الصغيرة بالقرب من المصلي فوقفنا برهةً ريثما نتأمل الباحة الواقعة امام المذبح الكبير في صدر الكنيسة فتوهمنا ان هناك المعبد كلهُ ولكن ما لبث ان زال توهمنا عند وصولنا الى منتصف الباحة حيث انجلت لنا الكنيسة بعظمتها واعمدتها واروقتها وزينتها الفاخرة كما اشرنا اليه انفًا .

اما الباب الكبير فهو الان مغلق ومنذ عشر سنوات يشتغل البناؤون بترميمه ولم يكمل الى يومنا هذا . فتأمل ايها الاخ العزيز ما يستغرق من النفقة وما تكون عظمته وبهاؤه

وعلى اطراف الكنيسة معبدان يتنافسان جمالاً وبهاء وزينةً ورأينا في احد المخادع بابًا نحاسيًا مشغولاً في القسطنطينية سنة ١٠٧٠ واطرافه مصفحة بالفضة وعليه تماثيل منقوشة ترمز الى حوادث من التوراة

***

تاريخ الكنيسة البولسية . — بنيت هذه الكنيسة على عهد « والنتينانس » و « تاودوسيوس » في الموضع الذي دفنت فيه احدى السيدات الرومانيات المسماة لوسينا جثة الرسول بولس وكان هذا الموضع ملكاً لها . ولما جار عليها الزمان رممها الاحبار لا سيما البابا مار لاون الثالث ونشب فيها حريق هائل سنة ١٨٢٣ خرَّبها ولم يسلم منها سوى المصلى وقبة النصر الذي ذكرنا رسومها ونقوشها وكانت على هيئتها القديمة . — واعتنى بتجديد بنائها البابا « لاون الثاني عشر » و « غريغوريوس السادس عشر » واخيرًا البابا « بيوس التاسع » وعلى عهده صار تدشينها في اليوم التاسع من كانون الاول سنة ١٨٥٤ بحضور مجمع الاساقفة الذين صادقوا على عقيدة

حبل العذراء البري من الدنس

***

دير الاباء البندكتيين · ــ خرجنا من باب المخدع (السكرستيا) ودخلنا ديرًا قديمًا للرهبان البندكتيين بُني سنة ١١٩٣ ــ ١٢٠٨ كما يتوضح ذلك من كتابةٍ منقوشة على جدرانه وصار الان في حوزة الحكومة الايتالية

ولهذا الدير ترتيب يختلف به عن امثاله فيه جنينة مربعة يحيط بها رواق قائم على اعمدة رفيعة جدًا يلتصق الواحد بالآخر ويختلف عن الاول بشكله وتجعيده ونقشه ــ وحول الرواق في الطبقة العليا صفُّ القلالي التي كانت تأوي اليها الرهبان

***

موضع استشهاد مار بولس والثلاثة ينابيع · ــ ركبنا العربات وسرنا في طريقٍ بين المزارع والغياض الى خارج المدينة وفي ربع ساعةٍ افضى بنا المسير الى المكان الذي استشهد فيه مار بولس وهناك ثلاثة معابد قديمة الواحد باسم مار « منصور » ومار « انسطاسيوس » والثاني باسم مريم العذراء سلم السماء [1] والثالث باسم مار بولس ذات الينابيع الثلاثة · ويقال انه لما قُطع راس هذا الرسول قفزَ ثلاث قفزات ففي كل موضع اصابته الجمجمه بنوا بركةً او عين ماء وفوق كل عين مذبح لتقدمة القداس ــ وبجانب المذبح القائم بالجهة اليمنى عمود ابيض يقال ان الرسول بولس شد اليه حين استشهاده ــ وفي تلك البقعة يسكن رهبان « الترابيست » الفرنساويون و يصنعون شراب الاكاليبتس فيشرب الزائر اذا شاء كاسًا منه و يتبرّع لهم بما تسمح به نفسهُ ــ وحول المعابد الثلاثة التي ذكرناها حديقة كبيرة زرع فيها الرهبان اشجار الاكاليبتس فنقت هواء تلك البقعة وطيبته بعد ان كان يُعدُّ من

---

(١) قد جاء هذه الكنيسة مار « برنردس » و يحكى انه فيها ظهرت له رؤْيا السلم الذي كان يصعد الناس عليها ويرأسها مريم العذراء ولهذا سُميت سلم السماء

الاماكن الويلة التي تكثر فيها الحمّى الصفراوية

سجن مار بطرس · — عند رجوعنا من هذه الزيارة مررنا بسجن مار بطرس المعروف قديمًا بسجن « مارتينس » وينزل اليه بدرج تحت الارض وهو مظلم للغاية ولم يكن له بابٌ ولا درج على ايام الرومانيين بل كان له كوّةٌ مستديرة يدلى منها المجرمون

وفيه عين ماء يقال ان بطرس الرسول حينما حُبس فيه وقُيدت رجلاه بالسلاسل طلب ارواء غليله فاخرج له المولى عين ماء وعمّد بها السجان وغيره ولم يزل الماء فيه الى الان وهو عذبٌ وشربنا منه تبرُّكاً

ومنه انطلقنا الى منزلنا وكان مساءً ومشينا على كتف « الفوروم » وهي الساحة التي انشأ فيه الروم هياكلهم وانديتهم وقباب النصر التي لم تزل باقيةً غير مهدومة الى اليوم وسيأتي الكلام عن ذلك في محله

✵ يوم السبت في ١ من آب ✵

القصر الواتيكاني · — قاعات الرسوم والصور · — دار التماثيل والآثار القديمة · — خزانة الكتب · — معمل الفسيفساء · — الانتخاب الحبري والاجتماع في ساحة مار بطرس ·

القصر الواتيكاني · — قبل ان نشرح لك عن دار التحف التي ذهبنا اليها في هذا النهار يجب ان نذكر شيئًا عن القصر الواتيكاني وما يحويه من الذخائر والنفائس التي يتقاطر الناس لمشاهدتها من جميع اطراف المسكونة ولا سيما المولعون بالتواريخ والفنون فنقول :

(الواتيكان) هو اعظم قصر في الدنيا تبلغ مساحته خمسة وخمسين الف متر مكعب يدخل منها خمسة وعشرون في ساحاته وعددها نحو عشرين والباقي في البناء الذي يشمل الف غرفة مع المعابد والرده الكبرى والاروقة (وليس احدى عشرة

الف غرفة كما يزعم البعض) . والمشهور في القصر ثلاثة محال :

اولاً . — قاعات الرسوم والصور منها المعبد « السكستي » نسبةً الى منشئه البابا « سكتس » الرابع . ثم المعبد البولسي والردهة الملكية وكذلك غرف « رافائيل » ومعبد « نيقولاوس » الخامس وغيرها من الرده التي يختلف بعضها عن بعض وجميعها مزينة ومزخرفة بنقوش ورسوم وصور المخلوقات والابرار والقديسين ولا يماثلها شيء في العالم لانها مرسومة بقلم فحول المعلمين الذين نبغوا في الدنيا وانتشر صيتهم في الافاق

ثانياً . — دار التماثيل والاثار القديمة وهي تحوى الآثار الرخامية والحجرية والنحاسية والخزفية من لدن المصريين والاثوريين وعلى الخصوص اشهر المصنوعات اليونانية والرومانية وقليلاً من المصنوعات المستحدثة

ثالثاً . — خزانة الكتب وتقسم الى قسمين الواحد للكتب والمصاحف المخطوطة باليد والثاني للاواني المتعلقة بالدين المسيحي التي استعملت في الازمنة السالفة كصور القديسين واواني الطقوس الكنسية والادوات الكهنوتية وغيرها

***

١ قاعات الرسوم والصور . — لم يتيسر لنا الدخول اليها لانها أُوصدت لنزول الكرادلة الذين اتوا رومية لانتخاب الحبر الجديد فنقتصر على ذكر بعض تفاصيلها كما جاء مسطرًا في الكتب وسمعنا عنه ورايناه في الرسوم المنقولة عنها

لا شك في ان اجمل وافخر موضع في القصر الواتيكاني هو المعبد السكستي الذي نقش « ميكلانج » سقفه بصورة تاريخ العالم منذ خليقة ادم الى نوح وموسى ثم الى مجيء المسيح ورسم ايضاً على صدر المذبح صورة الدينونة العامة التي تذهل الابصار وتحير الافكار وعلوها عشرون مترًا في عرض عشرة امتار و يتخللها رموز متفرعة يعسر تفسيرها فردًا فردًا لما اعمل فيها المصور من الحذق ويُعد هذا الرسم فخرًا لميكلانج العلاّمة المشهور

اما غرف « رافائيل » (Chambres de Raphael) نسبةً الى « رافائيل » المصور البارع وحيد عصره وفريد دهره فهي تشتمل على صورٍ مختلفة منها ما يمثل تاريخ



صورة المباحثة في الاسرار من قلم رافائيل في القصر الواتيكاني

الاحبار الرومانيين وغيرهم من ملوك الافرنج ومنها صورة حريق « برغو » الماثل الذي حدث في رومية في القرن التاسع في حيٍّ يقال له « برغو » المجاور قصر واتيكان وفي اثناء الحريق صعد البابا لاون الرابع الى احدى شرفات الكنيسة البطرسية وعمل اشارة الصليب فخمدت النار . وقسم رافائيل هذا الرسم الى جزئين في الجهة اليمنى من الجزء الاول مثل المصور مفاعيل الرعب الذي استحوذ على المنكوبين بالحريق ومبادرتهم لنقل امتعتهم واثاث بيوتهم وانقاذهم من النار ومنهم الذين ارتبكوا ارتباكاً عظيماً فوقفوا حيارى مذعورين كانهم فقدوا العقل لا يستطيعون حراكاً واكثرهم من النساء والفتيات وفي الجهة اليسرى من الجزء الثاني انتقل الى موضوع آخر لحول الافكار بقلمه الى ايام الابطال القدماء فرسم صورة « انشيز » امير (ترواده) حاملاً ابنه لينقذه من الهلاك وهكذا مزج الحقائق بالرموز واظهر براعة تعجز عن وصفها الاقلام . وفي هذا الرسم ينجلي كيف كانت مقدمة الكنيسة البطرسية على عهد رافائيل المشار اليه

وفي غرفةٍ اخرى اسمها حجرة التوقيع (Chambre de la Signature)[1] رموز عن الايمان واللاهوت والفلسفة والحكمة والقريض وغيرها مما يطول بنا شرحه لواردنا تعداده ونذكر خصوصاً

صورة المباحثة في الاسرار . — صورة بديعة حارت منها العقول وهي صورة المباحثة في الاسرار تمثل جمهور المؤمنين المسيحيين واقفين اجلالاً حول القربان المقدس وفوق رؤوسهم السماء والثالوث الاقدس تحف بهم الملائكة والصلاح والابرار كانهم يسجدون في عبادة اهل الارض . و بازاء هذا الرسم صورة

صورة مدرسة اثينا . — وهي تمثل جمعية الحكماء والفلاسفة والادباء مثل « افلاطون » و « ارسطاطاليس » وغيرهم من علماء الهيئة والجبر مثل « زورو ثم استر » و « بطليمس » ثم بعض المعلمين الحديثين يتباحثون جميعاً في قضايا فلسفية وصناعية

---

(١) سميت كذلك لان فيها كان يوقع الاحبار البرآآت المتعلقة بالانعامات الرسولية

وفقهية وجبرية

صورة تجلي المسيح ٠ــ وكذلك في الغرفة الثانية من الدار المعروفة بدار التصوير (Galerie de peinture) التي نظمها البابا « بيوس» السابع صورة كبيرة نفيسة لرافائيل تمثل تجلي المسيح فانك ترى السيد له المجد ملتحفاً بالسحاب وعن يمينه و يساره موسى وايليا واما مار بطرس و يعقوب ويوحنا فهم منطرحون على الارض منذهلين من الجلال الالهي الذي غشى على ابصارهم وفي الجهة الشمالية صور القديسين « لورنسيوس » و « اسطفانس » ساجدين للرب فهذا الرسم كله من قلم رافائيل واما الذي في اسفله وفيه باقي الرسل يطلبون شفاء المبتلي بالروح الشريرة فقسمٌ منه بقلم رافائيل وقسم اخر بقلم تلامذته

وما عدا هذه الرسوم فهناك كثير من صور حكماء المصريين والاثوريين وغيرها تمثل حوادث تاريخية مشهورة ٠ ومن شاء ان يقدّر قيمتها فعليه ان يشاهدها عياناً وهي ليست جميعها بقلم رافائيل بل بعضها منسوبٌ اليه و بعضها رُسم في زمانه وعلى ندر به و بمشارفته ومنها ما رسمه غيره من المعلمين البارعين مثل « يوليوس رومانس» و « فرنسيس بني » و بروجيني » وغيرهم

وفي سائر الغرف صور شتى أكثر من ان تحصى بعضها من قلم « رافائيل » و بعضها من قلم « لاون فنسي » و « انجليكو » و « موريللو » وغيرهم من الذين طبّق صيتهم الامصار وذاع ذكرهم في الاقطار (١)

---

(١) ان براعة الايتاليين في التصوير اشهر من نارٍ على علمٍ ولم صيت ذائع بهذا الفن منذ عهد قديم وهاك ما كتب عنهم ذكريا بن محمد القزويني الذي استشهدناه قبلاً قال : وحكي عن اهل الروم (وهم الروميون او الرومانيون) انهم يتخذون صور الملوك والحكماء والرهابين يستأنسون بها بعد موتهم ولهم في التصوير يدٌ باسطة حتى يصوّروا صورة الانسان ضاحكاً وباكياً وصورته مسروراً وصورته حزيناً وحكي ان مصوراً دخل بلداً ليلاً ونزل بقوم فضيفوه فلما سكر قال اني صاحب مالٍ ومعي كذا وكذا ديناراً فسقوه حتى طفح واخذوا ما كان معه وحملوه الى موضع بعيدٍ منهم

دار التماثيل والآثار القديمة .— (يباح لجميع الناس الدخول الى هذه الدار بلا رسم في ايام معلومة وفي غيرها يؤدى رسم الدخول فرنكا عن كل زائر)

ذهبنا الى هذه الدار بعد ان طفنا حول الكنيسة نحو عشر دقائق والطريق صاعد مرصوف بالبلاط وهناك دخلنا في الحكم الباباوي لانه لا يسمح للجنود الايتالية الدخول الى الواتيكان بصفة رسمية . واما المحافظة على القصر الواتيكاني فمناطة بالحرس السويسراني تحت سلطة البابا . وقبل ان نلج دار التماثيل سألنا الموسيو ريشي الذي استصحبناه اتريدون ان تشاهدوا العربات التي كان يركبها الباباوات قبل ولاية الايتاليين على رومية فاجبناه الى ذلك وللحال اشار الى احد النظار ان يفتح لنا باب السقيفة فدخلناها وشاهدنا العربات الجميلة التي كان في كلٍ منها كرسي مغشّى بالقطيفة الحمراء واذا فُتح باب العربة نزل بفتحه درج للارتقاء الى داخل العربة لانها كبيرة وعالية وفي البعض منها كرسيٌّ ثانٍ ليجلس عليه كاتب الاسرار بازاء البابا . وهذه العربات منقوشة ومرسومة رسماً جميلاً ومصفحة بالفضة والذهب . وحسبك شهادة على اتقان صناعتها ان احداها هي هدية احد ملوك الفرنسيس

ثم انطلقنا الى دار التحف ولما دخلناها ارتقينا درجاً عريضاً من رخام مفروشاً بالسجاد وعند وقوفنا في اول غرفةٍ منها دُهشنا ومكثنا حيارى نلتفت يمنةً ويسرةً ثم اخذنا نمعن النظر في تلك الطرائف. ونتفصل تلك الزخارف وجميعها مرتبة ترتيباً معجباً يسحر العقول

ونعدّد الغرف والقاعات التي ولجناها بحسب ترتيبها وانتظامها واحدةً فواحدة

فلما اصبح وكان غريباً لم يعرف القوم ولا المكان ذهب الى والي المدينة وشكا فقال له الوالي : هل تعرف القوم ؟ قال لا . قال : هل تعرف المكان ؟ قال لا . قال : فكيف السبيل الى ذلك ؟ فقال : اني اصوّر صورة الرجل وصورة اهله فاعرضها على الناس لعلّ احداً يعرفهم ففعل ذلك وعرض الوالي على الناس فقالوا انها صورة فلان الحمّامي واهله فامر باحضاره فاذا هو صاحبه فاسترد منه المال — اه

مع ذكر ما اشتهر في كل منها

﴿ ١ غرفة على شكل صليب يوناني ﴾
(Salle en forme de croix grecque)

لحد القديسة هيلانة ٠ـ فيها لحدٌ من رخام بلون الارجوان او الاحمر السماقي انشأه قسطنطين الكبير ليدفن فيه جسد امه القديسة هيلانة وعليه نقشت الفرسان والعبيد والاسارى نقشاً نائتاً وذلك رمز فتوحات الملك ٠ وعلى غطائه ملائكة النصر واكاليل من زهور ٠ وعلى اطرافه صورة قسطنطين وامه ٠ ويسند اللحد اسود من رخام صنعها النحات « افرنزوني » في الايام المتأخرة

لحد القديسة قسطنزه ٠ـ ويقابله لحد آخر على شكله ولونه الارجواني دُفن فيه جسد القديسة « قسطنزه» ابنة شقيق الملك المشار اليه انفاً وعليه نقوش من عهد الوثنيين منها غلمان باجنحة يقطفون العنب ويدوسونه بارجلهم وحيوانات متجنسة مستأنسة ويغلب الظن انه منحوت في زمان سابق للملك قسطنطين ٠ ويسنده نمرة من رخام ابيض تبان كانها حية وهي مستحدثة

ورأينا هناك تمثالاً عظيماً بديع الشكل متناهياً في الجمال والكمال يُعرف بربة الجمال ربة الجمال الملقبة بأفروديت ٠ـ « افروديت» (Vénus aphrodite) وهو منقول عن الاصل الذي صنعه ابركسيتالس اليوناني في مدينة « اكنيدُس » (Vénus de Cnide de Praxitèle) ويختلف عنه قليلاً لما طرأ عليه من التغيير اذ رممه النحاتون المحدثون ويجب على من يريد التمعن فيه ان يرفع عقلاً الستارة التي على اسفل جسمه اذ لم يكن لها وجودٌ بل اضافها اليه المحدثون احتشاماً وحينئذٍ يبان له ان ربة الجمال متأهبة للاستحمام تخلعت عنها الستار ورمت به على القارورة الموجودة عن يسارها فاصبحت عادية ولساعته ستَرت عذارها بيدها اليمنى ولا يلوح على محياها شعائر الاضطراب بل صدرت حركتها بلا تكلفٍ لانها متيقنة انه ليس عليها رقيب ٠ وقد اسفر وجهها عن حسنٍ وجمالٍ خاليين من التصنع



وشعرها مسترسل بخفةٍ ومفروق بوسط راسها وعليه عصبةٌ رفيعة · واما بقية جسمها فقد اشتمل على المحاسن والكمال اللائقة بربات الحب والجمال

✻ ٢ً الغرفة المستديرة ✻

(Salle Ronde)

حوضٌ من المرمر ·ـ اعجبنا فيها حوضٌ من المرمر الصافي قطعةً واحدة يبلغ قطره ١٣ متراً وهو مسنود على اساطين من النحاس المذهب

اصحاب الروايات · ـ وعند مدخل الغرفة تمثالان كبيران من المصنوعات اليونانية الفاخرة على شكل نساء متوشحات بلباس ممثلات الروايات ما بين هزلي وفجع والغالب انهما نُحتا على عهد الملك هدريانس

هرقل ورأس هدريانس ·ـ ثم تأملنا تمثال هرقل المنتصر وعلى اقدامهِ بقايا جثة اسد يقال ان (بيوس) التاسع اشتراه من البارون ربغتي بثلثماية الف فرنك · ثم رأس (هدريانس) عظيم جداً كان على تمثال الملك فوق حصن صنت آنج

رأس (يوبيتر) ·ـ ولا بد من ذكر رأس (يوبيتر) كبير الالهة الذي تدل هيئته على العظمة والوقار وهو متقن الصنعة ولا سيما بتجعيد شعرائه ولحيتهِ وباتقان ثغرهِ الذي يلوح عليه من جهةِ التبسم واللطف واذا امعنت فيه مرةً ثانية ظننته غضوباً متهدداً

(يونون) ام الالهة ·ـ وبقربهِ في الغرفة تمثال (يونون) او (هيرا) ام الالهة البديع في صنعهِ يمثلها لابسة ثوباً ناعماً شفافاً حتى ان نهدها الشمال ظاهرٌ كأنْ لا غطاء عليهِ واذيال ذلك الثوب تُرى كانها مخاطة او مطرزة بالابرة

---

٣ غرفة الشعراء

(Salle des Muses)

زينت جدران هذه الغرفة برسوم حديثة تشير الى الآثار التي استودعتها ومن هذه الرسوم صور « اوميرُس » و « ورجيل » و « تاس » و « اريوست » وتشتمل الغرفة على تماثيل الشعراء وادباء اليونانيين ولا سيما الذين نبغوا في فن القريض وتأليف الروايات وبجانبها نساء من رخام ابيض عراة الابدان على مثال الرقاصات وكذلك فلاسفة وحكماء « كسقراط » و « يمستينس » وغيرهما

٤ غرفة الحيوانات

(Salle des Animaux)

رأينا اشكالاً عديدة من الحيوانات والوحوش جميعها مصنوعة من رخام ابيض واصفر واحمر وارقط منها حيوانات برية داجنة ومنها كاسرة ومنها اسماك نهرية وبحرية وكلها من عجائب المصنوعات اليونانية والرومية . وبعضها على شكل الضحايا التي كان يقدمها كهنة الاوثان قرباناً للالهة . وغيرها حيوانات ترمز الى الشمس والارض وما يتعلق بهما

٥ دار التماثيل وغرفة الهامات

(Galerie des Statues. - Salle des Bustes)

فيها تماثيل كبيرة جميلة الصنعة منها آلهة ومنها غلمان وفتيان بهيئات مختلفة ثم هامات الملوك الروميين من « اغسطس » الى « سبتيم سويرس »
« منيندرُس » و « بوزيديس » . ثم تمثالان عظيمان على شكل الشاعرين

اليونانيين « منبندرُس » و « بوزيديبس » اللذين اشتهرا بتأليف الروايات الجدية والهزلية وينسب صنعهما الدقيق الى « سنيزودوت » بن « إبركسبتالس » والغالب على الظن ان التمثالين كانا منصوبين في آكروبول اثينا ثم بعض نساء الملوك والقياصرة مثل (سابينا) و (ليفيا) و (يوليا) وغيرهن · وفي بعض الزوايا آنية من المرمر والخزف وشماعدين رخامية ونحاسية ولحود منقوشة ومحفورة حفرًا دقيقًا

---

٦ « حجرة كانوفا » وحجرة المسوخة

(Cabinet de Canova. — Cabinet des Masques)

في حجرة (كانوفا) عدة تماثيل جميلة واخصها (برسه) (Le Persée)[١] قابض بيدهِ اليسرى على راس (مدوزا) وباليمنى على الخنجر الذي قطع بهِ راس مدوزا

ربة الجمال (اناديومينس) — وسميت حجرة المسوخة بهذا الاسم لان ارضها فرشت بالبلاط المرصع بالفسيفساء وعليه رسم المسوخة وفيها تمثال ربة الجمال المعروفة باسم (اناديومينس) (Vénus Anadyomène) وهي رشيقة القد لطيفة العضلات والمفاصل بديعة التكوين ممثلة خروجها من الحمام ونهداها متهدلان على صدرها فتسترت برداء واخذت تنشف شعر راسها الناعم بيديها اللطيفتين · والغالب ان هذا التمثال كان منصوبًا في بركة ماء عند الرومانيين

❁

ربة الجمال افروديت · — وفي القاعة نفسها ربة حسن ثانية معروفة ايضًا بلقب

---

(١) برسه هو البطل اليوناني ابن (يوبيتر) و (دنايه) وقد قطع رأس ميدوزا المسخ الوحشية ارضاءً لخاطر (منرفا) التي غضبت على المسخ حسدًا وحنقًا

« افروديت » وهي جالسة القرفصاء في الحمام و'يصب الماء على جسمها وقد ظهر عليها الاقشعرار من جراء صب الماء البارد · والمرجح ان تمثالها صنع في القرن الرابع قبل المسيح وينسب الى النحات « ديدالس » من اقليم « بتينيا »

❋ قاعات « مركور »و « لوكون » و « ابولون » ❋

Cabinets de Mercure de Belvédère, du Laocoon, de l'Apollon

«مركور » او المريخ · ـ في كل من هذه القاعات تمثال له' شهرة عظيمة الاول « مركور » [١] من انفس الاثار اليونانية رخامه مستخرج من (بارس) بديع جميل لم 'ينحت على الدهر مثله باتقان صنعه وتناسب اعضائه مع ظهور عضلاته وعروق جسمه وهيئة وجهه ومنها يستدل على دقة عظيمة في شغله · وقد اذهل عقول ارباب الفن المحدثين مثل « ميكلانج » و « دومينيكان » وغيرها الذين شهدوا بقدره ونقلوا عنه واستناروا منه فوائد كلية ولم يجسر واحد منهم ان يصلح ذراعه اليمنى ويده اليسرى المقطوعتين خشية ان يقع في اصلاحها خلل يعيث بشيء من رونقه

« لوكون » · ـ الثاني تمثال « لوكون » ذكرناه وجه ٦ ـ وهو من النفائس صنعه « اجيزندر » وولداه « اثينودور » و « بوليدور » وكانوا نحاتين من جزيرة « رودس » اقاموا برومية ولهم شهرة عظيمة [٢] ومعلوم انه بينما كان لوكون

---

(١) مركور او المريخ اله البلاغة والتجارة واللصوص ابن يوبيتر وامه مايا بنت الماء

(٢) كان اكتشاف هذا التمثال سنة ١٥٠٦ لعهد البابا يوليوس الثاني بين خربات قصر طيطس بقرب حمامه وكان في رومية فرح عظيم يوم ظهوره وضرب باجراس الكنائس كلها ونظم الشعراء قصائد عديدة لتقريظ هذا التمثال النفيس

منطلقاً الى المذبح ليقدم قرباناً الى نبتون اله البحر وثبت عليه الافاعي والتفت على جسمه وقبل ان تمزقه بادر ولداه ليعيناه على التملص منها فهلكوا جميعاً وهذه الحيات الوحشية كانت ارسلتها « بلاس » وغيرها من الالهات اعداء مدينة تروادة عقاباً للوكون لانه كان عدواً لها . فترى شارات الكآبة والحزن واضحة على محيا الاب واولاده وضوحاً يهيج جوارح القلب

« ابولون » . — الثالث ابولون اله النور من افخر ما نحته اليونانيون في الاعصر الخالية وقد اشتراه البابا يوليوس الثاني ونقله الى القصر الواتيكاني ولهذا التمثال هيئة العظمة والوقار قلما شاهدناها في غيره من الرسوم ويده الشمال ممدودة كان قابضاً بها على السهم التي رشق بها امة الجبابرة حين انحرفت عن سلطة ابيه . وقد رمم يده ورجله احد المعلمين المحدثين

٨ الدهليز المستدير وغرفة ميلياغر والدهليز المربع

(Vestibule rond. — Salle du Méléagre. — Vestibule carré)

« ميلياغر » . — اهمّ ما في هذه الغرف تمثال « ميلياغر » من المصنوعات اليونانية وهو يمثل اشهر الصيادين في الازمنة القديمة السابقة التواريخ وله هيئة متناهية في الجمال والكمال وعلى يمينه كلب الصيد وعلى يساره الوحش الكاسر « كاليدون » الذي ارسلته (ديانا) لتخريب مملكة (ايتوليا) وتدل رشاقة قده واعتدال جسمه على انه صياد ماهر خفيف الحركة وشمائر محياه تحكي عن جسارته على اقتحام الاخطار دون ان يبالي وتظهر عليه هذه الجسارة من القاء ردائه على ذراعه اليسرى

٩ الشعبة الجديدة

(Nouveau Bras)

نظم هذه الشعبة البابا بيوس السابع ومن عجائبها تمثال كبير للنيل وحو

عشر غلاماً وطفلاً رمزًا الى ستة عشر ذراعًا من فيضان النيل وهو مستند بذراعه الى ابي الهول رمز الديار المصرية ورخامه ابيض ناصع كالثلج يقال انه على شكل التمثال الاصلي الذي كان في الاسكندرية في سالف الازمان

وفيها ايضاً تمثال اغسطس قيصر يقال انه مطابق لصورته اكثر من سائر التماثيل التي على شكله

﴿ ١٠ دار شيارامنتي ﴾

(Musée Chiaramonti)

مررنا بقاعتين اسم الواحدة : قاعة الخطوط الحجرية (Galerie Lapidaire) وفيها نحو ثلاثة الاف حجر منقوش عليها خطوط من عهد الوثنيين والمسيحيين الاقدمين ويستفاد منها فائدة عظيمة للتواريخ والثانية تعرف بغرف (برجيا) (Les Salles Borgia) وفيها مفروشات قديمة وطنافس عليها رسوم وصور مختلفة الاشكال والالوان ومنها دخلنا الى دار (شيارامنتي) وما ادراك ما هذه الدار التي رتبها ونمقها البابا بيوس السابع بمناظرة (كانوفا) و (وِسكنتي) وكلاهما من فطاحل العلماء فهي عبارة عن دهليز طوله ٢٩٠ مترًا بعرض ٦ امتار و٧٠ سنتيمترًا يسنده ثلاثون ركيزة يمينًا و يسارًا وعلى الجانبين التماثيل والصور الرخامية منها ملوك وقياصرة كاغسطس وكلاوديدس واوريليانس ومكسيميانس مع نسائهم ثم حكماء اليونان وفلاسفتهم والمتهم ولا يسعنا وصف كل اثرٍ منها لانها تستغرق مجلدات برمتها

﴿ ١١ غرفة المركبة ﴾

(Salle du Bige)

المركبة الرخامية . — يزين هذه الغرفة المركبة الرخامية الموجودة في وسطها



رالي صغيرة الحجم لها دولابان ومصنوعة بدقة واتقان عجيب وعلى ظاهرها نقشت اغصان واوراق جميلة والغالب ان احد الملوك الروميين قدّمها هديةً لاله الشمس بعد ان فاز بنصرٍ في بعض حروبه . اما لجام الخيل والخيل فهي من نحاس اسود ثمين للغاية

✻ ١٢ غرفة الشماعدين ✻

(Galerie des Candélabres)

(ديانا) . — ويلي دار شيارامنتي غرفة الشماعدين وطولها مائة متر سقفها رين برسوم تمثل الكنيسة الكاثليكية باذلة قصارى جهدها في نشر العلوم والمعارف سمة معلميها المشهورين مثل مار توما الاكويني وغيره وفيها من الشماعدين والاواني رخامية والنحاسية والخزفية ما حلا شكلاً وغلا ثمناً . وفيها تمثال (ديانا) وهي الالهة التي كان يعظمها اليونان بافسس وذكرنا هيكلها وجه ٧ ثم بعده كرَّمها الروميون ولها ١٨ ثدياً رمزاً الى قوتها المخصبة واغذائها كما كان حيّاً على الارض ورأسها متوّج بشبه برجٍ وعلى لباسها وعند عنقها صور ساعات و بعض رموز مستعارة ن منطقة البروج الفلكية

***

صرداناپال الثالث . — ومن مفاخر دار التحف الواتيكانية الخرائط الجغرافية قديمة والاثار المصرية والاترسكية [1] والاثورية وفيها لحود قديمة واجسام محنطة ن المصريين وصورة الملك (اثورازربال) او (صرداناپال) الثالث الذي ملك نة ٨٨٧ _ ٨٨٢ ق . م . وفتح بلاد ارمينية والفرس وسورية حتى لبنان . وفي

---

(١) الاترسكيون امة قديمة جاءت البلاد الايتالية قبل المسيح بنحو ثمانمائة نة وبادت والى اليوم لم يعرف اصلها بالتحقيق ولا لغتها

احدى الغرف خزائن ضمنها الحلى والجواهر القديمة و بعض ادوات فضية مرتبة بنظام يروق اعين الناظرين

فتقصينا تلك الدور وجلنا ساحاتها وقاعاتها جمع وسرّنا روءية تلك الدفائن تعود بالمجد العظيم على من جمعها ورتبها و بذل الدينار في اقتنائها وحفظها مدى الايام

***

خزانة الكتب · — كنت اظن قبل الدخول اليها اني سأرى قاعةً رحبة طويلة عريضة وبها خزائن عالية والكتب مصفوفة بها كخزائن الكتب العمومية ولكن عند ما ولجتُ الدار الواتيكانية اخذ بصري العجب لانتظامها على طرز غير مألوف ولطول باحتها وتسميق جدرانها وزينتها برسوم مختلفة الالوان · ولم ارَ كتاباً واحداً بل دخلت دهليزاً يليه غرف وقاعات متصلة بعضها ببعض قيل ان مساحتها الى اقصاها ٣٢٧ متراً وعلى الصفين خزائن من الخشب المدهون لا تفتح الا عند الحاجة · وضمنها الكتب النفيسة والمصاحف الثمينة المخطوطة جميعها باليد عددها ٣٦ الفاً منها ١٩ الفاً باللغة اللاتينية و ٤ الاف باليونانية والباقي باللغات الشرقية وفتح لنا قيّم الخزانة بعض الصحف العبرانية واليونانية والسريانية منها توراة مكتوبة على رقٍ وحولها تصاوير مذهبة ومنها كتب « ورجيل » « وشيشرون » للقرن الخامس للمسيح وغيرها مسطورة بايدي الامراء والملوك والاحبار

ولعمري ان هذه الخزانة جامعة لشتات العلوم والتواريخ النادرة وحاوية كنوزاً ثمينة فاخرة · و يزيدها رونقاً وبهاء القاعة الرحبة التي تلي الدهليز وطولها ٧١ متراً في عرض ١٦ وعلو ٩ امتار تعمدها القناطر والركائز المدهونة والمزخرفة وعلى هذه الركائز والاعمدة نقوش ورسوم من قلم اشهر المصورين الايتاليين في القرن السابع عشر · فراقت في اعيننا تلك النفائس والزخارف وانشرح صدرنا بمشاهدة ما فيها من الاثار وفوق ذلك ان الاحبار العظام ولا سيما بيوس التاسع ولاون الثالث عشر قد اتحفوها بكثير من الهدايا الثمينة التي قدمها لهم الملوك والامراء وغيرهم من الكبراء من جملتها هدية نابوليون الاول الى بيوس السابع وهي شمعدين

خزانة الكتب في القصر الواتيكاني
(كتاب انفس الآثار في اشهر الامصار صفحة ٧٠)

من الخزف مصنوعة في معمل «سافر» ومنها اوان قدمها «فريدريك غليوم» الرابع و «كرلس» العاشر ونابوليون الثالث ومكمهون رئيس جمهورية فرنسا ورأينا هناك هدية ابراهيم باشا المصري الى بيوس التاسع وهي قارورة كبيرة من المرمر الابيض المجزع وهدايا كثيرة مستحدثة كالسبيكة الذهبية تقدمة امبراطور النمسا والمجر وخزائن ثمينة واوان خزفية وصينية اشكالاً والواناً يعجز القلم عن وصفها . ومعلوم ان الهدايا التي تقدمت الى لاون الثالث عشر في يوبيله الخمسيني قد أُدرجت في كتاب كبير الحجم اسمه المعرض الواتيكاني

***

الاواني المسيحية . — تخطينا من خزانة الكتب الى موضع آخر متصل بها استودع الاواني المسيحية القديمة كالصور المرسومة على خشب في القرني الثالث عشر والرابع عشر والكاسات والقناديل الفضية والذهبية وغيرها من الاواني والامتعة التي كان يستعملها المسيحيون في الدياميس او في الاجيال السالفة وهكذا يسهل على ارباب العلم واصحاب الدين البحث عن تواريخ الكنيسة وطقوسها منذ القرون الاولى حتى ايامنا هذه

ويليق بنا ان نذكر ما للاحبار الاجلاء من الفضل في حفظ جميع الآثار المسيحية والوثنية معاً وقد استحقوا بذلك ثناء المؤرخين الصادقين والجماعة المدققين من جميع الملل فان العلماء الكاثليكيين وغير الكاثليكيين الذين وافوا رومية تحقق لديهم ما صرفه الباباوات من العناية والهمة بحفظ الابنية القديمة من الآثار وما بذلوه من الدنانير في ترميمها حرصاً على التاريخ والفن . فاينما اجتزنا بشوارع رومية وضواحيها قرانا اسماء الباباوات مسطرة على الابنية بشهادة لهم بانهم رمموها واعتنوا بها غاية الاعتناء

معمل الموزائك او الفسيفساء . — دخلنا هذا المعمل بالقصر الواتيكاني وبه ينقش الفعلة البارعون صور الفسيفساء واكثرها للمعابد والكنائس والاديرة وقد اعجبنا فيها صورة صغيرة تمثل الكنيسة البطرسية والساحة امامها وهي بقطع ٢٥ او ٢٠ سنتيمترًا و١٨ عرضاً . فسأَلنا وكيل المعمل عن ثمنها اجاب انه لا يبيعها باقل من

ثلاثة الى اربعة الاف فرنك

وفي هذا المعمل نقشت صور الاحبار الرومانيين الموجودة في كنيسة مار بولس خارج الاسوار وقد ذكرناها في محلها

***

الانتخاب الحبري والاجتماع في ساحة مار بطرس · ـ تعيَّن هذا النهار لمباشرة الانتخاب الحبري والتأمت وعقدت جمعية الكرادلة « الكنكلاف » الجلسة الاولى صباحاً · ففي الساعة العاشرة قبل الظهر كما في الساعة الرابعة افرنجية اقبلت الناس زُرافات من اطراف رومية الى ساحة مار بطرس وفي جملتهم كاتب هذه الحروف واخوه وابن عمته · ووقفنا كلنا ننظر نتيجة الاقتراع اعني اما ان يسمى الحبر الجديد حالاً ويُعلن ذلك من شرفة الكنيسة البطرسية التي تطل على الساحة واما ان يُلغى الانتخاب فتحرق اوراق القرعة مع قليل من التبن و يصعد لهيبها من مدخنة ذات انبوب طويل نُصبت بجانب المعبد السكستي · فيعرف القوم المجتمعون في الساحة ان الانتخاب لم يتم

ومعلوم ان المعبد السكستي هو ضمن القصر الواتيكاني يُشرف على الساحة لارتفاعه · وقبل ان يجتمع الكرادلة اشتغل البناؤون في ارصاد القاعات والحجر لسكنى اربعة وستين كردينالاً يصحبه كاتب اسرار وخادم او اثنان وكانت اقامة هولاء الافاضل بالقصر الواتيكاني حول المعبد السكستي · ولما كانت منافذ ذلك القصر تطل على الساحة وضع لها النجارون اقفاصاً من خشب لئلاّ يتخابر احد الكرادلة مع بعض الناس في الساحة او في بيوت مجاورة للقصر بواسطة المرايا او النظارات · هكذا لتقيد الكنيسة ليكون انتخاب الحبر حرًّا بمعزل عن الاغراب واصحاب الغايات

وكان المجتمعون بعد الظهر نحوًا من ثلاثين او اربعين الف نسمة رغماً عن الحرّ الشديد وجاء كتيبةٌ من الجند الايتاليين للمحافظة على الراحة ولكن لم يبلغنا انه حدث ادنى شغب او فتنة بين الجموع الكثيرة او ان انساناً شتم الآخر وكان الكل رجالاً ونساءً صغارًا وكبارًا رهباناً وراهبات واقفين يتحدثون وعيونهم شاخصة

الى تلك المدخنة المباركة التي ستنبيء عن اتفاق الاصوات في الاقتراع او عن اختلافها . وهكذا جرى لانه عند الساعة الخامسة ونصف بعد الظهر صعد الدخان فوق المعبد السكستي وسمع ضجيج خفيف وتداولت بين السنتهم كلمة (La Sfumata) اي هوذا الدخان . واردفوها بقولهم : لم نزل حتى الساعة بلا حبر. وتشتت شملهم ورجع كلٌّ الى منزله ومكانه

ولا يقترع الكرادلة سوى مرة واحدة في كل جلسة والجلسات تلتئم مرتين بالنهار الواحدة في الساعة العاشرة الى الثاني عشرة والاخرى في الساعة الرابعة بعد الظهر الى السابعة مساء . ويلزم لتسمية الحبر الجديد اتفاق ثلثي الاصوات اي يجب ان يصيب المنتخب اربعين صوتاً من الاربعة والستين كردينالاً الذين دُعوا الى الجمعية

كنيسة يسوع . — ولما انصرفنا من الساحة مررنا بكنيسة ملقبة باسم يسوع كانت قبلاً للرهبان اليسوعيين وفيها تمثال السيد حاملاً صليباً كبيراً صنعه ميكلانج وهو نفيس للغاية وشاهدنا في تلك الكنيسة مذبح القديس اغناطيوس موسس الرهبنة اليسوعية وفيه جسده محفوظاً في بيت من النحاس المذهب وعليه الجواهر الكريمة وفوق ذلك المذبح تماثيل رمزية دلالةً على انتصار الايمان الكاثليكي وفيها ايضاً نفائس اخرى يطول بنا الشرح اذا تعمدنا احصاءها

✻ يوم الاحد في ٢ من آب ✻

المناولة في الكنيسة البطرسية . — بنتيون . — الاجتماع في ساحة مار بطرس المرة الثانية

المناولة في الكنيسة البطرسية . — صرفت صباح الاحد في كنيسة القديس بطرس لاني نويت ان اتناول فيها القربان المقدس على نية عيلتي واستغاثةً بالله

لالقاء الاتحاد بين الكنائس المسيحية وهو امرٌ ابتغيه من صميم الفواد . فذهبت باكرًا مع المسيو فابيان حسني ودخلنا الكنيسة للتفتيش عن منبر الاعتراف الذي يقيم به الكاهن الفرنساوي لان في الكنيسة منابر متعددة وفوق كل واحد منها لوحة مكتوب عليها اسم اللغة التي يتكلم بها المعرّف وفيها عشرة منابر بلغات مختلفة كاليونانية والانكليزية والاسبانية وغيرها ووجدت كاهنًا يعرف الفرنساوية وكان بلجيكيًا . فلما فرغت من الاعتراف [1] سألته ان يدلني على المكان الذي فيه اقدر ان اتناول القربان فاجابني قائلاً : اذهب الى معبد القربان المقدس . قال هذا ونهض من منبره ومشي معي بعض خطوات ليدلني عليـه ولاطفني جدًا واخبرته اني جئت من القسطنطينية لزيارة رومية وان أصلي من الديار الشامية . فلما وصلتُ الى المعبد المذكور كان القداس قد ناهز الخلوص وجاءَ كاهن اخر ليقدم الذبيحة انما بلغنا انه لا يناول الشعب باثنائه

فقلق الكاهن الذي سمع اعترافي وخاف الاَّ يتيسر لي المناولة فتزايل منبر الاعتراف وجد في البحث عني فرأى رفيقي وقال له : اخبر صديقك ان ينطلق حالاً الى المذبح الكبير الذي في صدر الكنيسة اذا كان لم يتناول حتى الان القربان المقدس . ولما جاءني المسيو فابيان واخبرني ذلك نهضتُ مسرعًا قاصدًا ذلك المذبح فما وصلتهُ الاَّ وكان القداس قد نجز و باشر احد الكهنة اقامة صلاة خصوصية ورتبة زياح على نية انتخاب الحبر الاعظم . — فانتظرت يقظةً والتفت الى الوراء فاذا جمهور غفير قد اجتمع حولي وابتدا الكاهن ان يتلو طلبة جميع القديسين

ولما انصرف الخلق لاكمال دورة الزياح نهضت راجعًا الى معبد القربان المقدس وكانت نحو الساعة العاشرة ونصف افرنجية فشاهدت كاهنًا اتيًا لتقدمة الذبيحة وبيده كاس لمناولة الشعب . وهكذا بعد الكد والعناء نلت المرغوب وحمدت المولى

---

[1] اذكر لك عادة مألوفة في رومية لم ارَ نظيرها في غيرها من الكنائس وهي ان الكاهن يمنح التائب الحلة بوضع عصاة دقيقة على راسه وهذه العادة ماخوذة عن الرومانيين الاقدمين فان السيد اذا اراد ان يعتق عبدهُ كان يمسه بعصاه فيعود من ساعته حرًّا

وشكرته على منته . وقد قيل لي ان عدد الذين تناولوا القربان في ذلك النهار يربي على العشرة الاف نفس

« بنثيون » . — كلمة يونانية معناها جميع القديسين وقد سمي بها هيكل في غابة الجبال بناهُ « اغريبا » صهر اغسطس قيصر فقصدنا في هذا النهار زيارته . وزعم بعضهم ان بناءهُ كان على ايام الجمهورية الرومية التي خصصتهُ لتعظيم الكواكب السبعة وكانت عندهم بمقام الالهة وهي ابولون وديانا والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري وزُحل وانقضت صاعقة على هذا الهيكل في ايام الملك « ترايانس » فخربته فجدد بناءهُ « هدريانس » الملك وترمم على عهد « سويرُس » و « كراكلاّ » وما زال على حاله وقدمه بجدرانه وقبته . و بعلوه قبة في وسطها كوَّة يدخل منها النور اليه وله رواق من الخارج مستدير الشكل قطره ١٤٤ قدماً (٤٤ متراً) بنسبة علوه وعرضه ٣٣ متراً وعمقه ١٣ متراً يسنده ستة عشر عموداً من الطرز القرنثي . وعلى افريز الروق خطوط لاتينية تنبيء عن باني الهيكل وعن ترميمه على عهد « سبتيم سويرس وكراكلاّ » وهذه الخطوط محفوظة من ذلك العهد

و بعد زوال عبادة الاوثان بقي الهيكل متروكاً غير مهدوم الاَّ انه تعرَّى من زينته الفاخرة ونزع منه النحاس الملبس بالذهب والفضة الذي كان يغشي جدرانه وقبته الى ان اهداه « فوقس » ملك القسطنطينية الى الحبر الاعظم فاحاله الى معبد مسيحي وسماهُ : كنيسة العذراء شفيعة الشهداء . وفي سنة ٦٠٩ نقل اليه من الدياميس عظام الموتى على اربع وعشرين عربة ورُقم على حجر مدفنهم هذه الكتابة: لامّ الله ملكة الشهداء

ثم تغير اسمها وصارت تعرف بالكنيسة المدوَّرة تحت لواء العذراء . ولما دخل الايتاليون رومية استولوا عليها وصاروا يدفنون فيهـا ملوكهم مع ابقائها معبداً . فدفن فيها (فيكتور عمانوئيل) الذي مات سنة ١٨٧٨ ثم الملك (أمبرتو) سنة ١٩٠٢ وقد شاهدنا على هذين الضريحين اكاليل كثيرة من الزهور الصناعية ويرى الى جانبهما ضريح الكردينال (كنسلفي) الذي عقد شروط (الكنكردات) مع نابوليون الاول

وفيها ضريح المصوِّر الشهير (رافائيل) وعليه تمثال من نحاس اسود الى نصفه

وفوق مدفنه عند المذبح تمثال العذراء من رخام أنشيء بحسب وصيته

وارض هذه الكنيسة مبلطة بالرخام والحجارة الارجوانية الثمينة وفي خارج (بنتيون) ساحة باسم (منرفا) وفي وسطها فيل من رخام وفوقه مسلة قديمة نصبها المهندس ليبورنين سنة ١٦٦٧ وفي اقصى الساحة منزل (اوتل) منرفا وهو من المنازل الجميلة في رومية له في عرصته برك ماء كما في دور دمشق

***

الاجتماع في ساحة مار بطرس مرة ثانية . — انطلقت مع اخي وابن عمتي الى الساحة لنعرف نتيجه الاقتراع وفي برهة وجيزة اجتمع جم غفير وكثر تزاحم القوم لان الوقت طال الى الساعة السادسة بعد الظهر ولم يظهر الدخان . فكانت العربات تاتي بسرعة عجيبة وتنقل سكان المدينة ونزلاءها الى الساحة و بلغ عدد الواردين اليها في هذا النهار ما يزيد عن الستين او السبعين الف نسمة

ولما اخذ الدخان في التصاعد من المدخنة المعلومة عرفنا ان القرعة لم تصب احداً فرجعنا بخفي حنين وتفرقت الجماهير وكان الكاسب اصحاب العربات والتراموي وارباب الاندية والفنادق التي حول الساحة

يوم الاثنين في ٣ من آب

كنيسة مار يوحنا اللاترانية . — كنيسة معمودية قسطنطين — القصر اللاتراني . — كنيسة الدرج المقدس . — كنيسة الصليب المقدس . — كنيسة سنتامار يا ماجوره اي الى كنيسة العذراء الكبرى

كنيسة مار يوحنا اللاترانية . — قبل الدخول الى هذه الكنيسة الجميلة اطلقنا النظر في الساحة التي تتقدمها فرأينا فيها مسلة فرعونية انشاها تمس الثالث

سنة ١٥٩٧ ا ـ ١٥٦٠ ق ٠ م ٠ وقد نقلها الى رومية الملك « قسطنس » سنة ٣٥٧ بلادية ونصبها في المرع المنسوب للملك المكسيم ٠ وظهرت المسلة فيما بعد مكسورة ثلاث قطع فرممها البابا « سكستس كنتبوس » سنة ١٥٨٨ ونصبها هناك ٠ اما ارتفاع عمود هذه المسلة فهو ٣٢ مترًا مع ان المسلة الفرعونية في باريس لا يزيد ارتفاعها عن ٢٢ مترًا

ولقبت «الباسيليقا » اللاترانية بامّ الكنائس ولكهنتها وخدمتها حق الاسبقية في جميع الاجتماعات الطقسية ٠ وهي اول معبد بني على عهد الملك قسطنطين وهدمتها الزلازل وحرقتها النار مرارًا ونشيدت في زمن البابا « سرجيوس الثالث» (سنة ٩٠٤ـ٩١١) واخيرًا على عهد البابا « اربانس» الخامس و« غريغوريوس» الحادي عشر ـ وفيها التصاوير بالفسيفساء على المذبح الكبير وكثيرًا من الزخارف الثمينة منها لوحة من خشب الزيتون يذكر انها استخرجت من الدياميس وقد استعملها بطرس الرسول للذبيحة الالهية وكانت الاحبار تضعها على المذبح عند تقدمتهم القداس في هذه الكنيسة ٠ ومنها جمجمة القديس المذكور وجمجمة مار بولس الرسول

ولهذه الكنيسة واجهة عظيمة جدًا ذات رواق واعمدة مرتفعة خططها المهندس « اسكندر غاليلاوس » وعرض الرواق ستون مترًا وجوهُ عشرة امتار وعليه شرافة متناهية في الحسن والصنعة كان الاحبار يرتقونها يوم عيد صعود السيد الى السماء و يمنحون البركة لجماعة المسيحيين المجتمعين قبالتها وعليها تماثيل الحواريين يتوسطهم السيد المسيح حاملاً صليبًا كبيرًا

ولما دخلنا الكنيسة وجدنا في صحنها مرتفعًا من الخشب عاليًا لاجل ترميمها فما قدرنا ان نتمتع جيدًا بمنظرها ٠ انما تسلينا بحركة هندسية اشار اليها رفيقنا ريشي وهي اني وقفت بزاوية داخل الكنيسة ووقف اخي بزاوية اخرى بعيدة عنها وشرعت اكلمه بصوت منخفض جدًا فكان يسمع خطابي كاننا نتكلم بآلة تيليفونية صفوف الاعمدة التي تقسم المعبد الى خمسة اقسام على مدى ١٣٠ مترًا طولاً وتقدمنا الى قدام وتاملنا ٠ ورأينا موضع التقديس العظيم الذي توسع سنة ١٨٨٤ وفرشت ارضه وغشيت جدرانه بالرخام الابيض الناصع ٠ وعلى سقف الكنيسة

نقوش وتصاوير بديعة منسوبة الى ميكلانج ومنها ايضاً اشغال رخامية وتماثيل بديعة ونفائس عديدة اخصها المظلة التي فوق المذبح المختص بالبابا فانها مستورة بالذهب ومنقوشة بايدي ابرع المعلمين وقد صنعت سنة ١٣٦٧ ورممت سنة ١٨٥١

وفي المخدع صور نفيسة وله باب نحاسي منقوش عليه صورة العذراء يقال انها رسم رافائيل

وعلى جوانب الكنيسة معابد متعددة منمقة بزخارف ونفائس يعسر جداً تقدير قيمتها ووصف جمالها

ثم خرجنا من الكنيسة اللاترانية وانطلقنا الى :

كنيسة معمودية قسطنطين · — وتعرف ايضاً باسم معمودية لاتران وهي مثمنة الزوايا وفي وسطها حوض كبير من رخام انشاه قسطنطين الملك ليقتبل به سرّ المعمودية

ذكر قوم ان هذا الملك اعتمد سنة ٣٢٤ على يدي البابا « سلوسترُس » وهي حكاية واهية والصحيح المعوّل عليه ان اعتماده كان سنة ٣٣٧ اي قبل موته بمدة وجيزة

وفي سني ٤٦١ و ٦٤٠ زاد الاحبار الروميون على الكنيسة المذكورة معابد صغيرة على اسم القديسين يوحنا الانجيلي و يوحنا المعمدان وزينوها بالاساطين الارجوانية · ورسم على جدرانها بالفسيفسا صور اورشليم و بيت لحم حسبما كانتا عليه في القرنين الخامس والسادس · ولاحد ابوابها مصراع من نحاس ممزوج بالفضة اذا تحرك سمع له صوت نغمة كصوت الارغن يقال ان هذا المصراع كان لابواب حمامات كراكلا

***

القصر اللاتراني · — في شرقي الساحة اللاترانية التي ذكرناها انفاً القصر اللاتراني الذي تركته الدولة الايتالية ملكاً خاصاً بالباباوات كالقصر الواتيكاني · وكان مسكن الاحبار من ايام الملك قسطنطين الكبير حتى رجوعهم من « افينيون»

من اعمال فرنسا · وعقد في هذا القصر عشرون مجمعاً كنسية منها خمسة مجامع عمومية

وفي سنة ١٦٩٣ جعله البابا « اينوشنتيوس » الثاني عشر مسكناً للايتام · ثم ارصده البابا غريغوريوس السادس عشر (سنة ١٨٤٣) ليكون داراً للآثار القديمة التي لم يكن لها موضع في « الواتيكان » او في (الكابيتول) · وتنقسم الآن هذه الدار الى ثلاثة اقسام : الاول للرسوم والتماثيل العالمية مثل ملوك وملكات واصنام وآلهة اوثان وابطال اقدمين نذكر منهم (سفوكلس) الشاعر اليوناني المفلق وهو تمثال بديع مصنوع بدقة عظيمة في القرن الثاني او الثالث ق · م · فرأينا وجهه صبوحاً لطيفاً وثوبه الذي عليه شفافاً يظهر منه البدن الذي يستره · الثاني يشمل الآثار المسيحية ومصنوعات رخامية ولحود عليها صور تمثل حوادث العهد القديم والحديث وغيرها من الخطوط التي يعرف المؤرخون قدرها · الثالث يحوى رسوماً نقشت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وغيرها مستحدثة اهديت الى البابا لاون الثالث عشر

كنيسة الدرج المقدس · ـ بعد مشاهدة القصر اللاتراني دخلنا هذه الكنيسة وفيها الدرج المقدس الذي يروى انه كان بدار (بيلاطس) في اورشليم وصعد عليه السيد المسيح ابان صلبه فصبغ بدمه وقد نقلته الى رومية القديسة هيلانة ام الملك قسطنطين وهو عبارة عن ٢٨ درجة رخامية مغطات الآن بالواح من خشب مكشوفة في بعض اطرافها ولا يؤذن للزائرين ان يرتقوا هذا الدرج على ارجلهم بل جاثيين على ركبهم واما الذين يريدون الصعود الى اعلى الكنيسة فيرتقون احد الدرجين عن جانبي الدرج المقدس وهناك معبد صغير قديم اسمه قدس الاقداس وفيه صور خشوعية منها صورة المسيح نُقلت من القسطنطينية الى رومية في ايام اضطهاد عبادة الايقونات وذلك على عهد البابا غريغوريوس الثاني

◎◎◎

كنيسة الصليب المقدس · ـ وبالقرب من تلك الكنيسة دخلنا غيرها اسمها كنيسة الصليب المقدس شيدتها القديسة هيلانه لتضع فيها قطعة من خشب

الصليب وفيها اللوح الذي كان مكتوباً عليه باللاتينية فوق صليب المسيح « يسوع الناصري ملك اليهود » يُقال ان الكردينـال مندوزا اكتشفها في اليوم الاول من شباط سنة ١٤٩٢ عند ما كان الفعلة يرممون قبة المصلى

⊛⊛⊛

كنيسة « سنتا ماريا ماجوره » اي كنيسة العذراء الكبرى . ـ وهي لا تبعد كثيرًا عن الكنيسة اللاترانية وتحاذيها على خط مستقيم . وقد بنت الطائفة المارونية في بيروت كنيستها الكاتدرائية على طرزها .

ان في رومية ثمانين كنيسةً ومعبدًا على اسم مريم العذراء اكبرها واجملها كنيسة سنتا ماريا ماجوره وتسمى ايضاً كنيسة العذراء ذات الثلج لمعجزةٍ تنقل عنها

قيل ان بعض الاغنياء اسمه يوحنا كان مقيماً برومية سنة ٣٥٢ ولم يُرزق بنين فطلب الى الله ان يلهمه صنع ما ثرةٍ خيرية . فلما كان الليل ترآت له العذراء واوحت اليه ان يبني على اسمها معبدًا في المكان الذي يرى فيه الثلج في صباح الغد وكان الوقت صيفاً اي في الخامس من شهر آب ودلته على المكان . وفي الليلة نفسها ظهرت العذراء للبابا « ليباريوس » وكلمته كما كلمت ذلك الغني

ولما اصبح الصباح انطلق كلاهما الى الموضع المعهود فكان الامر كما قالت مريم العذراء في الرؤيا وشاهدا الثلج وخطط فيه البابا رسم الكنيسة التي ذكرناها . وبقي ذكر العجيبة لهذا العهد ففي كل سنة في اليوم الخامس من الشهر المذكور يحتفل بالكنيسة باقامة قداس حبري يرش باثنائه الورد ناعماً من قبة المعبد فوق محل التقديس وسيأتي الكلام على هذه الرتبة (١) ولقبت الكنيسة بالليبارية نسبةً الى البابا « ليباريوس » . ثم جددها البابا سكتس الثالث سنة ١٤٣٢ ـ ١٤٤٠ وسماها كنيسة العذراء ام الله تذكارًا للعقيدة التي اعلنت في المجمع الافسسي سنة ٤٣٠ بكون مريم العذراء هي ام الله . والاعمدة القائمة فيها مع صحن الكنيسة لم تزل كما كانت في ذلك العهد ثم اضاف اليها الاحبار معابد ومذابح وزينوها زينةً فاخرة

---

(١) قال بعضهم ان هذه الرواية لم يسبق لها ذكر قبل القرن الثالث عشر

و بنى فيها امراء « برغز » معبداً دعوه « المعبد البرغزي » وله مذبح يسنده اربعة اعمدة من حجر اليشب وعليه نقوش بديعة وفي وسط ذلك المذبح صورة العذراء قديمة جداً يظن انها من قلم مار لوقا يمسكها اربعة ملائكة من النحاس المذهب وقد وضع هذه الصورة البابا غريغوريوس الاول سنة ٥٩٠ بعد ان طاف بها المدينة باحتفال شائق

ولهذه الكنيسة مدخل جميل للغاية ورواق بديع وامامها ساحة على اسم الكنيسة وفيها عمود علوه ١٤ متراً و ٣٠ سنتيمتراً وفي راسه تمثال العذراء من النحاس الاسود

وقبالة المدخل ساحة ينزل اليها بدرج عريض تعرف بساحة « اسكيلينس » وفيها نصب البابا سكتس الخامس مسلّة فرعونيه كانت قديماً عند مدفن اغسطس قيصر علوها ١٤ متراً و٨٠ سنتيمتراً وحفر عليها كتابات باللاتينية اجلالاً لاسم البتول

يوم الثلاثا في ٤ من آب

انتخاب البابا واعلان انتخابه وبركته الحبرية . ـ
الاقتراع في جلسات مجمع الكرادلة . ـ

انتخاب البابا واعلان انتخابه وبركته الحبرية . ـ كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً والجلسة السابعة منعقدة في القصر الواتيكاني وجماهير الناس يحتشدون في ساحة مار بطرس حسب العادة منتظرين نتيجة الاقتراع . وقد تداولوا بينهم اسم الكردينال سرتو وحقق الكثيرون منهم انتخابه حبراً في خلال الجلسة المنعقدة في هذا اليوم

وروي بعض الثقاة انه لما دخل الكردينال سرتو المجمع قال له احد رفقائه : انك ستبقى في رومية فلا تعود الى موطنك . فقال له « سرتو » لم يخطر هذا الفكر اصلاً على قلبي وقد اخذت من البندقية جواز السفر ذهاباً واياباً

ولما ناهزت الساعة الحادية عشرة ونصف لهج القوم بالفراغ من الانتخاب فهاجنا الشوق الى استماع اعلان نتيجته وشخصت عيوننا الى المدخنة ولما لم يتصاعد منها الدخان[1] فقلنا لا شكّ في ان المسأَلة قد انتهت وصرّح بعض الحاضرين جهارًا بان المنتخب هو الكردينال صرتو

وبعد هنيهةٍ من الزمان وافى الكردينال ماكي شيخ الكرادلة وانتصب في احدى شُرُفات الكنيسة البطرسية التي تطلّ على الساحة الكبيرة فبهت الواقفون فيها لا يبدون حراكاً فصاح الكردينال المذكور بصوتٍ عظيم والفاظٍ صريحة وقال باللغة اللاتينية ما ترجمته :

⁂ ابشركم بفرح عظيم انه قد تسمى الحبر الاعظم وهو ⁂
⁂ نيافة الكردينال يوسف سَرْتو ⁂

فصفق الجموع بايديهم دون هتاف ثم اشار الكردينال اليهم بيده اذ فرغوا من التصفيق وقال ايضاً :

⁂ وقد اختار ان يُدعى بيوس العاشر ⁂

فعاد التصفيق مرةً ثانية بتصفيق الايادي واسرعنا مع الحشد العظيم الى ابواب الكنيسة اذ بلغنا ان البابا المنتخب سيمنح البركة في داخلها وشرعت النواقيس تدق

---

(١) زعم البعض من الحاضرين ان الانتخاب اذا اتى بنتيجة مرضية احرقت اوراق الاصوات دون تبن فيرى لنارها شعلة بلا دخان والحال لم يكن الامر كذلك بل ان الدخان لم يظهر له اثر ولم تظهر شعلة نارية



في المدينة كلها وكان وقتئذٍ الظهر او قبله بعشر دقائق

وبعد ان اعلن الكردينال « ماكي » انتخاب بيوس العاشر جاءت فرقةٌ من حرس البابا ودلت على الرواق الخارجي بساطاً كبيراً من الديباج المذهب وعليه شارات للبابا وللحال رفع الجند الواقفون في الساحة سلاحهم وحيوها بالسلام . ثم رأينا شماساً حاملاً صليباً من الذهب وفي اثره الكهنة والكرادلة خارجين من المجمع فدخلوا جميعاً كنيسة مار بطرس وكانت الجموع قد سبقتهم اليها . ثم وافى الحبر الجديد وانتصب في شرفة ضمن الكنيسة ومنح البركة الحبرية والناس كلهم سجود وكان صوته يرتجف قليلاً ونفسه مضطربة لما سيحمل على عاتقه من الاعباء المبهظة بهو سياسة الكنيسة الكاثوليكية وتدبير امورها وانتظرت الجنود الايتالية خارجاً لعلَّ البابا يمنح البركة من الطنف الذي يطلُّ على الساحة ولو تمَّ ذلك لكان يحسب اقراراً او اعترافاً بسلطة الدولة الايتالية فتحاشى هذا المشكل ومنح البركة في داخل الكنيسة

ولا بد من انك ترغب في معرفة ما جرى حين الاقتراع واتفاق الاصوات على بيوس العاشر فهاك تفنيد ذلك

طرح رئيس المجمع على الكردينال سرتو السؤال الآتي : أ ترضى ان تكون حبراً بموجب هذا الاقتراع القانوني

فاضطرب سرتو عندما سمع هذا الكلام وترقرقت دموعه على خديه ثم رفع الحاظه الى اب المراحم وقال : نعم ارضى ذلك

ولساعته ابتعد عنه الكرادلة اجلالاً لمقامه ونزعت المظال المنصوبة فوق راس كلٍ منهم لزوال سلطتهم ولم يبقَ الا مظلة الحبر الجديد اشعاراً بمقامه

ثم سأله كبير الكرادلة : وما الاسم الذي تختاره

فاجاب فوراً وقال : بيوس العاشر

قيل ان السبب في اختياره هذا الاسم هو لان البابا بيوس التاسع قد رقاهُ اوَّل درجة من الدرجات الكهنوتية

وجاء الخدَمة فغيروا ثيابه والبسوه الجوارب البيض والحذاء الاحمر ثم وشحوه بوشاح ابيض وبسائر ما يتردَّى به البابا واخذوه الى المذبح واجلسوه على عرشٍ

فوافاه الكرادلة اجمعون وجثوا امامه وقبّلوه قبلة السلام ثم جملوا باصبعه خاتم الصياد

وعند نهاية هذه الرتبة انطلق الكردينال ماكي واعلن انتخابه للجماهير المجتمعين في الساحة كما اوردناه

وانصرفنا من الكنيسة الى منزلنا وفيما نحن في الطريق سمعنا اصوات موزعي الجرائد ينادون بانتخاب البابا بيوس العاشر وهم يقولون : الكردينال سرتو بطريرك البندقية تسمى حبرًا اعظم . وبعد ذلك رأينا صورة الحبر الجديد تباع في الازقة والشوارع والمخازن

وكانت رومية برمتها تنتظر هذه الساعة فلما ذاع انتخاب البابا وشاع في انحائها كان موضوع كل حديث واجتماع وهذا دليل واضح على تعلق الايتاليين عمومًا بالبابا وحسبك شاهدًا عظيمًا ما شهدناه في غضون هذه الحوادث . وقد تبين لنا في مدة اقامتنا برومية ان روح المسالمة سارٍ بين الدولة الايتالية والسدة الرسولية فلا عجب اذا تمّ الاتفاق بينهما بوقتٍ قريب وما على الله امرٌ عسير

ولما سدل الليل ستاره برزت الديور والكنائس بحلةٍ من نور وزين ابن عمتنا داره ومنافذ بيته التي تطل على الشارع بالانوار الكهربائية وكان الفرح شاملاً جميع سكان رومية

واطنبت الجرائد عمومًا بمديح بيوس العاشر وبمناقبه الجليلة وعلى الخصوص لانه ابن عائلة قروية رقى اسمى الدرجات الكهنوتية بكدّه وجدّه وبحسن صفاته وفضائله

***

الاقتراع في جلسات مجمع الكرادلة : نذكر لك تباعًا الجلسات السبع التي التأمت في الواتيكان مع اصوات الاقتراع لكلٍ من الكرادلة المترشحين للمقام البابوي



﴿ في الجلسة الاولى التي عُقِدَت يوم السبت في ١ من آب ﴾

صباحاً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٢٤	رمبولاً
١٧	غتّي
٥	سرتو
٤	وانوتلّي
٢	اورِ كليا
٢	كباشلاترو
٢	دي بياترو
١	اغليا ردي
١	فرّاتا
١	ريشلمي
١	برتا نوفا
١	كاسلاّ
١	سنيا

مساء

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٢٩	رمبولاً
١٦	غتي
١٠	سرتو
٣	ريشلي
٢	كباشلاترو
١	وانوتلي
١	سِنيا

﴿ جلسة يوم الاحد في ٢ من آب ﴾

صباحاً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٢٩	رمبولاً
٢١	سرتو

مساء

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٣٠	رمبولا
٢٤	سرتو

تابع جلسة يوم الاحد

صباحاً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٩	غني
١	اوركليا
١	دي بياترو
١	كباشلاترو

مساءً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٣	غني
٢	اوركليا
٢	دي بياترو
١	كباشلاترو

جلسة يوم الاثنين في ٣ من آب

صباحاً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٢٧	سرتو
٢٤	رمبولا
٦	غني
١	اوركليا
١	كباشلاترو
١	بريسكو
١	دي بياترو
١	بياض

مساءً

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٣٥	سرتو
١٦	رمبولا
٧	غني
١	اوركليا
٢	كباشلاترو
١	بياض

✵ جلسة يوم الثلاثا في ٤ من آب ✵

« وهي الجلسة السابعة والاخيرة »

عدد الاصوات	اسم الكردينال
٥٠	مرتو المنتخب
١٠	رمبولا
٣	غني

عند التئام المجمع كان الظن الغالب ان الكردينال رمبولا يخرج منه حبرًا لانه من رجال الكنيسة المشهورين فضلاً وعلماً وسياسةً . وقد اعترض على انتخابهِ احد الكرادلة من قبل الدولة النمساوية زعمًا منهُ ان للملوك الكاثوليك حقًا في الاعتراض على تسمية من لا يريدونهُ . واضطربت الكرادلة عند استماعهم هذا الاعتراض اما رمبولا فلم يعبأ بهِ بل استأذن رئيس المجمع بالجواب موجزًا فوجه الخطاب الى المعترض قائلاً :

« أرى بمزيد الاسف ان نيافتكم قد جرّحت شرف المجمع المقدس وحريتهُ واما ما كان من امر العبد الفقير فلا شيء لديهِ احلى واُلطف مما حدث فانهُ يزيدني شرفًا »

فلم يجسر الكردينال « كراكوفيا » النمساوي ان يردّ عليهِ بل اطرق والزم الصمت واستأنف المجمع الاقتراع بكل سكينة و بملء الحرية

﷼ تابع اليوم المذكور . ـ ﷼

كولوسايوم وهو الملعب الروماني . ـ قبة النصر لقسطنطين الكبير . ـ قصر دوريا . ـ دار تحف كرسيني . ـ دار تحف ترلونيا . ـ دار كرشر . ـ قصر كولونَّا . ـ كنيسة مار بطرس المقيد بالسلاسل . ـ كنيسة العذراء في شارع لاتا وكنيسة الرسل . ـ صلوة الفرض في كنيسة العذراء الكبرى

كولوسايوم وهو الملعب الروماني . — بعد الظهر انطلقنا لزيارة هذا الملعب العجيب الذي انشأه الملك « وسبازيانس » فوق بحيرةٍ كانت بحدائق « نيرون » واكمل بناءهُ الملك « تيطس » سنة ٨٠ للمسيح ودشّنه بالعاب مختلفة استمرّت مائة يوم وكانت تركض فيهِ الاسود والخيل وغيرها وفي اثناء هذا التدشين هلك نحو خمسة الاف وحش كاسر وقد بني تحت الارض اوجار ومآوى خاصة للحيوانات لها منافذ من حديد لم تزل شاخصة حتى اليوم

وفي عام ٢١٧ انقض على هذا الملعب صاعقة لعهد « مكرينس » فخرقتهُ ورممهُ بعض القياصرة وكان الفراغ من اصلاحهِ على عهد « اسكندر سويرس » ثم احتفل فيهِ الملك « فيلبس » ذكر سنة الالف لتأسيس مدينة رومية وذلك عام ٢٤٨ للمسيح

ولما اشتد الضغط على النصارى ونابتهم الشدة كان القياصرة يطرحونهم في ذلك الملعب لتفترسهم الحيوانات . ولما تحوّل الكولوسايوم الى حصن في ايام الامراء الروميين دخل في ملك البابا « بندكتس » الرابع عشر فانشأ فيهِ معبدًا صغيرًا دعاهُ معبد آلام المسيح تذكارًا للشهداء الذين سفكوا دماهم في ساحتهِ وكان الناس يأتونهُ يوم الجمعة العظيمة ليقيموا فيه الصلوة تبرّكًا

وهذا البناء متين جدًا ومستدير الشكل وقياس دائرتهِ ٥٢٧ مترًا وطول خط الدائرة من الجهة الواحدة ١٧٨ مترًا ومن الجهة الثانية ١٥٥ مترًا وكان

سقفهُ معقودًا بجسورٍ حديدية يظللهـا نوع من قماش مزركش وعليهِ صور نجوم وكواكب صيانةً للناس من حرارة الشمس وبخللها انابيب تنبعث منها ارواح عطرية

وانشأ فيهِ القياصرة مجلساً خاصاً بهم وبنسائهم وعينوا فيه اماكن لرجال الدولة ولاصحاب الرتب والمقامات للعذارى المخدرات [1] (Vestales) اللواتي كان لهنَّ عندهم مكانة رفيعة

وكان للمرسح ثمانون بابًا وفيه متكآت لخمسين الف نفس موضوعة بعضها فوق بعض بنوع ان الحاضرين كلهم لا يفوتهم شيء من الالعاب التي تمثل فيهِ . وجعل لهُ طريقة يتمكن بها من تحويلهِ الى بركة ماء فتأتيهِ حينئذٍ المراكب الشراعية من بحيرة قريبة متصلة بهِ بقنى عريضة فتجري فيهِ للرهان كما في البحر

ويعدُّ هذا الملعب من اعظم الآثار القديمة وقال المؤرخون قد جرى نهرٌ من ذهب لاتمام بنائهِ . وفي الايام الحاضرة وان يكن لم يبقَ منهُ سوى ثلث البناء فقد قوَّم بعض البنائين ما بقي فيه من حجارة ورخام بثمانية ملايين فرنك . وبناء على ذلك كان هذا المرسح يدل على سطوة الروم وصولتهم وبقي قائمًا الى القرن الثامن للمسيح حيث كان يردد سكان رومية هذا القول : تدوم رومية ثابتة الاركان ما دام الكولوسايوم راسخًا ولكن اذا قوّض الملعب تقوضت روميـة والدنيا باسرها

وقد اعتنى الاحبار بحفظ هذا البنيان من الدثار وعضدوه بالدعائم والقوائم المتينة وانفقوا في هذا السبيل مبالغ طائلة

ومن اراد ان يتمتع برؤيتهِ جيدًا فعليه ان يزوره ليلاً على ضوء القمر واذا جاءهُ في ليلة ظلماء فليرسل فيه نورًا صناعيًا ليظهر لهُ بجميع انحائه وتبدو لعينيه دقة الصناعة والهندسة في بنائه وترتيبه

٭٭٭

---

(١) سيأتي الكلام على هولاء العذارى

قبة النصر لقسطنطين الكبير · — بني هذه القبة الملك قسطنطين الكبير بجوار الملعب المذكور وذلك بعد انتصاره على (مكزنس) رفيقه في الملك · ويروى انه باثناء هذه الحروب ظهرت لهُ في السماء علامة الصليب وسمع صوتاً ينادي قائلاً : بهذه العلامة تنتصر · وهكذا كان فانه ظفر بعدوه وقوّى بعد ذلك شوكة الدين المسيحي حتى اصبح الدين المعوّل عليه في المملكة واخذت من ثم تتلاشى عبادة الاوثان وانتشرت النصرانية في جميع الاصقاع

وعلى القبة المذكورة نقوش وصور محفورة تخبر عن احوال الروميين وعوائدهم واكثرها مأخوذ من ابنية قديمة اضيفت الى القبة منها ما يمثل الملك تريانس داخلاً رومية ظافراً منصوراً والاسرى يستعطفونه ومنها ما يمثل القيصر في بلاد بارتيا اوارشاق مشتغلاً في تنصيب ملك لامتها · ومنها ذبائح تتقدم الى الالهة ابولون وديانا ومنها صيد الوحوش الكاسرة وكل هذه النقوش في غاية الدقة · واما التي نقشت على عهد قسطنطين فهي غير متقنة وتمثل هذا الملك منصوراً في بعض حروبهِ او منتصباً على المنبر خطيباً في شعبه

◎◎※

قصر دوريا · — مررنا بشارع كرسو من احسن شوارع رومية وفيه قصر دوريا كان قبلاً مسكن بعض الامراء الايتاليين ثم خصص لحفظ الآثار القديمة والحديثة ويرى فيه الان على خاصة صور المعلمين الذين اشتهروا في القرن السابع عشر ولم يتيسر لنا الدخول اليه بسبب الاهتمام في اصلاحهِ · ذكرنا لك ذلك لتعرف ما في رومية من الطرائف والآثار والرسوم التي لا تحصى ولا تعد وما في ذلك من عظيم الفائدة علماً وفناً وادباً

وفضلاً عن هذا القصر وغيره مما ذكرنا ففي رومية دورٌ اخرى جمعت تحفاً ثمينة يقتضي لشرحها مجلدات برمتها ولو اردنا زيارتها كلها لاستغرقت اياماً عديدة بل سنواتٍ · ومن الدور المشهورة برومية :

دار تحف (كرسيني) · — فيها ثمان قاعات مفروشة بتصاوير مشاهير المعلمين يذكر عنها خصوصاً صورة هيرودية قابضة بيدها على الطبق وعليه راس

يوحنا المعمدان . ثم

دار تحف (تُرلونيا) . — ويقال انها تعد من الدرجة الثانية بعد الدار الواتيكانية ولا يؤذن لايّ كان ان يدخلها وهي مُلك امير تُرلونيا وتحوي ما يزيد عن ستمائة تمثال منسوبة الى اليونانيين والروميين في الزمان الذي نبغت فيه ارباب الصناعة في الحفر والنقش

ثم بالقرب من المدرسة الرومانية التي كانت للاباء اليسوعيين :

دار (كرشر) . — على اسم مؤسسها الذي كان راهباً يسوعياً وقد اشتهر بتآليفهِ التاريخية واكتشافاتهِ في الطبيعيات وكان يعلم قبلاً في مدينة (ورتزبرج) ثم جاء يدرس في المكتب الروماني فاسس داراً للتحف . وفي سنة ١٧٧٦ اضيف اليها داراً ثانية تحوي اثار الانسان القديم المعروف عند العلماء بالانسان السابق التاريخ وامتعةً كثيرة وادوات متجنسة تتعلق باحوال ومعيشة الشعوب القديمة منها من اوسيانيا ومن البحر الشمالي ومن افريقيا والصين والهند واليابان ومن صوريا وبلاد العرب وسيام . ومما يستحق الذكر كنز (ابرِنستا) (Trésor de Préneste) وهي امتعة وحلى اكتشفت حديثاً (سنة ١٨٧٦) في (بالسترينا) ويظن انها كانت لاحد الملوك في القرن السابع قبل المسيح . ثم :

قصر (كولونّا) . — وفي طابقهِ العلوي قاعات مفروشة برسوم وتصاوير مختلفة ونضرب صفحاً عن ذكر قاعات بربريني وشيجي ومار لوقا وغيرها مما يعجز القلم عن احصائها

***

كنيسة مار بطرس المقيد بالسلاسل . — وجدنا في هذه الكنيسة السلاسل الحديدية التي قيد بها الروم رجلي بطرس الرسول وهو في السجن وكانت الملكة (ادكسيا) امرأة (والنتينيانس) الثاني التي بنت الكنيسة المذكورة قد جاءت بهذه السلاسل من اورشليم وقدمتها الى البابا لاون الاول سنة ٤٤٢ ويقال ان السلسلة التي غلّ بها مار بطرس في سجن (مامرتينس) اضيفت اليها وكلتاهما

معروضتان الان في الكنيسة

وفيها تمثال موسى النبي من صنع ميكلانج منصوب عند ضريح البابا يوليوس الثاني ويحسب من انفس التماثيل الرخامية المحدثة فتماوجت في وجهه الهيبة والكآبة لانه لما انحدر من جبل سينا رأى امته ساجدة للعجل الذهبي

كنيسة العذراء في شارع (لاتا) وكنيسة الرسل · — دخلنا هاتين الكنيستين وشاهدنا فيهما ما لم نَرَهُ في غيرهما من المعابد وهذا ما فيه بهجة للنواظر اي ان كل كنيسة من كنائس رومية تمتاز عن غيرها بشكلها وهندستها وترتيبها وبما تحوي به من الاثار المتنوعة · وتحت كنيسة العذراء المذكورة حجرة صغيرة يقال انها كانت سجنا لمار بولس الرسول واليها كان ياتي مار لوقا ليساعده على ارشاد الناس الى الدين المسيحي وتعليمهم قواعده

ومن اثار كنيسة الرسل ضريح (اقليميس) الرابع عشر انشأَهُ (كانوفا) وصورة استشهاد الرسولين فيلبس ويعقوب من قلم (موراتوزي) وهي في صدر الكنيسة وقد نقش على سقفها صورة سقوط الملائكة من السماء وهي مؤثرة للغاية

صلوة الفرض في كنيسة العذراء الكبرى · — بمناسبة عيد السيدة في اليوم الخامس من آب تذكاراً للمعجزة التي ذكرناها عن ظهور الثلج في مثل ذلك اليوم اقيمت في هذه الكنيسة حفلة شائقة وبحضرة جم غفير من الاساقفة والخوارنة والكهنة والعوام · وانشد المرتلون في اثناء الرتبة اناشيد وتراتيل تحرك العواطف · ودامت صلوات الفرض ساعات طويلة لان الطقوس لم تزل في الكنائس الكبرى على ترتيبها القديم

﴾ يوم الاربعا في ٥ من آب ﴿

حمامات ديوكلسيانوس وكنيسة سيدة الملائكة · — دار التحف في حمامات ديوكلسيانوس · — جبل يانوكولو وما فيه من الاماكن المشهورة · — قصر « فرنز » · — سوق الاربعاء وساحة نافون · — كنائس القديسة اغنيسية والقديس اغسطينس · — الفوروم الروماني واثاره · — هيكل وستا ومسكن العذارى المخدرات · — هيكل يوليوس قيصر · باسيليقا يوليوس او بوليا · — هيكل وسبازيانس · — هيكل كنكرديا او الاتحاد · — قبة النصر لسبتيم سويرس · منبر الخطابة · — البورصة · — هيكل فستينا · — العاب المصارعين والولائم العمومية · — الجنازات · — قبة النصر للملك تيطس وهيكل الزهرة ورومية · — كنيسة القديسين قزما ودميانس · باسيليقا الملك قسطنطين

حمامات ديوكلسيانوس وكنيسة سيدة الملائكة · — كانت هذه الحمامات اعظم ما بُني في رومية على شكلها وقد شيدها ديوكلسيانوس ورفيقه مكزنس وذلك سنة ٣٠٥ — ٣٠٦ وقيل انهُ اشتغل في هذا البناء الضخم اربعون الف رجل من المسيحيين الذين حكم عليهم بالقتل ايام الشدة · واتفق ان البابا بيوس الرابع دخل ذات يوم ليشاهد خرابات الحمام فوجد قاعة رحبة لا تزال قائمة بجدرانها وقبتها المسنودة بثمانية اعمدة رفيعة من حجر الصوان · فاوعز الى ميكلانج ان يحوّل تلك القاعة الى كنيسة فاجاب هذا المهندس الى طلبه وبنى كنيسة سيدة الملائكة المشهورة في رومية · فانطلقت صباحًا لزيارتها وشاهدت صحنها الذي يبلغ طولهُ ٩٠ مترًا وعرضه ٢٧ مترًا وارتفاعهُ ٢٨ مترًا ما عدا محل التقديس

والمدخل والمعابد القائمة على اطرافها . اما الاعمدة فطول الواحد منها ١٣ متراً و ٨٠ سنتيمتراً

وشاهدت فيها تمثال القديس « برونو » كبيراً جداً وصوراً نفيسة كانت قبلاً في الكنيسة البطرسية منها سقوط سمعان الساحر وبعث « طابيتا » ومعمودية المسيح جميعها من قلم مشاهير المصورين

***

دار التحف في حمامات ديوكلسيانس . — وكان قبلاً قسمٌ من الحمامات المذكورة ديراً لرهبان « الشرتز » فانقلب الان الى دار تحف حوت جانباً من اثار الروميين التي ظهرت في الحفريات المتاخرة فتشمل الطبقة العليا ست عشرة قاعة مشحونة بالتماثيل والتحف النفيسة واستودعت الطبقة السفلى التي كان فيها صوامع الرهبان حجارة منقوشة وقبوراً محفورة على اختلاف اشكالها

وانصرفت من هناك لاستماع القداس في كنيسة العذراء الكبرى وفي خلاله كان الورد يتناثر ناعماً من القبة فوق محل التقديس وبعد القداس اقيمت رتبة الزياح والطواف داخل الكنيسة

***

جبل يانوكولو وما فيه من الاماكن المشهورة . — انطلقت بعد الظهر بصحبة اخي والموسيو ريشي الى جبل « يانوكولو » وهو ربوة عند اطراف المدينة في حيّ يقال له (ترستيفرو) (Trastévère) ولا يسكن هذا الحي الا الفعلة والفقراء . قصدنا اليه على العربة بين صفوف الاشجار ووصلنا الى ساحة بالقرب من كنيسة مار بطرس المعروفة بمنتوريو يشرف منها على المدينة وعلى كنائسها وقصورها ومسلاتها وبساتينها ونهر التيبر الجاري في وسطها كقضيب البلور ويعدّ ذلك المكان من اجمل المواقع التي يتسنى لزائر رومية النظر منه انحاء المدينة

ودخلنا الكنيسة التي يقال انه في موضعها كان استشهاد مار بطرس الرسول وشاهدنا فيها صور بعض القديسين وتجلي المسيح ومعمودية يوحنا —

بما كان حصار سنة ١٨٤٩ اتصلت عوامل الخراب بالكنيسة فجددها
بيوس التاسع

ومنها ولجنا ديرًا صغيرًا للاباء الفرنسيسيين وفي عرصته قبة جميلة للغاية
قائمة على ست عشرة اسطوانة انشئت سنة ١٤٩٩ ـ ١٥٠٢ في المكان الذي
صلب فيه مار بطرس الرسول وهذه القبة تحسب من عجائب الزمان وكان قد وضع
رسمها المهندس الشهير برامنت الذي تقدم ميكلانج ورافائيل [1]

ثم خرجنا من الكنيسة واطردنا المسير صعدًا في الجبل حتى انتهينا الى
بركة ماء عذب معروفة ببركة (أكوا باولا) تنحدر المياه اليها من مكان مرتفع
كالشلال بين الصخور والتماثيل وهي تاتيها من بحيرة (براشينو) على مسافة
خمسين كيلومترًا

ثم لبثنا سائرين الى ان بلغنا قمة جبل يانوكولو حيث نصبت حكومة ايتاليا
تمثال غريبلدي من نحاس اسود يمثله ممتطيًا الجواد وهو ينظر شذرًا الى جبل
الفاتيكان الذي يقابله ويبلغ علو التمثال مع الجواد سبعة امتار وعند اقدام الجواد
امثلة عساكر ايتالية قتلى وسلاحهم في ايديهم وهذه ايضًا من النحاس الاسود ثم
انهم عن يمين التمثال مقامٌ يرمز الى اميريكا بالتجارة والزراعة وعن يساره ما
يشير الى اوروبا وتاريخ مجدها

وحول تلك الساحة رؤوس بعض الرجال الذين تنافسوا في خدمة
الدولة الايتالية

وتخطينا الى ظاهر المدينة من باب اسمهُ الان باب القديس (بنكراسيو)
وكان قبلاً معروفًا باسم (الباب الاوربلياني) ومكثنا سائرين الى سهل واسع جرت
فيه موقعة شديدة سنة ١٨٤٩ بين القائد الفرنسي (اوديتو) و بين الجنود الايتالية

---

(١) ان البابا يوليوس الثاني فضلاً جزيلاً في استدعاء هؤلاء الرجال
الثلاثة الى رومية اعني بهم برامنت وميكلانج ورافائيل فانهم مهدوا سبيل الترقي لفني
الهندسة والرسم في القرن السادس عشر حتى بلغوا بها أوج الكمال

التي كانت قد استولت على رومية . و بعد دفاع استمر ثلاثين يوماً قهرهم الفرنسيو
ودخلوا رومية عنوةً ومنذ ذلك الحين ابقت الدولة الفرنساوية خمسة عشر الف
جندي للمحافظة على الكرسي الباباوي واستمرت هذه المحافظة حتى سنة ١٨٦٦
عادوا اليها في السنة التالية وفي العشرين من ايلول سنة ١٨٧٠ دخلت الجنود الايتالي
رومية بعد ان حاصروها خمس ساعات

***

قصر (فَرْنز) . — وعُدنا من الساحة التي وقع فيها القتال الى المدينة فررنا ا
طريقنا بقصر (فرنز) الذي استأجرته الدولة الفرنساوية سنة ١٨٧٤ وجعلتهُ مقرّ
لسفارتها وهو من ابدع قصور رومية بناه الكردينال اسكندر فرنز سنة ١٥٤٣ ..
١٥٤٠ بمناظرة ميكلانج ولم ينجز حتى سنة ١٥٤٦ واخذت حجارتهُ من كولوسايو
ومن (مرسلس) . ثم انشأت السفارة الفرنساوية في الطبقة العليا منه سنة ٨٧٥
مدرسة « اركيولوغية » (معرفة اثار البلاد) ودعتها مدرسة رومية . وارادت الدو
المذكورة ان تشتريه فلم تؤذن بذلك شورى الدولة الايتالية

***

سوق الاربعا وساحة نافون . — رأينا بجوار ذلك القصر ساحةً فيها خيا
مضروبة منصوبة لبيع الامتعة الرخيصة البخسة الثمن والقديمة ولا تقوم هذه السوق
الا يوم الاربعا من كل اسبوع ومنها انتقلنا الى ساحة « نافون » وكانت قديماً مرع
الخيل على عهد « دوميسيانس » وفيها ثلاث برك على احسن طرز والطف اسلوب
فالبركة التي في منتصف الساحة مبنية من رخام وجمل (برتيني) في وسطها صخرة
وعليها مسلة فرعونية من الصوان الاحمر وقسم الصخرة اربعة اقسام اشارةً الى اربعة
اقطار الدنيا وعلى اطرافها تماثيل رخامية بهيئة الجبابرة ورمز الانهر الاربعة العظيم
وهي الطونة والغنج والنيل وريو دي بلاتا [1] . وفي البركتين الثانيتين تماثيل جميلة

---

(١) عندما طُلب الى المهندسين ان يخططوا الرسوم لبناء هذه البركة لم يكن
العلاّمة برتيني بينهم لان الحساد سعوا به ونبذوه من عدد المترشحين لهذا العمل .

منها اشهر النحاتين الايطاليين وحول البرك الثلاث مقاعد من حجارة نظيفة يجلس عليها الاهالي عندما يأتون الساحة للاستراحة من حرّ الصيف واستنشاق الهواء اللطيف

***

كنيسة القديسة اغنيسيا والقديس اغسطينس ٠ـ وفي غربي ساحة نافون كنيسة القديسة اغنيسيا ولها قبة جميلة وواجهة بديعة بناها المهندس « روميني » في المكان الذي استشهدت به القديسة المذكورة وعلى مسافة قريبة منها كنيسة مار اغسطينس وفيها تمثال مريم العذراء المعروفة (بمادونا دبرتو) وعلى مذبحها الكبير ايقونة العذراء نُقلت اليها من كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية وقد زعموا انها من قلم لوقا الرسول ٠ وفي عهد قريب امتلأت جدران هذه الكنيسة مع سقفها بالنذورة من حلى فضية وذهبية فاقتضى الامر ان تُرفع وتباع واُنفق ثمنها في زينة الكنيسة ونقش جدرانها وابتياع امتعة ثمينة لخدمة طقوسها ومع ذلك وجدناها قد احرزت من جديد نذورة جديدة وكان فيها جمٌ غفير من سكان رومية يصلون بورعٍ وخشوع وهذا دليل واضح على ان شعار الدين لا تزال عندهم معظمة كما كانت في الازمنة السالفة

والى جانب هذه الكنيسة خزانة كتب انشئت سنة ١٦٥٠ وابيح الدخول اليها لمن اراد واسمها خزانة الكتب الملائكية ٠ـ

***

الفوروم الروماني واثاره ٠ـ هي الساحة الكائنة بين (الكابيتول) و (البلاتين) يرى فيها اليوم خرائب كثيرة واعمدة ضخمة مع بعض قواعد وغيرها من اثار الابنية التي قامت في ايام الجمهورية وعلى عهد القياصرة وقد اختار الروميون تلك الساحة

فذهب اليه احد اصدقائه وهو الامير (لودوفيزي) وقال له : خطط لي رسماً وانا اقدمه عنك ٠ وبعد عناء كلي ارتضى برتيني بذلك رغبةً في قهر حسّاده ٠ ولما فرغ من الرسم اخذه الامير وعرضه في قاعة يمر بها الحبر الاعظم ولما وقع نظره عليه اعجبه جداً فاعتمده في العمل دون سائر الرسوم



منذ تأسيس رومية لتكون مجتمعاً لاهلها يقضون فيها اشغالهم ويتبادلون الافكار بشأن سياسة الملك وتدبير مصالح الامة ففي الصباح كان يُباع فيها الخضر والبقول وغيرها وفي اثناء النهار كان يجلس فيها القضاة للحكم واستماع الدعاوى وعند المساء كانوا يقصدونها للتنزه اوقات الفراغ ثم وسعوا نطاقها وزادوا في محلاتها فبنوا اسواقاً لبيع اللحوم والخضر . وما لبثوا ان بنوا فيها هيكل (زُحل) سنة ٤٩٧ ق . م . وهيكل (كستور) سنة ٤٨٤ ق . م .

وعظمت سطوة الروم فتكاثرت الجمعيات في الفوروم فابطلوا بيع المأكولات في هذه الساحة واقاموا بدلاً منها حوانيت للصيارفة والجوهريين . وجرت فيها الصاب المصارعة تحدياً بالامم الغريبة سنة ٢٦٤ . ولما فرغوا من محاربة اهل (قرطاجنة) المرة الثانية غيروا شكله وانشأوا في اطرافها الاندية (الباسيليقات) وهي قاعات للاجتماع وامامها اروقة معقودة على اعمدة يأوي اليها الشعب اتقاء الحرّ والبرد . ولما ملك (يوليوس قيصر) وسّع نطاقه باضافته اليها ساحةً اخرى سماها باسمه وبنى في الجهة الجنوبية نادي يوليا . ثم خلفه اغسطس قيصر فانجز ما شرع به عمه وشاد ابنية فاخرة واقتفى اثره اكثر القياصرة الذين تولوا بعده امر الملك حتى القرن الرابع من التاريخ المسيحي .

واخنى الدهر على هذا المكان فانبذه ونقضه فقامت فيه المزارع والبساتين واوت اليه الحيوانات وجعلوا فيه مرابض للخيل والبقر وغيرها

ولم يكترث اهل رومية بما انطوت عليه اضلاعه من الاثار ولبثت مطوية الى القرن التاسع عشر وفي سنة ١٨٠٣ وجدوا قبة النصر المنصوبة الى (سبتيم سويرُس) ثم عمود « فوقس » (سنة ١٨١٣) وفي سنتي ١٨٣٥ و ١٨٤٨ اكتشفوا نادي يوليا

ولما قبض الايطاليون على ازمة الملك ودخلوا رومية اوعزوا الى المهندس (روزا) سنة ١٨٧٦ ان يطرّد الحفر الذي كان باشره على عهد سلطة البابا . فشمر عن ساعد الجد وازاح نحواً من ١٢٠ متر مكعب من الانقاض التي كانت تستر تلك الاثار . ومن اعظم ما اكتشفه هذا العلاّمة المقدام هو :

هيكل (وستا) ومسكن العذارى المخدرات . — في اقصى عدوةٍ من الفوروم . ومعلوم ان الروميين كانوا يجلون مقام العذارى او الكاهنات اللواتي كان يفرض عليهن

السهر امام المذبح في هيكل (وستا) وايقاد النار ليلاً او نهارًا والدعاء في الغدوّ والاصال من اجل بقاء الجمهورية وارتفاع شأنها وكان هيكلهنّ مستدير الشكل . زعم قومٌ انه كان رمز كروية الارض وفي قلبها النار تغذي المخلوقات وتحييها . وقال غيرهم ان هيكل وِستا ما كان الا على شكل اكواخم القديمة المبنية بالقصب والطين ثم رمّموه وكسوه بالآجرّ والرخام وزينوه بالاعمدة والاساطين

اما مسكن الكاهنات القائم بجوار الهيكل فيستدل من اثار بنائه الباقية الى اليوم على انه من القرن الاول او الثاني بعد المسيح وهو يتألف من ثلاثة اقسام الاول دارٌ طولها ٦٨ مترًا بعرض ٢٠ والثاني مسكن الكاهنات او صوامعهنّ والثالث يشمل محال الطبخ والكلاء وغيرها . ـ و يطيف بالعرصة اروقة معقودة على اعمدة وفي زواياها تماثيل رئيسات العذارى اللاتي كنّ يسسنّ باقي العذارى وقد نقش على قاعدتها اسم العذراء ومرتبتها ومناقبها ولم يكن يتجاوز عدد الرئيسات الستة في وقت واحد وكان لهنّ مقام جليل وقدر عظيم حتى ان الملك (تيبار يوس) لمّا اراد ان يسلي ابنة (فنتايس اغريبا) عن حرمانها الدخول في مصافهنّ وهبها مبلغًا وافرًا قدره نحو مليون دينار والظاهر ان معظمهن كان من علية القوم

وكان يطلب منهنّ ان يمكثنَ عفيفات ويثابرنَ على التقوى والغيرة في تقسيم واجباتهنّ وكان لباسهنّ بسيطًا يدل على الكمال ـ ويضعنَ على صدرهنّ كتابًا مستديرًا صغيرًا اسمه (بُلاً) كما تتقلد الراهبات المسيحيات صليبًا مكشوفًا على الصدر . وكانت شعورهنّ قصيرة ويلبسنَ نوعًا من التاج على رؤوسهنّ . وهذه الملابس تُرى على التماثيل المحفوظ منها الى الان سبعة عشر منها ما نُقل الى دار التحف في (كابيتول) ومنها ما بقي مهشّماً في مكانه وقرأنا كتابةً منقوشةً على احدى قواعد الاعمدة تشير الى ان العذراء التي شبهها كانت فريدةً في علمها (Doctrine mirabilis) ولما تحتم على هولاء الكاهنات ان يمكثنَ ثلاثين سنة في الهيكل فكنّ يقضينَ عشر سنوات في تعلم مهنتهنّ وفي العشر سنين التي تليها كنّ يقمنَ بخدمة الهيكل وتميم الوظائف المرتبة عليهنّ . واخيرًا كنّ يعتنينَ بتهذيب المبتدئات وتدريبهنّ

هيكل يوليوس قيصر . ـ في ساحة الفوروم : وهو ضيق النطاق لم يبقَ منه

سوى بعض الجدران التي كانت اساس البناء وله قصةٌ غريبة أثرت ان اقصها عليك

لما قتل يوليوس قيصر في اليوم العشرين من ادار سنة ٤٤ قبل المسيح نقل جسده على نعشٍ من العاج الى ذلك المكان. وتسنم (مرك انطوان) منبر الخطابة فأبنه بيلاغةٍ وفصاحة اثرت بقلوب السامعين واستنزفت عبراتهم اسفاً على الفقيد. ثم نهض جمهور الحاضرين وجاءوا بالاخشاب والكراسي الموجودة حولهم وحرقوا جسده تعظيماً له و بنوا بالموضع نفسه مذبحاً ونصبوا عموداً وشرعوا يقدمون له القرابين كانه من الالهة. ولما نال حزبه الفوز وصدر الاعلان الصريح بارتقاء يوليوس لمقام الالهة تحوّل المذبح الى معبدٍ وكرّسه اغسطس قيصر في ١٨ من اب سنة ٢٩ ق.م.[1] ورأينا عن يسار ذلك الهيكل لجهة الطريق المؤدية الى الكابيتول خرائب عظيمة وهي اجمل ما عثرت عليه ايدي المكتشفين في الساحة الرومانية وهذه تنسب ايضاً الى يوليوس قيصر واسمها :

---

(١) عقيب ان تلا مرك انطوان في اثناء تأبينه اوامر اهل الشورى الذين رفعوا منزلة يوليوس قيصر الى مقام الالهة ودعوه قديساً وابا للوطن التفت الى ضريح القتيل وقال معرّضاً بالقاتلين : هلموا وانظروا برهاناً على خيانتهم فانهم التجأوا الى حماه واستظلوا بظل سطوته ونجوا من الهلاك. اما هو فلم ينجُ بل سفكوا دمه وقتلوه مع انهم عاهدوه بقسَمٍ على المدافعة عنه وقتل كل من عاداه

ثم مد يده الى جهة كابيتول حيث هيكل الالهة وصاح قائلاً : اليك ارفع صراخي يا (يوبيتر) حارس هذه المدينة وبكم استجير ايتها الالهة واقسم امامكم باني منتقمٌ له ـ و بعد ذلك نزل من منبر الخطابة وتقدم من جثة يوليوس وانشد له نشيد الالهة واخذ يعدّد الحروب التي اضرم نارها وساحات القتال التي نزلها والبلاد التي قهرها وفتحها وقال : يا بطلاً صنديداً أما انت الذي صدمت الجيوش وخضت ميادين الوغى واقتحمت المخاطر والمخاوف ولم تخشَ غائلةً واتيت الى هنا لتموت بين ايدينا. قال هذا الكلام ونزع الرداء الملطخ بالدم الذي كان ساتراً الجثة واراه للشعب وهو

نادي (باسيليقا)[1] يوليوس او يوليا . شرع في بنائه يوليوس المذكور وانجزه اغسطس وهو بمثابة قاعة عظيمة في وسط بناء ضخم خصّ بجلاس للقضاة . وكان يعقد احياناً فيه اربعة مجالس في وقت واحد وفي هذا النادي اقيمت الدعاوى المذكورة لعهد (كتيليانس) و (ابلينس) الاصغر وغيرهم من مشاهير البلغاء والخطباء و يحدق بجهات هذه القاعة من الخارج اروقة قائمة على اعمدة كان يجتمع الناس اليها رجالاً ونساءً وكثيرًا ما كان يعقد الشبان في تلك الساحة عهود الحب مع الفتيات الروميات

ولم يبقَ من اثار هذا النادي الا شيء من رخام ارضها وقد رسمت عليه العلامات الدالة على الالقاب التي كان يلهو بها عامة الناس لا بل احياناً بعض وجهاء البلدة كما اخبر شيشرون في احدى رسائله وكان فوق اروقة القاعة رواق ثانٍ عالٍ يشرف على الساحة ومنه كان (كاليغولا) يرمي النقود للناس ليراهم واثبين عليها ومتقاتلين في التقاطها

وقد علمنا من اغسطس عينه ببناء هذا النادي بما اودعه وصيته المحفورة على جدار هيكل تهدّم فلا يزال محفوظاً في مدينة انقره . قال : انجزت بناء الباسيليقا التي باشرها والدي وهي واقعة بين هيكلي كستور وزُحل

وكان هذان الهيكلان عن جانبي الباسيليقا المذكورة وقد بقي من هيكل كستور

وهو يذرف العبرات فهطلت الدموع من عيون الحاضرين تحسرًا وتأسفاً عليه ولم يكتفِ بذلك بل رفع الجثة ليراها الجميع وفيها ثلاثة وعشرون جرحاً في صدره ووجهه وامر النادبين ان يندبوه هكذا : اما انقذتهم من الهلاك إلاّ لاموت لاجلهم ....

(١) باسيليقا (Basilique) كلمة يونانية الاصل مركبة من (Βασιλέως) ومعناها ملك و (οἶκος) بيت تسمت بها في رومية القاعات الملوكية كما ذكرنا آنفاً . ثم اطلق هذا الاسم على الكنائس المسيحية الكبرى

ثمانية اعمدة ومن هيكل زُحل ثلاثة ولهذه الاعمدة الثلاثة تيجان بديعة الشكل والصنعة يقال انها من جزيرة (بارُس) اليونانية

هيكل وسبازيانس ٠ ــ بناه الملك دوميسيانس ورممه سبتيم سويرُس وقد بقي منه ثلاثة اعمدة ٠ والثاني

هيكل كنكرديا اي الاتحاد ٠ ــ وكان يجتمع اليه شيوخ الامة وكان من عادة الرومايين ان يقدموا هدايا لهذا المذبح كالاواني الفضية والذهبية فاستدل البعض من ذلك على ان الهيكل صار دارًا للتحف على عهد تيباريوس قيصر ٠ ثمَّ شاهدنا

قبة النصر التي عقدت لسبتيم سويرُس ٠ ــ علوّها ٢٣ مترًا في عرض ٢٥ بنيت سنة ٢٠٣ للمسيح تذكارًا لانتصار الملك المذكور ولابنيه (كاراكلاً)و (جيتا) على دولتيْ ارشاق والعرب وغيرهماولا زالت هذه القبة محفوظة كاملة الشكل مع نقشها وسطورها ما عدا تمثال سويرُس الذي كان قديمًا باعلاها و بجانبه ملك النصر يلبسه التاج وكلاهما جالس على عجلة من رخام تجرّها ستة جياد ونقش على هذه القبة رسومٌ مختلفة منها حصار مدينة بابل وفتحها وعبور نهرَي دجلة وفرات وفتح سلفكه وماردين وتدل هذه النقوش على ان الفنون الدقيقة كانت وقتئذٍ متقهقرة

***

منبر الخطابة ٠ ــ وبين هذه القبة وقبة ثانية عفا رسمها منسوبة الى الملك تيباريوس كان منبر الخطابة ٠ وقد وقف عليه الخطباء المبرّزون كشيشرون وكاتون و بقي هذا الموضع كما كان على ايام الجمهورية منذ نشأ تها الى ان جاء يوليوس قيصر ونقله الى مكان آخر وزينه اغسطس بصور البواخر التي قبض عليها في موقعة اكسيوم ٠ وصعد منبر الخطابة القياصرة بانفسهم مثل وسبازيانس وتريانس ومرك اوريليوس وسبتيم سويرُس ليخاطبوا رعاياهم و يخابروهم عن وقائعهم وانتصاراتهم

لا يلبث الانسان الواقف في تلك الساحة والمتأمل بما مرّ عليها من الحوادث والشؤون وما طرأ عليها من الكوارث والشجون ان تنبض فرائصه و يغوص في بحر

الفكر متذكرًا تقلبات الدهر وعجائبه · وقد قال شيشرون الذي دوى صوته كثيرًا في تلك الساحة : ان كل شبرٍ من ارض الفوروم يحكي عن حادثة من حوادث ملفائنا

وزد على ذلك انه لو وُجدنا في تلك الساحة في ايام زهوتها لشاهدنا تماثيل عديدة منصوبة في جميع اطرافها وقد قال عنها « شاتو بريان » : ان قوماً من الموتى كانوا ممتزجين بقومٍ من الاحياء

ولما كانت الملوك او قواد الجيوش يرجعون الى رومية ظافرين كانوا يمرّون بموكبٍ عظيم في تلك الساحة والرايات والالوية فوق رؤوسهم خافقة تتقدمهم الغنائم التي غنموها وهي معروضة لاعين الناس · ثم يتبعهم الامير او الملك المتغلب وبعد ان يكونوا قد طافوا به في الشوارع من الكابيتول الى الفوروم يلقونه في سجن مامرتينس يموت فيه · (وقد سبق ذكر هذا السجن في صفحة ٥٧)

واذا نظرنا الى ضيق الساحة وعدم انتظام تخطيطها يأخذنا العجب كيف انها مع هذه الحالة كانت تكفي لجميع الامور التي ذكرناها وكيف كان يجتمع فيها جماهير الناس لقضاء مصالحهم وصرف اوقاتهم · وقد ذكر هوميرُس الشاعر اليوناني المفلق انه كان يقصدها كل يوم مساءً للتنزه واتفق ذات يوم ان لحق به احد الثقلاء فطلب اليه بلجاجةٍ ان يعرّفه بصديقٍ له اسمه « ميسانيوس »

وكان رجال السياسة والمخبرون واهل البطالة يجتمعون عند منبر الخطابة يتناظرون ويتشاورون بمهام الدولة وينتقدون على قواد الجيوش الذين لم يفوزوا بالنصر في مواطن الحروب باول وقعةٍ يلقون بها العدو وكل ذلك يقولونه علناً ولا يخشون لومة لائمٍ ·

الندوة المالية · — وبجانب ذلك المكان عند نادي « اميليا » كان يجتمع التجار والصيارفة واصحاب الاملاك والعقارات شأن اهل الندوة المالية في ايامنا لتعاطي الاعمال التي تزيد ثروتهم بوقتٍ وجيز وتذهب بالهم بلمحة بصر

هيكل « فستينا » · — بالقرب من نادي اميليا أثر هيكل « فستينا » وهي امرأة الملك « انطونينس » · — قد بقي قسمٌ من رواقه تسنده عشرة اعمدة · ثم تكرّس الهيكل للملك نفسه بعد موته اذ رفعته الامة الى مقام الالهة بشأن امرأته كما يتوضح

ذلك من الكتابة المحفوظة على الرواق وهي :

Divo Antonino et diva Faustina Ex. S. C.

« الى انطونينس الاله وفستينا الالهة بموجب قرار شورى الدولة »

***

العاب المصارعين والولائم العمومية . — وافضل ما كان يلهو به الروم المصارعة وكانوا يتنازلون في الساحة في اعيادٍ خصوصية وفي غضونها كانت تغصُّ الساحة بالمتفرجين يجلس البعض على درج الهياكل والبعض الآخر على سطوح الاندية وكانت هذه الاعياد تطول اياماً عديدة وفي نهايتها يولم وليمة عظيمة يُدعى اليها جميع الحاضرين وغيرهم

المآتم . — ومن جملة غرائب (الفوروم) المآتم التي كان يقيمها الروم بمزيد الاحتفال . فكان يتقدم الموكب الضاربون بالناي والنافخون بالابواق ثم النادبات يندبنَ وينتفنَ شعورهنَّ ويليهم الاصدقاء والعبيد والخدم واخيرًا العجلة وعليها الجنازة ومن حولها العبيد وفي ايديهم صور ابائه واجداده وحفدته . وبهذه المناسبة نذكر مأتماً حافلاً شهدت به الساحة يوم وفاة اغسطس قيصر في التاسع عشر من آب سنة ١٤ للمسيح وذلك انه في اليوم المعين لدفنه جاء القضاة بنعشه محمولاً على اكتافهم ومرُّوا به في الفوروم الى الساحة العسكرية التي كانت بجوارها حيث نصبوا الحطب لاحراق جسده . وكان يتبعهم رجال حاملون ثلاثة تماثيل منها تمثل اغسطس وعلى منكبيه رداء النصر واجداده ومشاهير الروم من (روميلس) الى (بمبيوس) والامم التي قهرها وعليها ملابسها الوطنية . ويتلو هولاء الرجال اهل الشورى واكابر الامة والوجهاء ثم خادمات الهياكل والمذابح وحولهنَّ اجواق الغلمان والبنات من السلاء ينشدون المراثي ثم الحرس الملكي والحرس البلدي مع جمٍ غفير لا يحصي من سكان رومية . وعند وصول هذا الموكب الى منبر الخطابة الذي ذكرناه انتصب خلفه (تيباريوس) وأبَّنه وفعل ذلك ابنه (دروزُس)

ولما بلغوا المحطب المرتب على شكل هيكل مربع ذات اربع طبقات مظلل

بالديباج والاقمشة الناعمة ومزين بالتماثيل والصور وضعوا عليه النعش وقد غطته انواع الرياحين والزهور واخذ يدور حوله القضاة واهل الشورى ثم الوجهاء والجنود وجميع الحاضرين . فمنهم من كان يلقي على جسده علامات الافتخار التي نالها بايامه ومنهم من كان يرش جسده بالعطور والارواح المسكية

وما انتهوا من هذه الرتبة الا واشار تيباريوس بيده اشارة خفيفة فبادر بعض روساء الجيوش ورموا فوق الجثة جذاء مشتعلة وفيما كان يتصاعد اللهيب طار نسرٌ من الهيكل الصغير المشيد قرب الحطب وحلق في الجوّ كانه يرفع نفس الفقيد الى اولمبيوس السماء

واستمرت النار متقدة خمسة ايام الى ان جاءت امرأته « ليفيا » مع اكابر القوم وجمعوا عظامه المشتتة بين الرماد و بعد ان غسلتها زوجته وطيبتها وضعتها في قارورة من المرمر الثمين وجعلتها في مدفن اغسطس في القبر الذي كان بناه لنفسه قبل انقضاء اجله

ورفع اهل الشورى مقام اغسطس الى مصاف الالهة وشرع الروميون يبجلونه ويكرمونه في معابدهم ومنازلهم حتى ان ليفيا عينها تسمت كاهنة لهذا الاله وكانت كل يوم صباحاً تأتي هيكله وتحرق البخور امام تمثاله

وجملة القول ان الفوروم كان عند الرومانيين مكاناً ليس اعظم منه من حيث خطارة شأنه في عينهم وكثرة الغرائب فيه ففضلاً عما ذكرنا من الامور التي كانت تعقد فيه كان القوم يحتشدون فيه لانتخاب الشيوخ والقضاة واستماع الدعاوى وسنّ الشرائع والمناداة بالاحكام والقوانين المسنونة

***

و يوجد في رومية ساحات (فوروم) غيرها بناها القياصرة وقد اقتصرنا على ذكر هذه الساحة لانها اجلّ قدرًا واكثر رونقاً من سواها ويليها خرائب هياكل وقصور كانت متصلة بها وقد اقيمت الكنائس حولها مقام الهياكل الوثنية

***

عمود ترايانس . — ان لساحة ترايانس التي كانت على ايامه زاهيةً زاهرة اثرًا لم يزل الى الآن قيل ان منشئها ومنسقها المهندس الدمشقي المعروف باسم « ابولودور »

وهذا الاثر هو العمود الرخامي الذي يبلغ علوه ٤٣ مترًا وعليه نقوش ناتئة تلتف به التفاف الحية وكله صور حروب ترايانس مع امة الداسيين . واذا ضربنا صفحاً عن ذكر رسم الحيوانات وانواع الآلات الموجودة على هذا العمود بقي ٢٥٠٠ رسم تمثل اشخاصاً على هيئة رجال

وكان مدفن تريانس تحت هذا العمود وتمثاله في رأسه وقام مقامه سنة ١٥٨٨ تمثال مار بطرس الرسول. وفي داخل هذا العمود درج لولبي يُصعد عليه الى قمته

***

ونختم كلامنا عن الفوروم بذكر اثرين عظيمين وهما :

١ً قبة النصر للملك تيطس و٢ً هيكل الزُهرة وروميه . — فالقبة بُنيت تذكارًا لانتصار الملك تيطس على امة اليهود وتدشنت على عهد دوميسيانس سنة ٨١ ميلادية ولها قنطرة واحدة منقوشة نقشاً جميلاً تمثل الملك تيطس جالساً على عجلة تجرُّها امرأة ترمز الى مدينة رومية و بازائه الموكب الملكي ووراءه اسرى اليهود ومائدة خبز التقدمة والشمعدان ذات السبعة شموع . وفي منتصف القبة صورة القيصر تحمله الملائكة الى السماء. اما الهيكل فقد بناه اهدريانس سنة ١٣٥ وجدّده مكزنس سنة ٣٠٧ وكان من اجمل الهياكل واعظمها وكان آجرُّهُ من النحاس المذهب اخذه البابا (انوريوس) الاول سنة ٦٢٦ واستعمله للكنيسة البطرسية . —

***

كنيسة القديسين (قزما ودميانس) . — . بناها البابا (فيلكس) الرابع سنة ٥٢٦ — ٥٣٠ . — بجوار الساحة مكان الهيكل الذي شيده مكزنس لابنه روميلس وفيها لحد القديسين قزما ودميانس اللذين استشهدا على عهد (ديوكلسيانس) ثم لحد البابا المذكور. وفي صدر المذبح رسوم مرصعة بالفسيفساء من القرن السادس تمثل الحمل الالهي مع الكتاب والاختام السبعة كما هو مسطر في رؤيا يوحنا في الاصحاح الخامس وغير ذلك من الرموز

***

نادي الملك قسطنطين ٠ ـ وبالقرب من الكنيسة المذكورة ثلاث قناطر عظيمة عرض الواحدة نحو عشرين متراً بقية اثار النادي الذي شيده مكزنس ولما قهره الملك قسطنطين تلقب باسمه

✻ يوم الخميس في ٦ من آب ✻

ذخائر الكنيسة البطرسية وقبتها ٠ ـ حديقة (برغز) ٠ — دار تحف برغز ٠ ـ

ذخائر الكنيسة البطرسية وقبتها ٠ ـ ذهبنا لمشاهدة ذخائر الكنيسة البطرسية وقبتها مع ابن عمتنا وبعض اصدقائه من السياح المكسيكيين فجزنا جسراً فوق نهر التيبر اسمه جسر (صنت آنج) بناه (اهدريانس) قيصر سنة ١٣٦ مسيحية وعليه الان عشرة تماثيل رخامية بهيئة الملائكة وهم حاملون صلباناً كبيرة جداً وعند مدخل الجسر تمثالان احدهما اكبر سائر التماثيل الواحد يمثل مار بطرس نحته (كورنزنو) والثاني يمثل مار بولس نحته (باولس رومانس) سنة ١٤٦٤

ولما دخلنا مخدع الكنيسة البطرسية فتح لنا احد خدمتها الخزائن التي استودعت الالبسة المدبجة والمطرزة والمزركشة بالفضة والذهب وطرائف الحلل والبزّات التي يلبسها الحبر الاعظم والكرادلة في الحفلات والاعياد والكاسات المرصعة بالجواهر واليواقيت والاشعة الفضية والذهبية المرصعة بانواع الحجارة الكريمة وكل ما حلا وغلا من الاواني التي يتعذر وصفها

وانصرفنا من المخدع بقصد الصعود الى القبة الشاهقة التي يبلغ علوها عن سطح الكنيسة ١٣٥ متراً ٠ فدخلنا باباً يليه دارٌ صغيرة ومنها اخذنا نصعد درجاً رحباً واحرى بنا ان نسميه طريقاً مرتفعة لان عرض الدرجة منه متران الى ان وصلنا سمت القبة ٠ ولم نشعر بتعب لان الطريق مرصوفة بالحجارة ودوراتها طويلة وبينما نحن صاعدون قرأنا على الحيطان اسماء بعض الملوك والملكات والامراء والاميرات الذين صعدوا الى القبة

ونصح لنا احد الخدمة بالدخول من باب الى الرواق المحيط بمركز القبة وهناك انجلى لنا منظر الكنيسة بعظمتها وكانت امامنا الصور المرصعة بالفسيفساء يحاكي كل حجرٍ منها بضخامته ضخامة الابهام لكنها مرصوفة بانتساق واحكام يخيل للناظرين انها مرسومة بالقلم

وتبيض فرائص الانسان عندما يرى الكنيسة تحت اقدامه كانها في هوّة عميقة وفوقها القبة الباسقة التي تناطح السحاب

وخرجنا من الرواق واخذنا نتجول على سطح الكنيسة فاذا في اطرافه التماثيل العظيمة التي تُرى من الساحة بكبر انسانٍ مع ان ارتفاع كل منها لا يقل عن عشرة امتار وامامنا القبة التي علوها من ذلك المكان ٩٤ مترًا٠ واشرفنا على المدينة والجبال المحدقة بها وقصر الواتيكان وبساتينه واشجاره وطرقاته المنتظمة وشاهدنا الروضة التي يتنزه فيها الاب الاقدس ٠ وعلى السطح ايضًا منازل وبيوت يسكنها نظار الكنيسة وخدمتها يقال ان عددهم اربعمائة نفس

ثم صعدنا درجًا ضيقًا جدًا حتى انتهينا الى رواق القبة التي في اعلاها وهناك لا يجتمع اكثر من ثلاثين او اربعين نفسًا و يلتزم الخدمة ان يقفلوا الابواب حذرًا من الازدحام ٠ ومن ذلك الرواق يصعد بسلم من حديد الى داخل الكرة النحاسية التي في رأس القبة وفوقها الصليب ٠ وهذه الكرة شاهدناها من الساحة بحجم بطيخة ولم اجسر ان اتسلق السلم الحديدي للدخول اليها لا سيما وان انوار الشمس كانت تنعكس عليها فاكسبتها حرارة شديدة ٠ واما اخي موسى فارتقاه ووقف برهة وجيزة ضمن الكرة التي تسع نحو خمسة عشر نفسًا وهي مطبقة لا يُرى منها شيء اصلاً

ونزلنا والعجب اخذ منا مأخذًا عظيمًا لما رايناه من بديع ذلك البناء الذي يدهش بهندسته الدقيقة العقول و يحير الالباب

⊚⊚⊚

حديقة برغز ٠ — هي حديقة فسيحة الجوانب ابتاعتها بلدية رومية ورتبتها لتكون مُتنزَّهًا لسكانها فيقصدونها نهارًا وليلاً تنسماً للهواء اللطيف وترنمًا بالحان الموسيقى التي تضرب ليلاً في فصل الصيف ومساحة الحديقة ٩٩٥٠٠٠

متر مربع · فلا يقدر الانسان ان يشارف جهاتها وما فيها من رياض وغياض وبرك وحياض باقل من نصف يوم وكثيرٌ من الناس يدخلونها على العربات او الدرّاجات

ولما انطلقنا اليها بعد الظهر انشرح بها صدرنا وراق في اعيننا منظرها وطاب لنا هواوءها ـ فليس لقلمي ان يحيط باوصافها فهناك المروج المخضلة تلعب على خضرائها الولدان ولا يخافون اذى السقوط او الاصطدام · والاجام ذات الاشجار الباسقة كالصنوبر والسرو وغيرها فيستظل الناس في ظلها الوارف ويدم جريدة او كتاب يطالعونه او يطلقون عنان الافكار منزهين نفسهم عن الهموم والاكدار · ومن بركها العديدة بركة تعرف باسم (بركة الخيول البحرية) تتدفق المياه من انابيبها بعزم شديد

ثم انتقلنا الى موضع آخر يسمى بستان البحيرة وفيه حوض ماء واسع تسبح فيه الطيور المائية كالبط والاوز فيلاعبها الصبيان والبنات ويلهون بها فرحين مسرورين وفي غيرها تنساب المياه من جدول الى جدول انسياب الاراقم وفيها ايضاً بستان لصيد الطير والحمام فيدخله من اراد ان يتمرّن على القنص بدفع راتبٍ معين

وطفنا ايضاً في تلك الرياض فوقع نظرنا في بعض ساحاتها تماثيل المعلمين والادباء كحكماء اليونان وشعراء الرومانيين وغيرهم من الرجال المحدثين الذين نبغوا في العلوم والآداب والصنائع والفنون

فلله من حديقة تحلت بالازهار افانينها وتسربلت بحللٍ من السندس بساتينها يفتنّ الطير في دوحاتها وتضوع روائح الطيب من اشجارها وغاباتها ويشفي نسيمها الرقيق نفس العليل وتطيب بها القلوب والارواح ويلطف هواوءها اذى الحرّ الذي ينتاب رومية في شهري تموز وآب

تحيي النفوس بطيبها فكأنها   وصل الحبيب يناله المهجورُ

◎◎◎

دار تحف برغز ·ـ فضلاً عما تقدم من المحاسن انّ لحديقة برغز داراً جميلة

فيها المآثر والتحف البديعة فتفتح ابوابها مرتين في الاسبوع ليدخلها مجاناً كل من قصدها

ومن مفاخر هذه الدار غرف كثيرة للتماثيل واشهرها :

تمثال (باولينا برغز) · ــ شقيقة نابوليون الاول متكئة على وسادة صنعه كانوفا امتثالاً لامر هذه الاميرة اللطيفة التي احبت ان تتشبه بربة الجمال المظفرة· ثم قطع بلاط عليها رسوم بالفسيفساء منقوشة في القرن الثالث قبل المسيح تمثل عوائد المصارعين في ذلك الزمان

وفيها دارٌ للصور منها :

صورتان للحب والغرام لها شهرة عند ارباب الفن الواحدة من قلم (كوريجيو) رسم فيها (دانايه) (Danae) ابنة (اكريزيوس) وحولها غلمان يمثلون حب الصبا وهم يريشون النبال والثانية من قلم (تيسيانوس) تمثل من الجهة الواحدة الحب الخالص ومن الثانية العشق والغرام بهيئة امرأتين لكل منها زيٌّ وهيئة ولسان حال يحكي عما ينطوي عليه فؤادها · ومنها

صور قديسين وقديسات لاشهر المعلمين نذكر صورة استشهاد مار (سبستيانس) والسهام قد خرقت عظامهُ وهو حيٌّ من قلم (بروجيني) وصورة هامة مار يوسف عليها الهيبة والوقار من قلم (كويدو ريني) · ــ

✻ يوم الجمعه في ٧ من آب ✻

كنيسة القديسة اغنيسيا والدياميس · ــ دياميس القديس كالستس · ــ كنيسة السيد الملقبة : الى اين تذهب · ــ حمّامات كراكلاً · ــ

كنيسة القديسة اغنيسيا والدياميس · ــ تأهبنا في هذا النهار للنزول الى الدياميس المعروفة بالكتكمبات فاعترض علينا الموسيو ريشي بقوله : لا يمكنكم

التزول اليها لان الحكومة حظرت زيارتها في الصيف لما ينال الانسان من الاذى في رطوبتها فاذا صعد منها الى سطح الارض وكان الحرّ شديداً يخشى ان يعلى بالاوصاب · فلم نعبأ بهذا الكلام بل قلنا لموسيو ريشي لنذهبن الى كنيسة القديسة اغنيسيا خارج الاسوار فنزورها وهناك نختبر الامر والدياميس موجودة اسفل الكنيسة المذكورة · ـ فلما انتهينا الى تلك الناحية وقابلنا الرهبان المقيمين بها اخبرونا ان لا سبيل لزيارة الدياميس لان الحكومة منعت الزائرين من الدخول اليها منعاً لا حيلة في اقتحامه · فلم يبق لنا بعد هذا الكلام من وجه نحاوله توصلاً الى تلك الدياميس فدخلنا الكنيسة التي بناها قسطنطين الملك عند قبر القديسة اغنيسيا وفيها ارادت (قسطنزا) ابنة الملك المذكور ان تُدفن بعد موتها · و بعد ان خُربت جدّدها الملك (انوريوس) الاول سنة ٦٢٥ ـ ٦٣٨ ورممها البابا (اينوشنسيوس) الثالث واخيراً البابا بيوس التاسع ولم يزل شكلها القديم واضحاً للعيان · ـ وفي يوم عيد القديسة اغنيسيا الواقع في ٢١ من كانون الثاني يُبارك في تلك الكنيسة على الشاة التي من صوفها يُحاك (الباليوم) [1] وهو الدرع الذي يتحف به البابا روساء الاساقفة والبطاركة والكرادلة

وبينا نجول في اطراف الكنيسة والدير الذي يجاورها اذ نحن ضمن غرفة رحبة ذكّرتنا حادثةً كنا سمعناها ونحن في سن الصبا جرت للبابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٥ ذلك انه في اليوم الثاني عشر من السنة المذكورة خرج البابا بجماعة من الكرادلة والاساقفة لزيارة ضريح البابا (اسكندر) الاول وكان الحفارون قد اكتشفوا عليه في الدياميس · و بعد تقدمة الصلوة والدعاء لله انفرد بيوس التاسع في قاعةٍ ليتناول قليلاً من الطعام ثم دخل غرفة بجانب القاعة واستدعى اليه تلامذة مدرسة بروبغندا ليقبلوا اقدامه · فما جلس برهةً والتلامذة حوله الا انكسر جسر الغرفة ووقعت الاخشاب فسقط الحبر الاعظم مع جميع الحاضرين حتى كادوا يختنقون من تراكم

---

(١) الباليوم وشاح شبه درعٍ مشغول بصوف ابيض وعليه ستة صلبان سود يتردّى به البابا او البطاركة ورؤساء الاساقفة على اكتافهم في بعض ظروف خصوصية

الانقاض على رؤوسهم · ولكن الله تداركهم بعنايته فنهض البابا مع من حضر دون ان ينالهم عظيم ضرر

ولهذا امر بيوس التاسع ان تُبنى تلك الغرفة من جديد بناء متيناً وزينها برسم كبير ملوّن يمثل البابا جاثياً على ركبتيه بين الردم والاخشاب وحوله بعض التلامذة والمعلمين · وبجانب الصورة المذكورة نقش على صفحة من الرخام اسماء الاساتذة والتلامذة الذين وجدوا حينئذٍ في ذلك المكان وقرأنا في جملتهم اسماء المثلث الرحمة البطريرك بهنام بني والمطران يوسف داود وكذلك اسم القس لويس صابونجي وكثير ين غيرهم من الشرقيين واللبنانيين

❊◎◎

دياميس القديس كالستس · ـ وبعد الظهر شخصنا الى الدياميس الكائنة خارج المدينة وتُعرف بدياميس القديس كالستس وعللنا نفسنا بادراك الوطر وتوقعنا الفوز بالاذن في الدخول اليها · فما خاب املنا لاننا رأيناها مفتوحة والظاهر ان الرطوبة فيها اقل من غيرها ولهذا لا مانع من النزول اليها في اي فصلٍ كان من فصول السنة

ومعلوم ان الدياميس كانت مدافن للموتى في اوائل الكنيسة المسيحية وهي عبارة عن سراديب ومغاير عظيمة منحوتة في جوف الارض كان يختبئ بها النصارى في ايام الاضطهاد لاقامة الصلوة وتأدية الفروض الدينية وجميعها محفورة بايادي المسيحيين الاولين ومتصل بعضها ببعضٍ كانها مدينة ثانية وفوقها رومية الكبرى · وكان اليهود ايضاً يدفنون موتاهم في دياميس مخصوصة لهم لا تزال موجودة الى اليوم

اما المسيحيون فلهم كتكمبات كثيرة منها ما هو منسوب الى البابا كالستس الذي بذل الهمة في توسيعها وترتيبها في القرن الثالث وهي اعظم من غيرها واكثرها اتساعاً حيث يجول فيها الانسان مسافة سبعة عشر كيلومترًا ومنها ما يُعرف بدياميس القديسة اغنيسية التي ذكرناها آنفاً وهي في عدوةٍ بعيدة عن دياميس كالستس

ونزلنا الى دياميس كالستس بدرج مظلمٍ وبايدينا الشموع المسرجة ورافقنا احد

الرهبان الفرنساو بين وكان نزولنا الى عمق ثلاثة عشر متراً تحت الارض · وشاهدنا السراديب والكهوف بعضها فوق بعضٍ وعليها القبور المنحوتة في الصخور وكان الراهب يشرح لنا مفصلاً كل موضعٍ ومكان

فضاق صدرنا واخذتنا الكآبة وتولاّنا الارتعاش من مشاهدة تلك الرموس العديدة المحفورة في بطن الارض المطبقة على الوف الالوف من الموتى[1] لا سيما وان المسيحيين اضطروا ان يحفروا الارض الى عمقٍ عظيم

وتشهد كثرة الموتى على سرعة انتشار النصرانية في رومية في اوائل القرون المسيحية · وبما ان الدياميس لبثت مغطاة من القرن الثامن الى القرن السادس عشر فمنها تؤخذ اقوى البينات على اثبات عوائد المسيحيين الاولين والدياميس التي نتكلم عنها كشفها العلاّمة (دي رُمي) سنة ١٨٥٤ بعد ان مكث خمس سنوات مكبًّا على تصفح الكتب القديمة والبحث عن مركزها بين الاراضي المهجورة واثار الخرائب حتى ظفر بالمرغوب وقد صرف زمانه في البحث عن هذه الاثار الثمينة ونشر المؤلفات فيها ·

وتقسم السراديب الى قسمين منها المقابر ذات الكوى التي بقيت ايام السلم حين كانت الدولة المالكة لا تعارض المسيحيين في مباشرة دينهم · واما المضايق المظلمة والدهاليز المعوجة فقد حُفرت ايام الشدة والضغط العنيف ولهذا انشأ المسيحيون بين القبور غرفاً واسعة كمعابدٍ صغيرة لانه لم يكن ليؤذن لهم وقتئذٍ باقامة عبادتهم جهراً وانشأوا غرفةً كسر الاخري ليسهل اجتماع خلق كثيرٍ في وقت واحد · وغالبًا كان اجتماع النساء بمعزلٍ من الرجال كما هو جارٍ في كنائسنا الشرقية

ودخلنا معبداً يُعرف بغرفة الاسرار ورأينا على جدرانه رسوم الاسرار المسيحية برموز مختلفة ·

وفي تلك المضايق المظلمة كان روساء الدين يحرضون المومنين على التمسك بعروة الايمان المسيحي وسفك دمائهم حبًّا به تعالى وفيها كان يتلى على مسامعهم الرسائل المنفذة من مدبري الكنائس البعيدة

---

(١) يقال ان الموتى المدفونين في الدياميس كلها ستة ملايين

ورأى العلاَّمة (رُمي) المشار اليه ان الدرج في بعض الاماكن كان معلقاً غير كامل اي لا يتوصل به الانسان الى سطح الارض فاستنتج منه ان الجنود الروميين كانوا يباغتون الجموع المختبئين في الدياميس ولهذا اصطنع المسيحيون الدرج المعلق او المقطوع لان منه كانوا يدلون سلماً من خشب وينزلون عليه ثم يرفعونه احتياطاً وهكذا يتعذر على الجنود الاهتداء الى مجتمعاتهم

وروى ان قوماً كانوا يبكون شهيداً ويصلون عليه واذا بالعساكر فاجأتهم فسدّوا عليهم المضيق فماتوا جميعاً ومكثوا مدفونين في بطن الارض ولم يكتشف الحفارون الى اليوم اثراً لهذا الكهف المشوم

ولما انتشر لواء الدين المسيحي بعد تنصر قسطنطين الكبير اعتنى المسيحيون بترميم هذه المقابر وتعزيز اركانها بالاعمدة وزينوها بتصاوير ونقوش لا تزال ظاهرةً للعيان

اما السطور القديمة المنقوشة على الحجارة والحيطان ـ وقد شاهدنا قسماً عظيماً منها ـ فهي باليونانية لانها كانت اللغة الشائعة في صلوات الكنيسة برومية نفسها حتى القرن الثالث . وبين السطور المخطوطة على رموس البابوات لم يجد المعلم ريشي باللاتينية سوى ما نقش على ضريح البابا (كرنيليوس) الذي توفي سنة ٢٥٢ . والظاهر ان الروميين اهملوا استعمال اللغة اليونانية رويداً رويداً لاننا نرى احياناً الالفاظ اليونانية مسطرة باحرف لاتينية ومنها ما كانت تردف بالفاظ يونانية كما في العبارة الآتية :

Julia claudiane in pace et irene

فلفظة السلام مستعملة باللاتينية واليونانية معاً وقس على ذلك غيرها من الكتابات.

وقد اقتصر المسيحيون في كتاباتهم المنقوشة على رخام القبور على ذكر اسم المدفون مشفوعاً بالكلمات الآتية : (رقد في الرب) . (فلتسترح نفسك بسلام) الخ وقد يندر انهم ذكروا تاريخ انتقاله من هذه الحيوة او مقامه ووظيفته في الدنيا فبخلاف ذلك كان الوثنيون يسطرون تاريخ موتاهم وكلما يتعلق بحياتهم

وقد شاهدنا كثيراً من الصور والرسوم على الجدران ويختلف بعضها عن

بعض ومعظمها يمثل حوادث مذكورة في التوراة او في الاناجيل مثل : ذبيحة اسحق ـ اجتياز البحر الاحمر — يونان ـ دانيال في جب الاسود ـ سوسنة العفيفة ـ الفتيان الثلاثة في اتون النار ـ . ومن العهد الجديد صورة المجوس يقدمون الهدايا الى العذراء وهي حاملة الطفل ومن جملة الهدايا سمكة . ومعلوم ان السمكة كانت علامة النصارى في بداية انتشار دينهم . [1] وكذلك صورة السيد له المجد مع الاثني عشر رسولاً والانجيليين الاربعة حول المسيح . ومنها صور بعض الشهداء والقديسين مثل ديونيزات وكرنيليوس وكبريانس وخلافهم كثيرين .

ودُفن في دياميس كالسنس كثيرٌ من الاحبار الاعظمين واولهم البابا « زافيرينس » (سنة ٢٠٢) . واهتمَّ العلاَّمة رُمي بالتفتيش عن رموسهم وبعد العناء الجزيل وَجد قسماً من الحجارة التي كانت تغطيها . فجمع شتاتها وقرأ الكتابات المنقوشة عليها واذا هي بغاية البساطة . مثلاً : « انتيرُس » اسقف (سنة ٢٣٥) . « اوطيخيانس » اسقف (سنة ٢٧٥) . واما على ضريح « فابيانس » (سنة ٢٣٦) فقد اضافت يدٌ الى اسمه لفظة (شهيد) وذلك بعد مدة من وفاته

ولما توضح جلياً وتبين ان ذلك الموضع كان مدفناً للاحبار الاولين جاء اليه البابا بيوس التاسع في الحادي عشر من ايار سنة ١٨٥٤ وزار قبور سلفائه الاقدمين

وسهي عن بالنا ان نخبرك عن ضريح القديسة سيسيليا الذي اكتشفه مار بسكال سنة ٨٢١ وهذا الحبر نقل جسدها بالحالة التي كانَ عليها حين ضربها المعذبون وقتلوها وحفظه في كنيسة خصوصية بُنيت في رومية على اسمها وجعلوا الان مكانه في الدياميس تمثالاً من رخام على تلك الهيئة نفسها

وشاهدنا بعض اجساد الموتى التي لم تزل محفوظة منها ما هي محنطة ومنها ما هي

---

(١) والسبب في ذلك ان السمكة باللغة اليونانية القديمة اسمها « اختوس » ΙΧΘΥΣ وكلُّ حرف من هذه اللفظة يبتدأ به هذه المقالة : يسوع المسيح ابن الله المخلص Ἰσοῦς Χριστὸς Θεοῦ Υἱὸς Σῳ

محجرة كالاجساد التي رأيناها في بمبي وقد سبق الكلام عنها ووجدنا عظاماً رميمة منتشرة في تلك السراديب العميقة

***

كنيسة السيد الملقبة الى اين تذهب . — صعدنا من الدباميس واخذنا في طريق العود الى المدينة وقبل ان ندخلها شاهدنا في الشارع المعروف بشارع (ايانّا) كنيسة مكتوباً على بابها باللاتينية : Quo Sadi وترجمتها الى اين تذهب . وقد الف احد البولونيين منذ بضع سنوات روايةً لطيفة تُرجمت الى لغاتٍ كثيرة سماها بالالفاظ المذكورة وذلك ذكرًا لظهور السيد المسيح لمار بطرس حينما اراد الرسول ان ينطلق من رومية هرباً من الشدة . قيل ان بطرس كان سائرًا في الطريق المذكورة فتراءى له المسيح حاملاً صليبه فجثا للحال مار بطرس على ركبتيه بحضرته وسأله قائلاً : سيدي الى اين تذهب فاجابه المسيح وقال : اتيتُ لاُصلب من جديد . ففهم مار بطرس هذا الكلام وعاد الى المدينة وتحمل ما اصابه من الصلب ومات ولهذا بُنيت كنيسة صغيرة في ذلك المكان

***

حمّامات كراكلاّ . — ان هذه الحمامات واقعة بالقرب من الكنيسة المذكورة وبقي منها آثار تدل على ضخامتها وحسن ترتيبها وانتظامها ومما يبدو للعين جلياً اتساعها واثر بركها المتعددة وكان طول هذا البناء ٢٢٠ مترًا في عرض ١١٤ يستحمّ بها ١٦٠٠ نفس في وقتٍ واحد . وكلٌ من يدخلها الان ويشاهد ما فيها من الاثار لا يلبث ان يقف دهشاً وذهولاً لان غرفةً واحدةٍ من غرفها كان لها قبة تحاكي قبة (بنثيون) . ولم تزل بعض جدرانها منقوشة ومزينة برسوم بديعة

روى احد المهندسين انه كان ذات يومٍ مقيماً داخل البناء ومعه ناظر دور التحف في رومية . فسأله الناظر كم تظن يا صاح عدد الموجودين الان ضمن خربات هذه الحمّامات . — فاطلق المهندس نظره الى بعدٍ متفرساً بالخلق المتجولين في ذلك المكان وقال : نحوًا من مائتين او ثلثمائة نفس . قال الناظر هلمَّ بنا

تحقق واقعة الحال وذهب كلاهما الى البواب الذي يسجل عدد الداخلين والخارجين لضبط المرتب عليهم . فسألوه كم عدد الذين دخلوا الحمام اجاب : اربعة الاف وخمسمائة . ـ وكم خرج منه . اجاب الف ومائتان . فبقي اذاً عدد الموجودين ضمن خرَبات الحمام ٣٣٠٠ نفس مع ان الاماكن كانت تبان كمنزل فارغ لا سكان فيه

ان هذه الابنية وامثالها تشهد للرومانيين بعظم سلطانهم ووثيق بنيانهم وما وصلوا اليه من العزّ والباس فبقي اسمهم مخلداً لا يمحوه الزمان

وقد انشأ هذه الحمامات (كراكلاً) الملك ويعرف باسم انطونينس (سنة ٢١٢ للمسيح) ثم وسعها (هليوغبال) وانجزت على عهد (اسكندر سويرُس)

وكان فيها قاعات للاستحمام بالهواء الفاتر ثم بالماء السخن و بالبخار . ويليها حمام الماء البارد واخيراً حجر لدلك الاجسام . وعدا ذلك كان فيها مخادع لترويض الاجساد وللملاعب واللهو والطرب وخزائن كتب و بساتين فيها الزهور والرياحين يفوح منها عبير المسك والعطر للتنزه عقيب الاستحمام . ـ

يوم السبت في ٨ من آب

التأهب لحفلة التتويج . ـ اكل الكبة بلبنية عند الخوري سابا . ـ كنيسة العذراء ذات القارب . ـ كنيسة القديس اسطفانس المستديرة

التأهب لحفلة التتويج . ـ في هذا اليوم اقفلت كنيسة مار بطرس الواتيكانية حيث قام بها تأهباً لتتويج الحبر الاعظم بيوس العاشر . فاتنا ان نخبرك في ما تقدم من الكلام عن هذه الكنيسة انه يوجد فيها دائماً مرتفع عالٍ جداً ذو درجات يرتقيها الصنّاع لتعهد الجدران او التماثيل الرخامية وغيرها بالاصلاح . وقلما يمضي يومٌ لا يشتغلون به في زينة جديدة او تغيير بعض الصور والرسوم القديمة . ولما كان المدعوون الى حفلة التتويج كثيرون ارتأى المهندسون ان ينصب حاجزان من

خشب متين جداً في صحن الكنيسة من الباب الى صدر المذبح الكبير بينهما مساحة اربعة او خمسة امتار بحيث يتسنى للبابا والكرادلة المرور دون ان يضايقهم او يزاحمهم احدٌ. وكذلك رُفع حاجزان اخران من جهة المخدع الذي كان قد ازمع البابا ان يدخل منه الى الكنيسة بالموكب الحافل

ورأينا في الامس الفعلة والبنائين يشتغلون بجدٍ وكدٍّ لترتيب المحال وتزيين الكنيسة وهم ينصبون عرشاً عالياً بالقرب من صدر الكنيسة وعند تأملنا جميع معدات الحفلة اخذنا العجب كيف انهم يتمكنون من انجازها في برهة يومين وهذا الذي حملهم على اقفال ابواب الكنيسة من يوم الجمعة الى صباح الاحد

وفي ذلك النهار اي يوم الجمعة توزعت اوراق الدعوة لحضور الحفلة وكان المنسنيور هبرا قد قدم استدعاءً بطلب عشرين او ثلاثين ورقةً لنا ولبعض معارفه واصدقائه وأُرسلت اوراق خصوصية للسفراء والقناصل وغيرهم من وجهاء البلدة وبلغ عدد الاوراق المطلوبة نحو ثلثمائة الف

***

اكل الكبة بلبنية او الكبة مطبوخة باللبن عند الخوري سابا . — اما نحن فانطلقنا الى بيت الخوري سابا وكيل الرهبنة الحلبية لطائفة الروم الملكيين وهو مقيم في دارٍ بقرب كنيسة هذه الطائفة والكنيسة منسوبة الى العذراء ذات القارب وهذا الاسم مأخوذ من قارب رخامي نحته الاقدمون وجعلوه امام ساحة الكنيسة والظاهر ان الرومانيين كانوا اذا عادوا من سفرٍ طويل قدموا للهيكل قارباً من رخام وتلك الساحة كانت قديماً بالقرب من احد ابواب المدينة وفيها هياكل المشتري وغيره من الالهة وحولها ثكن ودساكر لروساء المئة وفي واحدةٍ من هذه الثكن اوقف مار بولس الرسول حين وصوله الى رومية ولم يؤذن له بالدخول الى المدينة الا بعد مدة طويلة

وكان الخورى سابا قد دعانا مع ابن عمتنا والموسيو ريشي والموسيو فابيان حسني لاكل الكبة وزيارتنا له تحسب نزهةً لان داره محاطة ببساتين ومزدرعات ومزارع وكان في جملة المدعوين للغذاء سيادة المطران غريغوريوس حجّار اسقف

عكا على الروم الملكيين وهو شاب في مقتبل العمر اشقر الشعر واضح الجبين يحسن التكلم بالفرنساوية والعربية وقد جاء رومية لقضاء بعض اشغال خاصة

وطبخ لنا الخوري سابا المرق بالكشك ووضع فيها الكبة فصارت كانها كبة بلبنية وهي اكلة تشتهى في الديار الغريبة فاكلناها بلذةٍ وشربنا معها الرحيق الصافي الذي يُصنع في بساتين رومية بجوار بيت الخوري المذكور فشكرنا له ضيافته ودعونا له بطول العمر ورغد العيش · وشاهدنا في غرفة من غرف داره صور بعض ابناء الطائفة الذين سكنوا رومية او خدموا فيها الطائفة منها صورة بندكتس فرح سنة ١٨٣٤ والسيد يوسف عجلوني والاب العام الخوري فابيانس الخوري سنة ١٨٨٣ والاب ديونيسيوس صوايا سنة ١٨٨٥

***

كنيسة العذراء ذات القارب · ـ وهب البابا بيوس التاسع هذه الكنيسة للروم الملكيين ليؤدوا فيها الفروض على الطقس الشرقي وقد انشأها البابا (بسكوال) الاول سنة ٨١٧ وهي متوسطة في الكبر وليس لها قبة بل سقفها قائم على اعمدة ولم تزل مع صور المذبح كما كانت لدن بنائها · ثم شيد لها البابا لاون العاشر باباً كبيرًا قيل انه من وضع المعلم رافائيل برسمه ونقوشه · وفيها صورة المسيح مرصعة بالفسيفساء وعن يمينها و يسارها ملاكان وكذلك صورة العذراء حاملة طفلها والقديس (بسكوال) الاول يقبل قدمي الطفل وتحت هذه الصورة بساط من الزهور في غاية الجمال

●●●

كنيسة القديس اسطفانس المستديرة · ـ ذهبتُ بعد الغداء الى هذه الكنيسة وهي تجاه منزل الخوري سابا وكانت في زمن الروم مسلخاً للغنم او سوقاً لبيع اللحم والخضر فحوّله البابا (سمبليسيوس) Simplicius (سنة ٤٦٨) معبداً · و بعد سنوات رممها (نيقولاوس) الخامس ولها قبة قائمة على ٥٦ عموداً وكيفما جال فيها الانسان يظن انه لم ينتهِ منها وشهرة هذه الكنيسة قائمة في رسومها الملونة التي تمثل

عذاب الشهداء من ايام نيرون الملك الى القرن الثالث · ومن يشاهد هيئة الآلام المرّة وادوات العذاب وما قاساه المسيحيون في ايام الشدة من الصلب والجلد والنثر والحريق بالنار تنبض فرائصه ويخفق قلبه ويتعجب منذهلاً كيف ان القياصرة مع سطوتهم وشدة تنكيلهم لقومٍ ضعفاء كالشيوخ والنساء والعذارى لم يستطيعوا ان يجبروهم على هجر الدين المسيحي والرجوع الى عبادة الاصنام · ورأينا بين هذه الرسوم صورة استشهاد القديس اغناطيوس اول بطاركة الشرق على الكرسي الانطاكي

✻ يوم الاحد في ٩ من آب ✻

حفلة التتويج

حفلة التتويج · · · ذكرنا قبلاً ان قد بلغ عدد الطالبين لحضور هذه الحفلة نحوًا من ثلاثمائة الف على انه لم يطبع كما بلغنا من الرقاع سوى اربعين الفًا وهذا غير كافٍ لارضاء الجميع وقد لجأ كثيرون الى اصدقائهم من اصحاب النفوذ في الواتيكان ليظفروا بها وفحوى هذه الورقة بسيط جدًا

وهذا ما سطر في تلك الرقعة بتوقيع قهرمان (ماجردوم) الاب الاقدس : الساعة الثامنة ونصف من صباح الاحد يحتفل في الكنيسة البطرسية برتبة التتويج ويقدم البابا بيوس العاشر الذبيحة الالهية وتفتح ابواب الكنيسة الساعة السادسة صباحًا والدخول من الباب الفلاني

وتخصص ثلاثة او اربعة ابواب للدخول وتعين دخول الامراء والسفراء وغيرهم من ذوي الرتب والمقامات من باب المخدع واما سائر المدعوين فمنهم من يدخل من الباب الايسر ومنهم من الباب الايمن وهذا اتقاء دخول الجميع من بابٍ واحد

ولما لاح صبح الاحد نهضنا باكرًا وقصدنا الكنيسة البطرسية فوصلنا الى الساحة



قداسة البابا بيوس العاشر

نحو الساعة السادسة وعشرين دقيقة فالقيناها غاصة بالوف من الخلق كباراً وصغاراً
ورأينا كتيبةً من العساكر الايطالية واقفة على الدرج بعيداً عن ابواب الكنيسة وهم
يمنعون اياً كان من التقدم الى الامام · اما الذين جاءوا الساعة الرابعة صباحاً وكانوا
نحواً من عشرة الاف نفس فقد وقفوا في ظل الرواق

واستمرّ المدعوون من نساء ورجال يتهافتون ورائنا حتى تجاوز عددهم الحصر في
خمس دقائق فخشينا عندئذٍ العطب عند الوثوب للدخول الى الكنيسة · وكنت مع
اخي وفابيان حسني · وفي الساعة السابعة فُتحت الابواب وشرع القوم المحتشدون تحت
الرواق يدخلون مسرعين وانتظرنا ربع ساعة واذ طرق اذاننا صوتٌ ينادي : هلموا
وادخلوا · وللحال ضجت الاصوات فتقدمنا بحكم القوة الدافعة التي كانت تدفعنا الى
الكنيسة كما الموج المتتابع باشد قوة من ذلك الحشد المزدحم

وكان حولنا بعض النساء والفتيات اللاتي تضايقنَ لفرط الازدحام فاردنَ
الرجوع الى الوراء وطلبنَ ان يفتح لهنَّ السبيل وهنَّ يهتفنَ ويصرخنَ : يا لقومي
اختنقنا يا اهل المروءة قتلنا · الطريق الطريق ولكن كنَّ كمن ينفخ في رماد او
يصرخ في بطن وادٍ · وسمعنا الجميع يصرخون : (بيانو بيانو) اي مهلاً مهلاً · ولكن
بئس من يسمع واستمرّ القوم يزحم بعضهم بعضاً وكلٌّ يريد ان يسبق الاخر

وكانت الجند الايطالية قد رفعت حواجز من خشب اعتقاد انها تمنع العطب
فاذا الامر بالضد لان الحواجز صدّت الناس عن التقدم بسهولة · وعند هجوم
الخلق شعرتُ كأنَّ ضاغطاً من حديد يضغط جسمي فضاق صدري وتمنيت لو اعود
ولا حفلة ولا تتويج ولكن لا سبيل الى ذلك · وحينما صعدت الدرج بعد ان قاسيت
الضغط مدة ثلاث دقائق كانها ساعات التفتُّ يميناً وشمالاً لارى رفيقيَّ فاساً لما
عن حالها فلم يصبها نظري وبقيتُ برهة على هذه الحالة والقوم يسرعون في الدخول
الى الكنيسه وبينا كذلك سمعت اخي يناديني ويقول : ما بالك متأخراً لم لا تتقدم
اما تدري ان الكنيسة كادت تمتلئ · ثم وصل الينا الموسيو فابيان ودخلنا من الباب
الشمالي المعين لنا في اوراق الدعوة فوجدنا الكنيسة غاصةً بالحضور وكان يسمع لهم
عجيجاً كعجيج البحر المائج فاضطرب فؤادي واستولى عليَّ الرعب من ذلك ولكن
ما لبثت ان اتسع ما ضاق من صدري وسكن روعي شيئاً فشيئاً وانطلقت مع رفيقيَّ

فطلب موضعاً حيث نتمكن من مشاهدة الحبر الاعظم ورتبة التتويج والقداس

وشاهدنا العسكر السويسراني والحرس الباباوي يرصدون المحالـــ و يستقبلون اصحاب الرتب والمقامات · ولم يكن وقتئذٍ في زينة الكنيسة ما يخلق بنا ذكره وقد اسرج على المذبح الذي يقدم عليه الحبر الاعظم ذبيحة القداس عشرة او خمسة عشر مصباحاً ولعلهم اقتصدوا في النور اتقاء الحريق · وكان في الشرفات العليا التي يجلس فيها السفراء والامراء طنافس من حرير مزركشة بالفضة والذهب ومنقوش عليها شارات البابا

وقد نصب في احد اطراف الكنيسة مظلة واسعة مغطاة بقماش اخضر مكتوب عليها : مستشفى المرضى · ـ وبلغنا ان فيها طبيباً مستعد لمعالجة من تلم به ملمة لان ابواب الكنيسة تُغلق من ابتداء الحفلة الى انتصافها ولا يستطيع احدٌ ان يخرج خارجاً وذلك منعاً من زيادة الازدحام ودفعاً لما يمكن حدوثه من الخلل بدخول الناس وخروجهم

وفيما نحن مقيمون بمجلنا توزعت اوراق مطبوعة وبها يوعز الاب الاقدس الى ابنائه الاعزاء ان يحافظوا على السكينة والخشوع باثناء الرتبة والا يرفعوا اصواتهم بالتهليل فان ذلك من شأنه ان يذهب برونقها فضلاً عن انه مخل بنظام الكنيسة

وكان عدد الداخلين نحواً من اربعين الفاً او خمسين الف نفس ولما ازفت الساعة ودنا وقت ابتداء الحفلة كثر الضجيج والعجيج فدوت لها ارجاء الكنيسة وكنت اخشى ان يعقب ذلك حادث مزعج

وكنا بالقرب من المخدع الذي يدخل منه البابا الى الكنيسة وحولنا باحة رحبة تسع نحو خمسة الاف نفس ومنها كان يمرّ الوجهاء والنبلاء والنبيلات متردّيات ومتنقبات بالسواد

وكان صدري يزيد حرجاً وراسي الماً على اثر الضغط الذي عانيته فاخذت اتمشى في الباحة التي حولنا واذا بامرأة مغشيّ عليها على ايدي رجلين يحملانها الى المستشفى الذي ذكرته · فقلت بنفسي سينوبني ما نابها فخيرٌ لي ان اترك الحفلة من ان اصير الى ما صارت اليه تلك المرأة · فخرجت حينئذٍ خارج الكنيسة من باب المخدع اذ كان يستحيل عليّ الخروج من باب الكنيسة ووقفت برهة وقفة المتردد بين

الرجوع والتقدم ولا غروَ اذا ترددت لانني كنت آسف كل الاسف لفوات هذه الفرصة التي لا تمرّ الا مرة في حياة الانسان

ولما تأهبت للرجوع الى المنزل وكانت اذ ذاك الساعة التاسعة طرق اذاني اصوات المرتلين وانشادهم من داخل الكنيسة وكانت اصواتًا ملائكية فاثرت في فؤادي احسن تأثير بل كانت منعشة لاعضائي ومع ذلك ودّعتها وانصرفت الى منزلي على الترامواي فلما وصلته شعرت بضيق صدر والم شديد في خاصرتي وظننت اني اوشكت مفارقة الحيوة · فجاءتني الخادمة بطبيب وتبين لي ان لكمةً اصابتني عند الازدحام فاشار بالعلاج اللازم و بقيت اسير الفراش الى الغد

و بما ان اخي وابن عمي وغيرهما من الاصدقاء مكثوا الى نهاية الحفلة في الكنيسة البطرسية وحدثوني عن تفاصيلها رايت ان انقلها لك كما وعيتها وهي من الحفلات التي يندر اقامة مثلها :

في الساعة التاسعة افرنجية دخل البابا يحف به اصحاب الرتب الكنسية و يتقدمه الحرس السويسراني بالالبسة المختلفة الالوان و يتلوه الرهبان والاكليريكيون والكهنة ورؤساء الكهنة والاساقفة ورؤساء الاساقفة وجميعهم بالحلل الثمينة وعلى رؤوس الاساقفة التيجان المموهة بالذهب المرصعة بالجواهر الكريمة و يليهم البطاركة والاحبار من كل بلدٍ وامة واخيرًا الكرادلة الذين كانوا في المجمع وهم متردون بالوشاح الاحمر وعليهم سيماء الهيبة والوقار

ونضرب صفحًا عن ذكر مأموري البلاط الحبري كرجال التشريفات والواعظين والوكلاء الرسوليين والقهارمة وغيرهم وعددهم خمسمائة نفس واخيرًا اقبل قداسة البابا بيوس العاشر محمولاً على كرسيه لابسًا التاج الموشى بالذهب · ولما دخل الكنيسة رفع الحاضرون اصواتهم يبجلونه بالاكرام والتهليل رغمًا عن ايعازه بالتزام الصمت والسكينة

واستقبله الكردينال (رمبولاّ) بصفة خادم الكنيسة البطرسية وجثا لديه مقبلاً قدميه وسلم اليه رعاية الكنيسة المتروبولية والقى خطابًا وجيزًا مرحبًا به وداعيًا له بطول العمر والعز والكرامة فاجابه الاب الاقدس شاكرًا بصوت متهدّج · ولما فرغ من كلامه نُفخ في الابواق الفضية (وهي الآلة الموسيقية الوحيدة التي يجوز

استعمالها بحضور البابا) من احدى الشرُفات وسُمع صوتها مرةً ثانية في اثناء القداس · وكان الحبر العظيم كلما تقدم قليلاً يبارك الحاضرين عن يمينه وشماله بيدٍ لطيفة بيضاء · وازداد هتاف الجموع تفخيماً لهُ وتغير لون وجهه كانه مرتعش من ذلك الموقف المهيب

وعند جلوسه على اريكته اقبلت اليه الكرادلة والاساقفة وطأطأوا رؤوسهم خاشعين · ثم انتصب وافتتح الرتبة وشرع المرتلون ينشدون الانشاد ريثما يلبس الحلة الحبرية

وبينا كان الكرادلة والاساقفة جاثين امامه جاء رئيس التشريفات وبيده مجمرة فيها نارٌ تتوقد واقترب من البابا وانشد باعلى صوته قائلاً : تأمل ايها الاب الاقدس كيف يزول مجد العالم · وتكرَّرت هذه الرتبة مرةً ثانية امام تمثال مار بطرس ثم مرةً ثالثة في مكانٍ آخر

ولا حاجة الى ان اشرح لكَ مفصلاً رتبة القداس والترانيم البديعة التي نظمها احد المعلمين البارعين في فن الموسيقى وهو الاب بيروزي الذائع الصيت ــ يُقال ان الحبر الحالي لما كان بطريركاً على البندقية ساعد الكاهن المذكور على اتقان دروسه بهذا الفن ــ وكانت الحان المرتلين وانغامهم تملىء القلوب سروراً وابتهاجاً واعجب الناس حسن ايقاعها فان منها ما وُضع على اربعة وثمانية اصوات مختلفة تُلفظ بوقتٍ واحد وهذا ليس بالامر السهل عند المغنين الاوربيين

ولما قلده اقدم الكرادلة عهداً درع الرئاسة (Pallium) غرَس في حلته الكهنوتية ثلاثة دبابيس عليها حجارة ثمينة ذكراً لمسامير صليب المسيح

وقبل القداس تُليت طلبة جميع القديسين وارتفع الدعاء بحفظ حياة الحبر الاعظم وسلامته ثم قرئت الرسائل والاناجيل عند زاوية العرش باللاتينية واليونانية رمزاً عن اتحاد الكنيستين

وبعد نهاية الرتبة دنا الكردينال رمبولا من البابا وقدَّم له حسنة القداس خمسين « باولي » (والباولي يساوي نصف فرنك) في كيسٍ من مخمل ابيض · وهذه العادة كانت جارية قديماً فحفظت مع سذاجتها

ثم دنا منه الكردينال الواقف بميته والبسه التاج الملوكي وفي غضون ذلك كان

امامه اسقفان جاثيان على ركبتيها و بيديهما كتاب الطقوس مفتوحاً . فتلا الحبر الاعظم صلوةً وجيزة اعادها ثلاثاً ثم وقف ليمنح البركة ونطق بصوتٍ عالٍ تلك الكلمات اللطيفة التي وضعتها الكنيسة لحلّ الناس من وثاقات الذنوب والسيئات وكان الاكليرُس يجاوب : آمين

ولما انتهى من اهداء البركة ضجت الكنيسة باصوات التهليل والاجلال لامام الاحبار ورجع الموكب كما جاء بانتظام واجلال وقداسته يبارك الجموع بركة والد شفوق غير ان وجهه كان مغبرًّا وعندما بلغ منتصف الكنيسة وجد جماعةً من اهل البندقية مجتمعين نظير حلقة فصاحوا بصوتٍ عالٍ : ليعش بطريركنا فهشّ لهم قداسته وسر للمتقاه بابناء ابرشيته في ذلك المقام و باركهم وانصرف وكانت اذ ذاك الساعة واحدة وعشر دقائق بعد الظهر فارفض الحشد شاكرين . ومن تلك الساعة شرعت الجرائد في نشر تفاصيل الحفلة ومما يذكر هو انه مع تزاحم الالوف لم يسمع بنائبة او ملمة وكان الهواء في الكنيسة لطيفاً يخفف وطأة الحرّ

☀ يوم الثلاثاء في ١١ من آب ☀

حديقة جبل « بنشيو » . ـ سفر الشقيق الى باريس . ـ

حديقة جبل « بنشيو » . ـ ان الالم الذي نالني في خاصرتي اوجب عليّ ان اتمنطق بمنطقة من الكتان الرفيع وان امشي الهوينا واقتصرت في هذا النهار على الذهاب الى جبل « بنشيو » لقربه من منزلي وهو متنزَّه كثير المياه والاشجار انشأ فيه (لوكاس) الحدائق والبساتين وكان موعد تجول القياصرة ومآدبهم اوقات افراحهم

حُكي ان (مسّالينا) امرأة (كلاوديوس) قيصر البديعة بالحسن والجمال آدبت في بساتين بنشيو مأدبة فاخرة دعت اليها قائداً كانت مولعة بحبه وفيما كانت

منهمكة باللهو وتعاطي الراح باغتها زوجها من حيث لا تدري فامر بقتلها مع جلسائها

وتعزف في حدائق بنشيو الموسيقى العسكرية في ليالي الصيف ونظرًا لارتفاع سطحها يسمع صوت المعازف من بعيد · فدخلناها بين صفوف السرو والصنوبر عن جانبي الطريق وقبل ان تطأ اقدامنا ارض البستان مررنا ببناية انشأتها الامة الفرنساوية لجمعية الفنون والصنائع الدقيقة وقد اشتراها الملك لويس الرابع عشر ووقفها لرعيته ليأتيها من يحبُّ التضلع بهذه الفنون · وكانت قبلاً قصرًا لآل (مديسيس) بنوهُ سنة ١٥٤٠ · ثم انتهينا الى ساحة البستان الواقع على قمة الجبل فانكشف لابصارنا المدينة بقصورها ومعابدها ونهرها وتلالها والتفتنا حولنا فاذا الخضرة والزهور تحيق بنا من كل جانبٍ والطيور تناغي فوق بُرك الماء متنقلة في دوحاتها والشذا يضوع في تلك الارجاء فصحَّ فيها قول الشاعر

حديقةٌ عرفها المسكيُّ قد نفحا　　وبلبلُ الحيِّ في دوحاتها صدحا
جادت عليها اكفُّ الجود فابتسمت　　ثغور ازهـارها من جودها فرحا

وهذه الروضة مزينة بهامات الرجال العظام الذين نبغوا في العلوم والمعارف من المتقدمين والمتأخرين وهي من رخام ابيض مصفوفة بترتيب بين الاشجار المورقة

وشاهدنا فيها ساعةً مائية حركتها دائمة لا تنقطع اخترعها الاب (امبرياكو) الدومينيكيّ فترى في قلبها طيرًا يرتفع ويصبُّ الماء من فيه فيدور لولب الساعة وكلما دار وقع الطير فترفعه الماء وهكذا تدوم الحركة دون انقطاع

ومررنا بقرب بركة ماء ذات انابيب تتدفق منها المياه بكثرة وفي وسطها سلة عليها مثال موسى النبي لما كان طفلاً وبجانبه تمثال امه التي اوضعته وهو اثرٌ لطيف يروق الناظرين

وفيها قبة صغيرة ذكرًا للبادري (سيكي) اليسوعي الذائع الصيت في علم الهيئة وكذلك كرة حجرية تخليدًا لذكر (غليلاوس) الذي علم بدوران الارض وحُبس في قصر مديسيس مدة ثلاث سنوات اي من سنة ١٦٣٠ الى ١٦٣٣

فابتهجت قلوبنا وانشرحت صدورنا بالتجول في تلك البساتين والرياض وجلسنا برهة في ظل اشجارها الباسقة وشربنا فيها اللبن الخالص · ثم خرجنا من جهة ثانية نشرف

على ساحة الشعب وفيها تماثيل بديعة ذات رموز وثنية لو اردنا وصف كل اثر منها لاقتضي لنا صفحاتٍ متعددة · وسيأتي الكلام عن ساحة الشعب في موضع اخر

***

سفر الشقيق الى باريس · — مساء ذلك النهار سافر اخي موسى على القطار قاصداً باريس والمسافة بين هذه المدينة وبين رومية اربع عشرة ساعة وقيمة الجواز في الموقع الثاني ١١٢ فرنكاً — فشيعناه الى المحطة وكانت الساعة الحادية عشرة ليلاً · وفيما نحن راجعون القينا نظرةً على بركة الماء التي ذكرناها عند وصولنا الى رومية وهي في ساحة معروفة بساحة الحمّامات (المنسوبة الى الملك ديوكلسيانس) فاذا بالنور الكهربائي ينعكس على انابيب الماء المتدفق بين التماثيل من المرمر الاسود فيبدو للنظر كعين السنور ضياء

❊ يوم الاربعا في ١٢ آب ❊

كابيتول · — هيكل المشتري وكنيسة العذراء المعروفة باراشلي · — ساحة الكابيتول ودار التحف · — القصر الكويرينالي وهو قصر الملك · — ساحة القصر الكويرينالي · — حصن صنت أنج · — الفلاحات خارج المدينة · — المنكبة الهوائية · —

كابيتول · — هو اسم جبل من الجبال او تلة من التلال السبع الموطدة عليها رومية العتيقة لا يبعد كثيراً عن نهر التيبر وجزيرته · وهذه التلة وان تكن اصغر التلال فهي اجلها قدراً ولها ثلاثة فروع : الاول يُعرف بالتلة الشمالية وعليها كنيسة العذراء الموصوفة باراشلي وكان في مكانها هيكل (يوبيتر) او المشتري والثاني هو ساحة الوسط يُذكر ان (روميلس) بنى فيها كهفاً ثم انشأ بجانبه

مجلساً لاهل الشورى ومجلساً للبلدية . والثالث في الجهة الجنوبية الغربيةو يوصف باسم القصر الذي بُني فيه وهو قصر كافارلي

⊛⊛⊛

هيكل المشتري وكنيسة العذراء المعروفة باراشلي . — كان قديماً في موضع الكنيسة المبنية في الكابيتول حصنٌ يجاوره هيكلان للاصنام الواحد على اسم الاله (يونون مرنتا) والثاني على اسم (يوبيتر)

وكان هيكل يوبيتر اعظم هياكل رومية واجلها مقاماً وقدراً بناهُ اخر ملوك الروم سنة ٥٠٩ ق . م . ودُشن في اول سنة من تأسيس الجمهورية وكانت دائرته ٨٠٠ قدم وفيه ثلاثة صفوف من الاعمدة وثلاث مراتب او مقامات للالهة فالوسط للمشتري وعن يمينه وشماله اله (يونون) والهة (منرفا) . واحترق هذا الهيكل سنة ٨٣ ق . م . وسنة ٦٩ فأمر (دوميسيانس) بتجديد بنائه احسن ما كان قبلاً

وكان المشتري في عيني الروم بمقام اكبر الالهة واكثرهم مرحمةً وقدرةً لا بل دعوه اله الالهة والاله الوطني الذي صير مدينتهم رومية ام المدائن في المعمور . وعند رجوع الملوك وقواد الجيوش من مواقع الحرب كان من المفروض عليهم ان يدخلوا هيكل هذا الاله فيقدموا له الشكر والحمد . ولما كان اهل المدينة يطوفون بالقائد او بالملك المظفر يجعلون منتهى طوافهم درج الهيكل وكانوا يقربون له اعظم القرابين و يقدمون له اثمن الهدايا

وبقي هذا البناء هيكلاً للاصنام الى سنة ٤٥٥ مسيحية لمجاء البنادلة فضربوه ونزعوا آجرهُ الذي كان من نحاس مطلي بالذهب فشيدت كنيسة العذراء مكانه وذلك في القرن السابع ولقبت بأراشلي اي هيكل السماء ويصعد اليها حتى الان بمائة واربع وعشرين درجة . و يقسم داخلها الى ثلاثة اقسام وفي وسطها اثنان وعشرون عموداً كلها من الصوان مختلفة القطر والشكل . وضمن هذه الكنيسة اثار كثيرة منها ضريح الفلكي « ليدوفيك اغراتو » (سنة ١٥٣١) وفي احد معابدها رُسمت سيرة القديس « برنردس السياني » (سنة ١٤٨٤) . وشاهدنا في غيره مذود الميلاد والطفل يسوع فيه كبير جداً ومصابيحه من زجاج — وقيل انه كان في هذه

الكنيسة صورة العذراء للمصور رافائيل فنقلت الى القصر الواتيكاني · ـ
وكان يجاور الكنيسة دير لرهبان الفرنسيسيين فابتاعته الدولة الايطالية سنة ١٨٨٨ وهدمته وشرعت في بناية عظيمة تخليداً لذكر الملك (وكتور عمانوئيل) انفق عليها الى اليوم زهاء ستة ملايين فرنك ولم تزل في اوائلها ودون انجازها اموال طائلة

***

ساحة الكابيتول ودار التحف · ـ هي ساحة في وسط احد جبال رومية مهّدها ونسقها المعلم « ميكلانج » وكان الشروع بانشائها سنة ١٥٣٨ ولكن لم تنتهِ الا في القرن السابع عشر و يصعد اليها بدرج رحب حجارته سوداء وعند سفح الدرج أُسود من رخام على طرز الاسود المنحوتة عند المصريين · ثم وفي اقصى الدرج تماثيل سائقي الخيل منتصبين على اقدامهم وفي الجهة الشمالية جنينة يُربى فيها الايطاليون ذئبة تذكاراً للذئبة التي ارضعت (رومس) و (روميلس) وهما الاخوان اللذان اسسا مدينة رومية سنة ٧٥٣ ق · م · اما وسط الساحة فهو مزين بتمثال (ماركس اوريليانس) من نحاس اسود يمثله ممتطياً جواداً ادهم مرتفع القوائم متقن الشكل والصناعة وكان قديماً تمثال الملك مع جواده مموهان بالذهب وهذا الاثر يُعد من عجائب الزمان [1] وهيئة الجواد طبيعية جداً حتى ان بعض المعلمين [2] كان يخاطبه مراراً و يقول له : تحرَّك وامشِ أنسيت انك حيّ ·
وفي صدر الساحة مما يلي التمثال مجلس الشيوخ للدولة الايطالية بُني سنة ١١٥٠ وقد احكمه ورتبه « ميكلانج » سنة ١٥٩٢ وكان في موضعه قديماً بناية اسمها

---

(١) كان هذا التمثال بالقرون الوسطى منصوباً في الساحة اللاترانية ولم ينقل الى (الكابيتول) الا منذ سنة ١٥٣٨ ولكن لم يُعرف الى اليوم موضعه في سالف الزمن · ولم يلِ به ادنى تخديش لان المسيحيين حسبوهُ زماناً طويلاً تمثال قسطنطين الكبير

(٢) « بطرس دي كرتونيوس »

« تابولاريوم » استودعت الواح السنن وقوانين الشرائع · وعن يمينه مجلس البلدية وبجوارها دار التحف والاثـار القديمة التي كادت شهرتها تحاكي شهرة الدار الواتيكانية

وهذه الدار مؤلفة من بنايات شتى وطبقات متعددة مشحونة بالتماثيل الرخامية والنحاسية والصور البديعة نذكر منها : هامات قياصرة الروم وملوكهم من اغسطس قيصر الى بوليانس الملقب بالعاصي وهي ٨٩ تمثالاً الواحد الى جانب الاخر · وكذلك تماثيل فلاسفة اليونان وحكمائهم ثم التمثال البديع المعروف بربة الحب والجمال الذي يفضله اهل الصناعة والفن على غيره من امثاله وقد وصفه العلاّمة « هلبيك » بقوله :

ان هذا التمثال مع الذي وصفناه في قصر الواتيكان [١] هما نسختان منقولتان عن التمثال الاصلي الذي صنعه « ابركسيتالس » في قديم الزمان · اما الذي صنع تمثال الكابيتول فقد اظهر فيه براعةً وصنـاعةً كلية حتى انه يُحسب كاثرٍ اصلي وبدّل بعض حركات في هيئته لانه في الاصل كانت ربة الجمال تهم بخلع آخر رداء عليها · واما في هذا فقد تعرّت من اثوابها كلها لتدخل الحمّام ووضعت ستارها فوق قارورة طويلة الشكل ولاحت على محياها شـارات الخجل والحياء فسترت عورتها بيدها الشمال وجعلت يدها اليمنى على نهديها ثم الوت قليلاً كانها تخشى مراقباً وجعدت شعر رأسها بتكلفٍ بحسب زيّ ذلك الزمان · اما جسمها فله محـاسن لا توصف ويستدل منه ان صانعه نحته على مثال احدى النساء البديعات بالحسن · ويغلب الظن على ان هذا التمثال صُنع في القرن الثالث او الثاني قبل المسيح ورمّ المحدثون فيه طرف انفه والسبّابة من اليد اليسرى وجميع اصابع اليد اليمنى من المعصم [٢]

---

(١) وهو تمثال ربة الجمال الموصوف بافروديت ذكرناه في الغرفة التي على شكل صليب يوناني وجه ٦٢

(٢) من اراد الحصول على صورة هذا التمثال البديع فليطلبها من صاحب مطبعة الاداب وثمنها غرشان خالصة اجرة البريد

وفي دار الكابيتول الحاد كثيرة محفورة بصناعة وفن في نهاية الدقة شاهدنا منقوشاً على احدها نساء فوارس تصارع الوثنيين وتراهن يهجمن على العدو ببسالة يرشقنهم بالسهام وبعضهن ساقطات على الحضيض غير مكترثات بالموت

وكما قلنا انفاً تتفرع هذه الدار الى عدة دور وفي كل منها قاعات وغرف رحبة تحوي من المصنوعات الرخامية والاواني الخزفية والنحاسية ما يكل المرء عن وصفه ٠ ومنها معارض للصور الملونة من قلم المصورين البارعين

وجلنا في هذه الاماكن ثلاث ساعات برمتها ولم نستوفِ مرأى ما فيها من نفس الاثار التي تدهش الابصار وتحير الافكار

⊙⊙⊞

القصر الكويرينالي وهو قصر الملك ٠ ـ تمكن ابن عمتنا من الاستئذان بزيارة قصر الملك المعروف بالقصر الكويرينالي وكان قبلاً مسكن الباباوات في فصل الصيف للطافة الهواء وكان الملك وقتئذٍ في مصيفه في قرية راكونيجي من مقاطعة « بيامنت »

فدخلنا القصر وطفنا في مخادعه وقاعاته وغرفه وانّى لنا ان نصف تلك القاعات الرحبة المنقوشة جدرانها بالرسوم والصور الملوّنة والمفروشة ارضها بالسجاد الناعم المزركش ٠ —

وفي الكويرينال قاعة مشهورة تعرف بقاعة « ريجيا » ويليها قاعة ثانية كانت تسمى قبلاً المعبد البولسي وهي مشحونة الان باكاليل الزهور والمدايا التي ارسلها الايتاليون من جميع انحاء المملكة عند وفاة الملك وكتور عمانوئيل اظهاراً لتعلقهم به ٠ وعلى يمين هذا المعبد قاعة الاستقبال وحيطانها مفروشة بالديباج والاقمشة النفيسة ورأينا ارض احدى الغرف مرصوفة بالفسيفساء يقال ان بلاطها مأخوذ من قصر الملك « هدريانوس »

وبعد مشاهدتنا الجناح الاول من هذا القصر ذهبنا الى الجناح الثاني وهو مهيأ دائماً لاستقبال ضيوف المملكة ٠ومن بعض ما رأينا المخادع التي نزل فيها امبراطور

المانيا مع زوجته حين زيارتها رومية سنـة ١٨٩٣ فوجدنا الامرة والفرش التي ترتبت لخدعيها ثم حجرة مفروشة على النسق الياباني فيها الاخشاب والخزائن المنقوشة والاقمشة الحريرية المصنوعة في اليابان وغرفة اخرى للتدخين والضرب على البيانو وعلى هذه الآلة منارتان من ذهب . وفي غيرها من الغرف ثريات وكراسي محفورة حفرًا دقيقاً وملبسة بالحرير الفاخر الى غير ذلك من الرياش الذي يضيق بنا المقام دون ذكره مفصلاً .

ولما اتينا على ذكر قصر الملك تذكرنا قصة رواها لنا ابن عمتنا ولها تعلق بالملك الحالي فآثرنا نقلها اليك :

كان ابن عمتنا ساكناً عند عائلة ريشي الايتالية في دار مجاورة لقصر الكويرينال وكان رب البيت يعلم الموسيقى والغنـاء . ففي ايام الصيف كان يضطر عند اشتداد الحر ان يفتح النوافذ التي تطل على القصر فتبلغ اصوات المعازف والمغنين اذان الملك والملكة فتقلقها لا سيما وان التعليم كان اكثره ليلاً . فاعلن الملك رغبته في انصراف تلك العيلة من جيرته وارسل اليها رسولاً يبلغها ذلك فاجاب الموسيو ريشي الرسول ان اخلاء المنزل يسبب له خسارة عظيمة وان اجاره لمدة عشر سنوات . ثم تكفل ابن عمتنا فض هذا المشكل فافاد رسول الملك ان عيلة ريشي تترك بيتها اذا عوض عليها جلالة الملك ما يلحق بها من الخسارة وجعل قيمة التعويض عشرة الآف فرنك وبعد المفاوضة وتداول الكلام وقع الاتفاق على ان يؤدي الملك خمسة الاف فرنك فقبضها ابن عمتنا ودفعها لاب العيلة فكانت مهرًا كافياً لابنته فزوجها ورأيناها في رومية مع زوجها في ارغد عيش

وقد ذكرتنا هذه الرواية قصة العجوز التي أبت ان تبيع قبتها لكسرى انوشروان عندما اراد بناء ايوانه فلم يرَ الملك اكراهها على البيع فابقى بيتها في جانب الايوان

***

ساحة القصر الكويرينالي . — فاتني ان اذكر لك شيئاً عن الساحة الواقعة عند مدخل القصر وفي وسطها بركة ترد اليها الماء من العين المعروفة بالسعيدة وتصب

في حوض قديم العهد والى جانب الحوض قاعدة عمود عليها مسلة فرعونية طولها ١٥ مترًا وحولها جوادان من رخام يمتطيها فارسان بهيئة حوذيين وقد صنعها الاقدمون بكل دقة وكان اكتشافها سنة ١٧٨٧ بين خرائب حمام الملك قسطنطين

***

حصن صنت انج ٠ — ذكرنا قبلاً انا مررنا بجسر صنت انج ولم نقل شيئاً عن الحصن العظيم القائم في العدوة القصوى منه وهو رفيع العماد يُنظر من اكثر انحاء المدينة مستدير الشكل قطره ٦٤ مترًا وقد شاده الملك (هدر يانس) ليدفن فيه تحدياً باغسطس قيصر الذي بنى لنفسه قبرًا في (شيشلاً ميتلاً) وفي محال غيرها ٠ ولم ينجز بناء هذا الحصن الا سنة ١٣٩ في ايام انطونينس وكان مصفحاً بالرخام وعلى افريزه تماثيل شتى

والظاهر انه كان فوق الحصن الموجود الان برجٌ اصغر منه على شكله وفي اقصاه تمثال هدر يانس انما عفا اثر البرج الصغير ولم يبقَ من تمثال الملك سوى هامته المعروفة في دار التحف الواتيكانية في الغرفة المستديرة (راجع وجه ٦٣)

ودُفن في هذا الحصن سائر الملوك الرومانيين من هدر يانس الى (كراكلاً) ولما حاصر القوطيون مدينة رومية احاطوا بالحصن وكان منيعاً دحرج الروم على الاعداء التماثيل العظيمة التي كانت على افريزه فقتلت منهم عدداً عديدًا

ثم نصبت الاحبار على قمته تمثال مار ميخائيل رئيس الملائكة من نحاس اسود ذكرًا للمعجزة التي ظهرت على يد مار غريغوريوس الكبير ايام الطاعون سنة ٥٩٠ ومن ذلك الحصن كانت تطلق المدافع ايام الاعياد على عهد الاحبار ٠ وفي هذه الايام ايضاً يُطلق المدفع مرةً في النهار ايذاناً بوقت الظهر

***

القرويات خارج المدينة وجسر (موله) ٠ — ركبت الترامواي مع الموسيو ريشي وتوجهنا من باب ساحة الشعب الى خارج المدينة بقصد التنزه وتفريج الهم فنزلنا عند جسر على نهر تيبر قديم العهد اسمه (موله) او (ميلنيوس) حيث انتصر

الملك قسطنطين على زميله مكزنس · ذلك ان قسطنطين عندما هاجم عساكر عدوه وجعت القهقرى الى الجسر المذكور وكان ضيقاً وغير متين فتحطم وسقط في النهر بقسمٍ عظيم من الجند وكان بينهم الملك مكزنس فغرق وتبدد شمل جيشه ودخل قسطنطين رومية ظافرًا منصورًا · وعلى هذا الجسر اوقف شيشرون شركاه كاتيلينا واليه كان يتردد نيرون ليلاً وهو متنكر بصحبه بعض العبيد المتوفين فكان يرمي بالناس الى الخنادق ويحضهم على المقاتلة والمصارعة ويشتم النساء اللاتي يلقاهن ويضرُب ويُضرب وكثيرًا ما رجع الى منزله مهشماً من وقع العصي

وهناك شاهدنا القرويات الرومانيات على مثل سكان القرى في جبال لبنان يمشينَ حفاة الارجل ويحملنَ اكوز الماء على رؤوسهن ومثلهنَّ الرجال و يشهد زيهم بفقرهم وقلة اسباب عيشهم

❁

المركبة الهوائية · ــ عند غروب الشمس تطلعنا الى الجو فاذا امامنا منطادٌ اومركبة هوائية يركبها جماعة من العساكر الايتالية و يتبعهم غيرهم من الجند بعجلات ليمسكوا الحبال التي يدليها اليهم ركاب المنطاد فيجرونها من مكان الى اخر لان اصحابها لا يستطيعون السير كما يشتهون وكان ذلك للتدرب والاختبار · فكانت ترتفع المركبة تارةً الى علو ٢٠٠ او ٣٠٠ متر عن سطح الارض وطورًا تدنو الحضيض بواسطة الحبال التي تجرّها العساكر

⁂ يوم الجمعة في ١٤ من آب ⁂

كنيسة القديسة بودنسيانا · ــ بالاتين ومنازل القياصرة · ــ (قصر تيباريوس الملك · دار ليفيا · هيكل ام الالهة او الام العظيمة · دار اغسطس قيصر · قصر سبتيم سويرُس وملعبه) · كنيسة مار اقليميس · ــ كنيسة القديسين يوحنا و بولس

كنيسة القديسة بودنسيانا · ــ انطلقت الى هذه الكنيسة صباحاً وهي على

ما يقال اقدم كنائس رومية لا تُعرف حقيقة تاريخ بنائها ونزلت اليها بدرج

جاء في بعض الاخبار ان بطرس الرسول حينما وصل الى رومية سنة ٤٢ للمسيح عرّج على حيّ اليهود الكائن عند تلة (اوانتينو) ونزل في بيت تسكنه ابنتان اسرائيليتان (اكيلا وابرسكا) فتنصرت ابرسكا وماتت قديسة وبني كنيسة باسمها . وكان لتلك العيلة الاسرائيلية معرفة باحد اعضاء مجلس الشيوخ اسمه (بودنس) يقيم عند تلة (اسكيلينس) فتعرّف الى مار بولس فانزله مدةً عنده وكان له ابنتان (بودنسيانا وابركسيدا) فاعتنق جميعهم الدين المسيحي وكانوا يعتنون بدفن اجساد الشهداء في ارض منزلهم . و بنى المسيحيون الاولون كنيستين الواحدة باسم القديسة بودنسيانا وهي التي دخلتها اليوم والثانية باسم اختها ابركسيدا في شارع لا يزال يدعى باسمها وهي لا تبعد كثيراً عن الاولى

وذُكر ان البابا (سيرياكو) رمّم كنيسة القديسة بودنسيانا سنة ٣٨٤ ـ ٣٩٨ ثم اصلحت مرات كثيرة بعد ذلك ولم تزل صورة المسيح مع الرسل والقديستين بودنسيانا وابركسيدا المرصعة بالفسيفساء حسبما نقشت في القرن الرابع في صدر المذبح الكبير . اما الرسوم التي فوق باب الكنيسة من الخارج فهي مستحدثة

وفي داخلها قبور بعض الشهداء الذين احتملوا العذاب في ايام الشدة وكذلك جسد العذراء بودنسيانا تحت المذبح الكبير وفيها ايضاً في الجهة الشمالية بئر كان يلقى فيه اجساد الشهداء وعظامهم

و بالحقيقة ان هذه الكنيسة تدعو الانسان الى التخشع وتلقي في نفسه الهيبة والوقار

***

بالاتين ومنازل القياصرة . ـ بالاتين او بالاتينو اسم الجبل الذي توطنه الاقدمون برومية يبلغ قطره نحو ١٨٠٠ متر وقد بنى فيه ملوك الروم منازلهم وقصورهم وهياكلهم قبل تأسيس الجمهورية وفيه كان منزل الخطيب المصقع (شيشرون) وخصمه (كلاوديوس) . وهو مسقط رأس اغسطس قيصر واليه نقل مسكنه بعد انتصاره في موقعة (اكسيوم) . ثم قام تيباريوس و بنى قصرا في جهته الشمالية اما

نيرون فلم يقف عند حد سلفائه من البذخ والاسراف ولا ارتضى بالابنية التي وجدها فيه بل امر البنائين ان يشيدوا له مسكناً يكون لائقاً بمقامه وذلك بعد حدوث الحريق الهائل الذي دام عشرة ايام في رومية وخرّب اكثر منازلها ومساكنها فاختار المهندسون محلاً واسعاً بين جبلي (بالاتين واسكيلينس) متصلاً (بكولوسايوم) وبنوا لنيرون قصرًا لا بل قصورًا منيعة تكتنفها الحدائق والبساتين والاشجار وفي وسطها بحيرةٌ عظيمة احاطوها بغرفٍ وبناياتٍ جميلة وزينوا قصر الملك زينةً فاخرة ورصعوا حيطانه بالحجارة الكريمة ونصبوا في قاعات الطعام موائد من العاج وانشأوا فيها بُرك ماء ذات توافير تنفجر منها اصناف العطور والروائح الزكية . هذا ما عدا الحمامات التي استجلبوا لها ماء البحر وبعض المياه المعدنية . فما من متاعٍ ثمين ولا من عرضٍ نفيس الا وحملوه الى تلك القصور

ولما فرغ المهندسون من تلك البنايات شكرهم نيرون وقال لهم : (اليوم وجدت مسكنًا اقدر ان ابيت فيه) وسمي ذلك المكان بالقصر الذهبي

وسكن بالاتين آل فلابيوس من ملوك الروم وزينوا ابنية اغسطس وانشأ فيه سبتيم سويرُس بنايات عظيمة سنأتي على ذكرها . وهدمت تلك الصروح وطمر اثرها ولم يظهر سوى عام ١٥٣٦ ــ ١٥٥٠ لما شرع الايتاليون في تمهيد حديقة (فرنز) على عهد البابا بولس الثالث

ثم ابتاعت دولة ايتاليا جميع البساتين والمزارع في جبل بالاتين وباشرت حفر تلك الاراضي حفرًا اصوليًا فانكشف جانب عظيم من ابنية الروم وقصورهم . فدخلنا تلك البقعة بعد اداء المرتب وتجولنا بين الخرائب القديمة التي نذكر لك اشهرها وهي :

١ً قصر تيباريوس الملك . ــ وهو مغطى بحديقة مزروعة بشجر البلوط وسكن هذا القصر بعده كاليغولا ولما كان هذا الملك يعتد ذاته كالهٍ على الارض بنى جسرًا عظيمًا يمتد من منزله الى ساحة الشعب لكي يتيسر له الذهاب مرارًا الى هيكل يوبيتر . وكان يجلس بجانب الاله ليعظمه الناس . وقيل انه غضب يومًا على يوبيتر زعمًا من انه لا يكرمه فهمس في اذنه قائلاً : لا بدّ من هلاك واحدٍ منا .

ولكن هدأ روعه فيا بعد وقال : قد التمس مني يو بيتر الغفران فعفوت عنه [1] . ومن نصر تيباريوس نزلنا على درج الى

٢ دار ليفيا . ـ امرأة اغسطس قيصر . وقد سكنته الملكة بعد موت زوجها كثيبة حزينة لبغض ابنها لها وقد بقي من هذه الدار الطبقة السفلى كلها وهي تشتمل على عرصة حولها اربع غرف منقوشة وعلى جدرانها رسوم بديعة من اجمل ما اكتشفه المعلمون في رومية من هذه الاثار . منها صورة (ايو) السجينة عند (ارغس) وقد جاء (هرمس) لانقاذها . فلا شيء اجمل والطف من هيئة تلك الصبية الحزينة فان عينيها تنظران الى السماء وافرط حزنها وارتباكها لم تترد الا بلباس خفيف على صدرها وجاء هرمس من ورائها واختبأ عند صخرة لئلا يشاهده ارغس . واما هذا فتراه يراقب اسيرته بكل حرص كانه مستعد للوثوب على من يحاول اختطافها

وفي رسم آخر راينا امرأة خارجة من بيتها تصحبها فتاة حاملة بيدها صحفة فيها شيء من الطعام المقدس كانهما قاصدتان الهيكل لتقرباه الى الالهة

وشاهدنا رسم اكاليل من زهور بديعة الصنعة والالوان لم تزل برونقها وزهائها وان تكن نقشت من الفي جيل

٣ هيكل ام الالهة او الام المعظمة . ـ بناه الروم بالقرب من دار ليفيا سنة ١٩١ قبل المسيح وحفظوا فيه تمثال (سيبلا) الذي ارسله اليهم ملك (برغامس) ليستميلهم و ينال عونهم فاستقبله سكان رومية باحتفاء عظيم وصاروا يعظمون هذه الالهة كما كان يجلها اليونانيون

٤ دار اغسطس قيصر . ـ هي على مسافة غير بعيدة من دار ليفيا والمرجح انها اصبحت فيا بعد مسكناً للملك دومبسيانس الذي وسعها وزينها وجعلها من افخر القصور وكان لها واجهة ذات ثلاثة ابواب عظيمة جداً يعلوها رواق قائم على

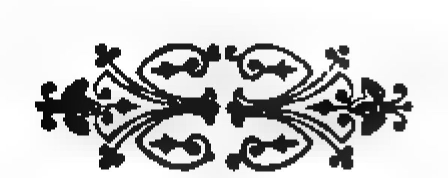
---

(١) حكي ان هذا الملك اكره الناس على ان يدعوه : ربنا ومولانا

ولبثنا ساعات طويلة نطوف في تلك المعاهد الملكية دهشين من عظمة اثارها التي تدل على بدخ القياصرة و بذلهم الاموال الوافرة حينما كانت سطوتهم زاهية وعزهم باهرًا . وتأملنا باحوال الدنيا وغرورها وكيف انتسفت الايـام اولئك الملوك العظام فاضحوا رممًا بالية ولم يبقَ من اثار عظمتهم سوى بعض الحجارة والاعمدة التي تذكرنا باخبارهم واباطيل الدنيا

ولا تزال الدولة الايتالية مواصلة الحفر حول بالاتين علها تكتشف اثارًا جديدة

واختم كلامي عن بنايات رومية بذكر كنيستين شهيرتين اثارهما قديمة الواحدة باسم : القديس اقليميس . ـ وهو الحبر الثالث الذي خلف مار بطرس السليق (سنة ٩١ ـ ١٠٠) على كرسي رومية وقد جاء بذكر هذه الكنيسة القديس ايرونيمس سنة ٣٩٢ ووجد فيها المدققون دعائم بناية من ايام مشيخة الروم ثم اخرى من عهد القياصرة وعليها بُنيت الكنيسة وهي تقسم الآن الى قسمين عالٍ ودانٍ وكلاهما يحوي رسومًا وكتابات قديمة العهد متسلسلة من القرن الخامس الى القرن الثاني عشر وكثيرٌ منها منقوش بالفسيفساء والكنيسة الثانية على اسم القديسين يوحنا و بولس ـ وهما اللذان استشهدا في ايام يوليانس العاصي فبنى هذه الكنيسة على اسمها احد اعضاء مجلس الشيوخ (باماخيوس) وذلك سنة ٤٠٠ . ومن الغرائب ان هذه الكنيسة كالتي ذكرناها آنفًا تقسم الى عليا وسفلى فالسفلى لم تزل جدرانها منقوشة برسوم وثنية من عهد الروم وكان التراب قدغطاها اجيالاً فانجاب عنها مؤخرًا (سنة ١٨٨٧) بفضل الراهب الباسيونست (جرمانو) وفيها من الرسوم ما يختلف عن سواها بغرابة شكلها ووضعها وتقادم عهدها



﴿ نظرةٌ ﴾

« في احوال رومية »

كانت رومية قديمًا توصف بالمؤبدة القرار وبعد ان مكثت اجيالاً مبأة ملوك رومية اصبحت مقرّ الاحبار العظام وقاعدة المملكة البابـاوية ثم انتقلت الى الدولة الايتالية سنة ١٨٧١ فجعلتها مبأة ملكها

والحق يقال ان هذه المدينة نالت حظًا وافرًا من العمارة على عهد الدولة الايتالية فانها وسعت نطاقها وخططت لها شوارع جديدة عريضة واقامت فيها الابنية العظيمة كدار الصنائع والفنون الحديثة في شارع (ناسبوناله) وسيأتي ذكرها والبناء الشاهق تذكارًا للملك (وكتور عمانوئيل) وقد اشرنا اليه في محل اخر ثم دار العدلية على ضفة نهر التيبر وستكون اثرًا بديعًا باتساعها وحسن انتظامها

ومع القلب والابدال في الابنية والشوارع والاسواق واختلاف نهج البنائين تحدّيًا بالنهج الجاري في العواصم الاوروبية لا يزال قسمٌ عظيم من المدينة باقيًا على هيئته كما كان في ايام حكم البابا ففي ازقة كثيرة رأينا تماثيل العذراء او ايقوناتها معروضة خارج البيوت وامامها مصابيح تسرج ليلاً ونهارًا وفي دكاكين كثيرة من باعة البقول والخبز والخمر لا زال صورة العذراء داخل حوانيتهم والقنديل يشعل امامها اكرامًا لها

وازداد سكان المدينة حتى بلغوا اليوم اربعمائة وخمسين الفًا وحكومتها ساهرة على نظافة طرقاتها وترتيب شوارعها ومحلاتها العامة وعلى راحة اهلها

اجتزت يومًا باحدى الطرقات المرصوفة بالحجارة وكان بيدي ورقة لا طائل لها فاردت ان القيها الى الارض لكني بقيت متردّدًا اذ لم اجد في الطريق شيئًا من الاقذار والاوساخ

ومناخ رومية معتدل لا يسقط الثلج فيها الا قليلاً ولا يشتد الحرّ في الصيف الا في النهار حتى اذا جنى الليل خفت وطأته وكسرت شوكته

فينام الانسان براحة وكثيرٌ من اهل المدينة يسهرون الليالي في الساحات العمومية فلا يأوون ظلاً دون ان يمسهم اذًى من رطوبة الهواء

ويجري في وسطها نهر (التيبر) وله احد عشر جسراً في المدينة وعرضه في اكثر الاماكن نحو ستين متراً وارتفاعه من ستة الى سبعة امتار · وكانت المراكب تمرّ من تحته حتى البحر على ايام الروم ومتى تكاثرت الامطار فاضت مياهه وعلت اكثر من عشرة امتار

ومعظم البلد قائم على ضفة النهر الشمالية تحدق به سبع تلال او جبال كانت قديمًا موطنًا للروم اما الآن فتحدق به الحدائق والبساتين وقد انشيء بعض البنايات في اطرافها

واذا سار الانسان في شوارعها وطرقاتها قرّت عيناه وانشرح صدره لانه كيفما التفت يبصر امامه المباني الجميلة والكنائس المنيفة والتماثيل المختلفة من رخام او نحاس او خزف وهذه التماثيل موجودة في سائر انحاء المدينة على الاسطحة وعلى القصور وعلى الجسورة وعلى برك الماء وعلى حيطان بعض المنازل وفي الحدائق والبساتين وهي اكثر من ان تحصى

وجرت فيها العجلات الكهربائية (الترامواي) على الطرز الجديد تباعًا سراعًا الواحدة بعد الاخرى حتى لا يضيع الراكب وقته بالانتظار · واجرة الركوب ١٠ سنتيمات (عشرون بارة) اذا كانت المسافة قريبة و١٥ او ٢٠ سنتيماً اذا كانت بعيدة · ولم تزل العجلات التي تجرها الخيل تنقل الركاب الى خارج المدينة بنفقة زهيدة

وراج الركوب على الدرّاجات (الويلوسيبز) حتى ان المشاة يجب عليهم الانتباه يمينًا ويسارًا لئلا تصدمهم ولكن من لا يحسن ركبها اوقفته رجال الشرطة ومنعته عن التجول

وشاهدنا ايضًا العجلات التي تسير بقوة الغاز والكهرباء المعروفة بالاوتوموبيل ولها عجيج وضجيج عند سيرها في الطرقات

وفي المدينة سوقان عظيمان هما اكثر شهرةً من سائر الاسواق وعلى طرفيها المخازن والحوانيت الرحبة لبيع الاعلاق النفيسة · السوق الواحدة تدعى (الكرسو) وهذه تسير فيها اكابر البلدة واصاغرها وتمرّ بها العجلات التي تجرها جياد الخيل

ويركبها الامراء والاميرات وتتبختر في ذلك السوق السيدات المتوشحات بالملابس الناعمة والحلل الفاخرة واشد ما يكون فيها ازدحام الخلق عند انسلاخ الحرّ

وكانت هذه السوق مطروقةً على ايام الحكم البابوي اكثر من هذه الايام لان مصاف الاكليرس من كهنة ورهبان وتلامذة واساتذة المدارس العديدة كانوا يمرون بها للتنزه اما الان فانهم يتحاشونها ولا يقصدونها الا لقضاء حاجاتهم · حكى احد السياح الذي جاء رومية سنة ١٨٦٧ قال انه مرّ ذات يوم بزقاق (الكرسو) واذا بالبابا بيوس التاسع آتٍ اليها على عربة فنزل منها ليجوزها ماشياً فتراكضت الناس حوله كباراً وصغاراً وجثوا امامه ليقبلوا بركته ومنهم من كان يسبقه و يراه و يتبرّك به ثانياً وثالثاً ولاحت على وجه البابا شعائر البشر والفرح لما عاينه من عواطف الحب والخلوص نحو شخصه ولما ركب عربته لينصرف صاحت الجموع ابتهاجاً به

واسم السوق الثانية (فيانا سيوناله) اي الشارع الوطني وقد انتظمت حديثاً وهي اكثر اتساعاً من الاولى ومشهورة بالدار الفخيمة التي شيدها فيها الايتاليون سنة ١٨٨٠ الى ١٨٨٣ وسموها دار الفنون والصنائع المستحدثة ولها واجهة عظيمة عليها تماثيل دقيقة الصنعة و يعرض فيها الصور والمصنوعات الرخامية التي يبتدعها العملون في هذه الفنون

وفي الشارع الوطني المصرف الايتالي وهي بناية فاخرة كان الفروغ من بنائها سنة ١٨٩٤ ويتخلل السوق دساكر واندية يجتمع فيها الناس افواجاً لتناول البيرا والمرطبات

ولاحظنا ان السيدات لا يتمادين في البذخ عند التخطي في ازقة رومية شأن سكان باريس والاستانة وغيرها من العواصم الكبيرة

اما تلامذة المدارس الاكليريكية الذين يترددون بالبسة مختلفة الالوان وتستلفت الابصار فلا يمرّون الان في تينك الشارعين الا نادراً ويراهم غالباً سكان رومية بانحاء الكنائس الكبرى او بالمنتزهات خارج المدينة فيلبس التلامذة الالمانيون والمجر الاحمر والفرنسيس والانكليز الاسود واهل اسكوتلندا الخمري و يتمنطقون بالاحمر والاسبانيون الاسود ويتمنطقون بالازرق وتلامذة بروبغندا بالاسود المبطن

بالاحمر ويتمنطقون بالاحمر وهلمّ جرًّا وتختلف المناظر في رومية بحيث لا تمل العين من النظر اليها

﷼ الساحات ﷼

ومما يزيد المدينة رونقاً وبهجة ويكسبها مزية على سواها من العواصم الاوروبية هو ساحاتها الرحبة في اكثر اطرافها وقد يربي عددها على الخمسين ويسميها الايتاليون (بياسًا) وهي لتفريج كرب سكان المدينة فيجتمعون فيها في اي ساعة كانت من النهار او الليل وهكذا كان يفعل الرومانيون اذ كانوا يتواردون اليها للمباحثة في مصالح الدولة وامورها كما ذكرنا

اما الساحات المشهورة الان ما عدا ساحتي مار بطرس ونافون اللتين وصفناها فهي :

١ً بياسًا كولونا اي ساحة العمود ـ وهي في وسط المدينة موعد الغرباء والوطنيين يجتمع بها ايضاً ارباب التجارة والمالية وفي فصل الصيف تعزف فيها الموسيقى ليلاً والعازفون هم فرقة عسكرية موءلفة من ستين او سبعين نفساً وفي الساحة عمود عالٍ جدًّا انشأه الملك (ماركس اوريليانس) تنويهاً بانتصاره على الامة الجرمانية ونقش عليه صورة المواقع التي فاز فيها بحروبه ونصب على رأسه تمثاله من رخام . ثم سقط التمثال بعد اجيال وبدله البابا (سكتس) الخامس بتمثال مار بولس الرسول من النحاس الاسود وهو لم يزل الى اليوم

وتلقاء تلك الساحة قصرٌ اتخذه الايتاليون منذ افتتاحهم رومية (سنة ١٨٧١) دارًا للندوة وقد بناه المهندس الشهير (ليبرنينس) لآل (ليدوديزي) سنة ١٦٥٠ ثم اكمله (فنتانا) على عهد (اينوشنسيوس) الثاني عشر وهو من القصور الجميلة الفاخرة

٢ً (بياسا وبيدبولو) اي الساحة الشعب . ـ وموقعها عند احد ابواب المدينة في العدوة الشرقية ومنها يتفرّع ثلاثة شوارع عظيمة داخل المدينة وعن

يسارها جبل (بنشيو) الذي تكلمنا عنه[1] وهي مستديرة الشكل وفي وسطها مسلة فرعونية نقلت اليها سنة ١٥٨٧ وقد استجلبها الى رومية اغسطس قيصر بعد موقعة (اكسيوم) وكرّسها للشمس وذلك في السنة العاشرة قبل المسيح . ويقرأ على هذه المسلة بالكتابة الهيروغليفية اسماء الملك « منفتاح » (سنة ١٣٣٦ ق . م .) ورمسس الثالث (سنة ١٢٧٣ ق . م .) وحولها نصب الايتاليون اربعة اسود من الرخام يتدفق الماء العذب من افواهها الى بركة واسعة

وفي الساحة ايضاً بركتان جميلتان الواحدة عليها تماثيل رمزية وهي رومية بين نهرَي (تيبر) و (انيو) والثانية (نبتون) وحوله وحوش بحرية . ثم على اطراف الساحة ثلاث كنائس تعلوها قباب جميلة منها كنيسة العذراء شفيعة الشعب مشهورة بنظامها واشغال الحفر والرخام الموجودة بها وبكونها مبنية في الموضع الذي دُفن فيه الملك نيرون

٣ً بياسا ترتروكا . ـ وفيها بركة ماء من الطف ما صُنع في اشكالها وفي وسطها تماثيل من نحاس اسود تمثل غلماناً يبدون لديك كأنهم يريدون النطق والتكلم وحولها سلاحف واسماك بحرية . انشأ هذه البركة البناء الشهير (لندبني) سنة ١٥٨٥ وكان يظن قبلاً انها صنع رافائيل

ويطول بنا الشرح لو اوردنا تعداد ساحاتها ولما كان اكثرها مزيناً ببرك ماء ذات صناعة نفيسة احببنا ان نذكر لك منها بركة (اكوا فيليشه) اي ماء السعادة بالقرب من قصر بربريني وفيها تمثال موسى النبي نحته (إبراشيانو) (لكنه لم ينجح به كما نجح ميكلانج فقيل انه مات رغماً لما رأى فيه من الخلل) وعلى طرفيه تمثالان يمثلان هرون وجدعون ثم اربعة اسود وكلها من رخام ابيض . وكذلك بركة « تريفي » لا تبعد كثيراً عن شارع (الكرسو) وهي من اجمل بُرك رومية فيها تمثال نبتون كبير الحجم جداً وعن يمينه تمثال آخر رمز الصحة والعافية وعن يساره تمثال رمز الخصب والغزارة . ـ وتسمى ماؤها العذراء

---

(١) راجع صفحة ١٢٥

(Aqua Virgina) لانها مستجلبة اليها من عين ماء تبعد مسافة عشرين كيلومترًا قيل ان فتاة عذراء دلت جنود الرومانيين على تلك العين في اثناء تطلبهم الماء . ثم بنى الملك اغريبا سنة ١٩ ق . م . محرزًا لتلك العين وانشأ لها قنيًا تجري فيها الماء الى داخل رومية . وذهبنا مرارًا الى بركة تريفي فجلسنا على حافتها والماء بين ترقرقٍ وتجعدٍ ينحدر منها كالشلال ويرطب الهواء في ايام الحرّ

التجارة والصناعة

ليست رومية من البلاد المشهورة بتجارتها كسائر المدائن الواقعة على السواحل البحرية واسباب المعيشة فيها قائمة بالاغراب والاجانب الذين يقصدونها غالبًا في فصل الشتاء للطافة هوائها واعتدال بردها و يغتنمون الفرصة لمشاهدة اثارها وطرائفها او لمقابلة قداسة الحبر الاعظم . ولهذا ترى ان محور الاشغال يدور على السلع والاموال اللازمة لنزلها وزوّارها . وفيها سوقان عظيمتان مشحونة مخازنها باقمشة الحرير والصوف التي تنسج في معاملها وبالسلع الدينية المسيحية كالصور وغيرها منها رسوم باليد ومنها فوتوغرافية تمثل الاثار القديمة والحديثة و يباع بها كثيرًا الاغطية السود التي تضطر السيدات الى ان يتنقبن بها بدلاً من (البرانيط) اذا اردنَ المثول لدى الحبر الاعظم او حضور حفلات رسمية في الكنائس الكبرى ووجدنا ايضًا حلى فضية وذهبية منمقة بالفسيفساء يغلب صوغها في مدائن البندقية وفلورنسا وتباع في رومية

ومعلوم ايضًا ان كثيرين من الملوك والامراء وغيرهم من رجال الدول وارباب السياسة يأتون رومية لمصالحهم مع الدولة الايتالية وهو مما يزيد حركة دولاب الاشغال و يوفر اسباب الرزق

ومنذ استيلاء الايتاليين على رومية انشئت نزل وفنادق فخيمة عظيمة بنظامها واتقانها وراحة المعيشة بها وكلها منوّرة بالكهربائية وفيها موائد الطعام رحبة جدًا والخدم والحشم والحمّامات بالماء البارد والسخن واشهرها (غرانت اوتل) و (اوتل

كويريتال) و (اوتل لندرة) و (اوتل بريستل) وكل نزل من هولاء فيه من ثلثمائة الى اربعمائة غرفة

وقد اشتهر الروم فيما سلف بصناعة الحفر ونحت الرخام وقد برّزوا في ذلك على سواهم ولا يزال سكان رومية مكبين على هذه الصناعة ويخرج من معاملهم الفخر التماثيل الرخامية والنحاسية والخزفية

وفيها معامل لدبغ الجلود وغيرها لشغل اوتار الآلات الموسيقية المشهورة بحسنها ومعامل كثيرة غيرها يشتغل بها الوفّ من العملة

وتنخفض حركة المعاملات التجرية في فصل الصيف حتى ان بعض التجار الذين ينطلقون الى القرى او الجبال يقفلون مخازنهم ويلصقون عليها اوراقاً مكتوباً عليها هكذا : افتتاح المحل سيكون في ١٥ او ٣٠ من تشرين الثاني . ــ وكذلك ملك ايتاليا مع وجوه المدينة واشرافها يقصدون الجبال هرباً من القيظ او يسافرون الى نابولي وغيرها من السواحل البحرية للاستحمام واشهر المصايف عندهم (فرسكاتي) و(تيفولي) وقد بنى القياصرة فيهما قصوراً متينة وحدائق غناء . ــ

❋ المأكولات ❋

تكثر الفاكهة في رومية نذكر منها الكرز والتوت الافرنجي والعنب (شبه العنب الزيني) والتفاح والجبس والدراقن وكذلك البقول والخضر كالكومى والبندورة وغيرها ويُعمل فيها الخمر الصافي اللذيذ والغالب في اهلها انهم لا يقدرون ان يشربوا الماء القراح بل يمزجونه بالرحيق وفي ايام الصيف يؤخذ الجمر مع الماء والخمر

واما اسعار اللحوم والخضر والفواكه فهي معتدلة سوى بعض الاصناف التي ضربت عليها المكوس كالسكر والبن مثلاً فان السكر يباع بسعر ثمانية قروش الاقة مع انه في بلادنا يساوي قرشين او ثلاثة وقس على ذلك بعض اصناف المأكولات والمشروبات وهذه المكوس عائد نفعها لتحسين طرقات المدينة . ويقابل هذا الغلاء

رخص الاقمشة اللازمة للجومات وعلى الخصوص الاقمشة التي تنسج في معامل ابنائها

❊ المدارس وخزائن الكتب ❊

لا يخفى عليك شهرة مدارس رومية ولاسيما المدرسة العظيمة المعروفة بالمدرسة الرومانية وفيها يدرس التلامذة العلوم العالية ويتردد اليها كثير من تلامذة بعض المدارس الاكليريكية وكانت قبلاً تحت ادارة الرهبانية اليسوعية • وفي رومية ايضاً (مدرسة الحكمة) للعلوم الفقهية والطب والجراحة والطبيعيات • ثم غيرها للعلوم الجبرية والهندسية • ونضرب الصفح عن ذكر مدرسة بروبغندا الخاصة بمجمع نشر الايمان المقدس التي نبغ فيها فحول العلماء ومدارس للايتام والاطفال ولتعلم الصنائع والفنون وغيرها من كل صنف وطبقة

وتحسب رومية معهداً لاجتناء العلوم والمعارف ومن اراد الانصباب فيها على مطالعة المصاحف الثمينة واقتباس الفوائد الكلية فيرى فيها مضماراً واسعاً يجول فيه كما يشتهي ويريد لان خزائن الكتب فيها اكثر من ان تحصى وقد ذكرنا ما تحويه خزانة الكتب الواتيكانية التي يقدر ان يراجعها من استأذن ذلك واشرنا الى المكتبة الملائكية وفيها مائة الف كتاب ولم نذكر المكتبة الاسكندرية وفيها قدر ذلك ثم خزانة (كزنتنسيس) وفيها مائتا الف مجلد والف مصحف مكتوبة باليد وخزانة وكتور عمانوئيل التي تشتمل على خزانة كتب الاباء اليسوعيين وغيرها من خزائن الرهبانيات وفيها خمسمائة الف كتاب وبعض الالوف من الكتب المسطورة باليد

فلا غرو اذا قلنا ان رومية تعدُّ موطن العلوم المستظرفة والفنون المستطرفة ومعدن التحف والاثار النفيسة

❊ محال الملاهي ❊

اعجبنا في رومية تألف بعض الشركات المسجية لتشخيص الروايات الادبية فيجتمع فيها اهل الفن والادب ويحضرها اصحاب العيال الذين لا يحبون التردد الى الملاعب الغرامية او الخلاعية ويؤذن لاعضاء الاكليرس نفسهم ان يحضروها

واما المراسح العمومية فليست عديدة بالقياس الى عدد سكانها كباقي المدن الاوروبية ولكن بما ان الايتاليين مولعون في فن الموسيقى فيسمع في مراسحها الاصوات الرخيمة والانشاد الجيلة ما يشنف الاذان وينعش الارواح

القسم الثالث

« العود الى قسطنطينية »

◎◎◎

❊ تابع يوم الجمعة في ١٤ من آب ❊

من رومية الى انكونا

من رومية الى انكونا — في هذا النهار عقدت النية على العود الى القسطنطينية وذلك عن طريق انكونا ومنها بحرًا الى (فيومه) من تخوم بلاد النمسا ثم الى (بودابيست) قاعدة المجر ومنها الى القسطنطينية على السكة الحديدية واخذت الجواز من شركة (كوك) رأسًا الى بودابست بقيمة ستين فرنكًا في الدرجة الثانية

واُخبرتُ ان نفقة الجواز من بودابست الى القسطنطينية ثمانون فرنكاً فيكون اجمال النفقة من رومية ١٤٠ فرنكاً

ولما كان في الغد عيد صعود السيدة الى السماء ويوافق وصولي الى انكونا صباح ذلك النهار فاتمكن من الذهاب الى بلدة (لورِت) الصغيرة (وهي لا تبعد عن انكونا سوى ساعتين) المشهورة بمعبد سيدة لورت

فانطلقت مساء الجمعة الى محطة السكة الحديدية وكانت اذ ذاك الساعة العاشرة ليلاً وشيعني ابن عمي مع بعض الاصدقاء . وبينا نحن بانتظار ساعة السفر في تلك المحطة الرحبة سمعنا صفير القطارات الشاردة والواردة في كل عشر او عشرين دقيقة وظهر لنا ان حركة الاسفار لا تنقطع في تلك البلاد حتى انتصاف الليل

وبعد ان شكرت فضل رفاقي ولا سيما المنسيور هبرا الذي غمرني بلطفه وانسه بمدة اقامتي برومية ودعتهم واودعتهم الله وركبت القطار الساعة العاشرة ونصف وقلت بنفسي مخاطباً رومية : اودعتك الله ايتها المدينة العظمى . اراني الله تربتك مرةً ثانية

فان شاء المولى ايها الاخ العزيز سارجع اليها معك . وارجوك ان تخبرني اذا كنت بعد تلاوة الاخبار التي اوردتها اليك لم تشعر بالشوق الى مشاهدة الاثار القديمة والنفائس العظيمة ولا سيما ما حوته رومية من اثار الدين المسيحي المتسلسلة من عهد اجيال الرسل الى هذا اليوم ؟

﴿ يوم السبت في ١٥ من آب ﴾

ـ لورِت ـ

وصلتُ الى انكونا صباحاً نحو الساعة الثامنة واعتضت عن النوم بالسهر لازدحام الركاب في القطار ولشدة وطأة الحرّ وقد غطى الغبار جسمي . فلما نزلتُ من القطار دخلت مكاناً معدّاً للغسل وتنظيف الاثواب فغسلت يديّ ووجهي ودفعت

المرتب على ذلك ستين سنتيماً وكان قد بقي بيني وبين لورت مسافة ساعتين على القطـار

وبعد ان استرحت نحو نصف ساعة جاء القطار المعين لنقلنا الى البلدة المذكورة وفيه خلق كثير من انكونا ففزت بعد شق النفس بموضع فيه مع ان القطار كان موءلفاً من ثلاثين عجلة وسرنا بطريق فيه اسراب كثيرة (تونلات) وعلى اطراف السكة بساتين ومزارع كثيرة

ولما وصلت الى المحطة ركبت العربة صاعداً الى لورت وكانت في جبل بني المعبد على قمته وكانت مناظر تلك الانحاء تحاكي مناظر جبل لبنان انما جبل لورت اقل ارتفاعاً عن سطح البحر فاسرعت الى الكنيسة المعروفة بكنيسة (المادونا) اي السيدة وهي مبنية اكراماً (للسنتاكازا) اي الحجرة المقدسة التي كانت تسكنها العذراء في مدينة الناصرة

اخبر المحدثون ان هذه الحجرة كانت في ناصرة الجليل مغطاة بمعبد فلما خربت الشراكسة هذا المعبد في القرن الثالث عشر نقلتها الملائكة في اليوم الثاني والعشرين من ايار سنة ١٢٩١ من تلك المدينة الى بلاد دلماسيا وفي ٩ من كانون الاول سنة ١٢٩٤ ارتفعت الى الجو فوق بحر ادرياتيك وحطت في ثغور ايتاليا ثم نقلت الى اماكن مختلفة الى ان استقرت اخيراً في مكانها الان [1]

اما الكنيسة التي نحن في صددها فقد باشر بناءها المهندس (برامنت) سنة ١٤٦٤ وتمت سنة ١٥١٣ على عهد البابا يوليوس الثاني · وامر بانشاء قبتها (اقليميس) السابع وشيدت واجهتها الجميلة سنة ١٥٨٧ ولها ايضاً قبة جرس رفيعة متقنة الصنعة وابوابها مصفحة بالحديد ومنقوشة بتصاوير ناتئة لابرع الرسامين

ولا تُرى حجرة العذراء ضمن الكنيسة لانها مغطاة ببيتٍ من رخام على شكل قبة محفور عليها نقوش فاخرة ورسوم ظاهرة جميعها من الرخام الناصع البياض يمثل

---

(١) لم اتعرض للبحث عن حقيقة هذه المعجزة بل ذكرتها كما رُويت في الكتب التقليدية

حياة السيدة عليها السلام مثل ولادتها واقترانها بمار يوسف وبشارة الملك لها وزيارتها اليصابات وغير ذلك وهي في الحقيقة من افخر ما ابتدعه الصناع الايتاليون الذين ذاع صيتهم في فن الرسم والنقش

ورأيت في المخدع احد الكهنة لابساً الحلة الكهنوتية.ومستعداً لتقدمة الذبيحة ضمن (الحجرة المقدسة) فطلبت اليه ان يأذن لي بالذهاب بمعيته كخادم القداس فاجاب الى التماسي بطيبة خاطر وسألني من اي البلاد انيت . فاجبته اني من سكان القسطنطينية ومنشأي دمشق الشام فاعجب متذهلاً كيف ان المسيحيين يأتون من المشارق والمغارب لتكريم مريم العذراء وذكرني كلام هذه البتول اذ قالت عند مخاطبتها اليصابات (ستطوبني سائر الاجيال) وبالتالي سائر القبائل والشعوب

ولم يكن ذلك اليوم مختصاً بعيد المعبد المذكور ومع ذلك جاء اليه جمعٌ غفير من ايتاليا وفرنسا وبولونيا وغيرها وعلمنا انه في كل عام يأتي نحو خمسمائة الف لزيارة هذا المعبد

ودخلت (سنتا كازا) من بابٍ صغير وانا برفقة الكاهن فشاهدت حيطان الحجرة كلها من الاجر القديم طولها عشرة امتار في عرض اربعة ونصف وعلوها نحو ستة امتار وفي صدرها مذبح مرتفع وعليه تمثال العذراء موشى بالذهب والحجارة الكريمة وهي لا تسع اكثر من ستين او سبعين شخصاً . ومن ضيق المكان التزم البعض ان يجثوا راكعين على درج المذبح وفي نهاية القداس تناولت القربان المقدس مع كثيرين من الرجال والنساء وصلينا جميعنا طلبة العذراء في نهاية القداس ودامت الادعية في الكنيسة الى الظهر

وبعد تقدمة الشكر للرب المنان لما انعم به عليَّ من المواهب والاحسان خرجت اطلب مطعماً اتناول فيها شيئاً من الطعام . وشاهدت خارج الكنيسة ساحةً رحبة فيها مصاطب كثيرة كالدكاكين تبيع النساء فيها المسابح والصور والصلبان وغيرها وبعض اقمشة منسوجة في تلك الاطراف ولم تزل نساء لورت على الزي القديم يلبسنَ الحلق الكبير وعلى رؤوسهنَّ المناديل وهنَّ يتعاطينَ البيع والشراء في تلك القرية التي لا يزيد سكانها عن الالف وخمسمائة نسمة واما الرجال فيمارسون فلاحة الارض

والزراعة والصناعة

فدخلت احد الفنادق واكلت المكروني اللذيذة وغيره من الطعام مع شيء من الفاكهة وشربت الرحيق الصافي وبعد الغداء انصرفت من لورت راجعاً الى محطة السكة الحديدية وقبل الوصول اليها رايت في منتصف الطريق غيضة ظليلة فجلست في ظلها انتسم الهواء العليل في تلك البرية . ثم نهضت ومشيت الهوينا الى المحطة راجعاً الى انكونا ومنها اركب الباخرة لاجتياز بحر ادرياتيك

ولم يتيسر لي التجول في مدينة انكونا التي يبلغ عدد سكانها نحو خمسين الفاً ومررت بطرقاتها متأملاً ابنيتها الجميلة وكانت الجموع تتنزه افواجاً في شوارعها وازقتها لانه كان يوم عيد . وقد بني في هذه المدينة قبة نصر للملك ترايانس لم تزل اثارها واضحة حتى الآن

ولما قدمت الى البحر كانت الباخرة راسية عند الرصيف فتخطيت اليها واذا هي سفينة صغيرة لا يبحر عليها الا السياح والمسافرون من انكونا الى فيومه في الدرجة الاولى وذلك ثلاث مرات في الاسبوع وقضيت تلك الليلة على ظهر السفينة اتحدث مع قوم من ركبها وكان النسيم بليلاً فوصلت الى فيومه عند الفجر

✵ يوم الاحد في ١٦ من آب ✵

من فيومه الى بودابست

رست السفينة في مينا فيومه صباحاً باكراً ونزلت الى البر فاذا على الرصيف عجلتان متصلتان بآلة بخارية ارسلتها شركة السكة الحديدية لقبول الركاب الذين جاءوا من انكونا و يرغبون في ان يسافروا على القطار فوضعت امتعتي في احد العجلات ولم يعترضنا احد لفتح صناديقنا مع اننا انتقلنا من البلاد الايتالية الى المملكة النمسلوية و بعد مرور نصف ساعة سار بنا القطار الصغير الى المحطة الكبيرة وذهلت من هذا الترتيب العجيب الذي فيه راحة الركاب

ومدينة فيومه من مقاطعة (سربوكرواسيا) محاطة بالجبال وعلى سواحلها البحرية بيوت جميلة وفيها المزارع والبساتين وتزين ابنيتها التماثيل الرخامية كسائر البلاد الايتالية وهذه البلدة مشهورة بمعامل الورق ومعامل للادوات البحرية وفيها جمعية للبحث في شوءون البحرية ايضاً ولا يزيد عدد سكان الحاضرة مع ضواحيها عن الثلاثين الف نفس

ولما آن اوان السفر تهيأت للتطلع من نافذة المركبة لان طريقنا من فيومه الى فينا تخترق جبالاً ووديانا فاجتزناها وكانت مكسوة بالاعشاب والاشجار الغضة ولما ارتفعنا عن سطح البحر نحو ثلاثمائة متر راق لنا منظر البحر الادرياتيكي يتخلله جزائر كثيرة النضار وقطعنا احراشاً وغابات متعددة فيها السواقي والانهار الكثيرة وحسبنا نفسنا كاننا في حديقة مزروعة بالزهور تفوح منها الروائح العطرية وكانت حقيقةً مناظر طبيعية تدهش الابصار وتجلي الكرب عن القلوب

ولما وصلنا الى منتصف الطريق وكانت الساعة الثانية بعد الظهر وقفنا برهةً عند مدينة اغرام ويسمونها (زغراب) وهي عاصمة بلاد كرواسيا فيها البنايات الجميلة يختلف وضعها وترتيب بيوتها عن سواها من البلاد الاوروبية و يشقها نهر (ساو) وفيها قصر عظيم معروف بقصر (بانس) وكنيسة كاندرائية بنيت في القرن الخامس عشر . ويقال ان حديقتها العمومية جميلة الموقع وفي اغرام ايضاً دار تحف ومدرسة كلية وجمعية علمية مع ان سكانها لا يزيدون عن الاربعين الف نسمة

ومكثنا في القطار نحو ثلاث عشر ساعة بلا انقطاع وقبل دخولنا بودابست شاهدنا نهر الطونه ذات المياه الغزيرة وعلى عدوتيه مصابيح كهربائية تسطع انوارها فكانت المياه تتلألأ كالزبرجد ومحطة بودابست فسيحة الارجاء تضاء بالكهربائية فاستقبلنا احد مأموري الجمرك ودلنا على الطريق ونادى احد الحوذيين فوضع امتعتنا في العربة وسأ لنا اين تنزلون فقلنا في نزل « فاهرلو » (باللغة المجرية : الحصان الابيض) بشارع (كرابزي اوت) وهكذا لم يتعرض لنا احدٌ ولا مأمور

وكنت في طريقي قد آلفت شاباً قادماً من تريستا لقضاء بعض المصالح في بودابست وهو يعرف اللغة الالمانية ويتكلم بالفرنساوية ولما كان سكان بودابست لا يتكلمون الا بالمجرية او الالمانية اضطرني الحال الى التزام صحبة هذا الشاب

ليكون لي مساعداً ونزلنا سويةً في المنزل الذي ذكرته آنفاً

وكان الجوع اخذ مني كل مأخذ فاسرعت الى غرفة الطعام واكلت الاكلة المجرية المشهورة وهي الفليفلة المحشوة باللحم والبهارات وشربت البيرا وهو مشروب البلاد الالمانية والمجرية خلافاً لبلاد ايتاليا حيث يشربون الخمر . اما الخبز الذي اكلناه في بودابست فهو لذيذ للغاية لا مثيل له

وبعد العشاء تجولت مع رفيقي في شارع كرابزي اوت ودخلنا مجتمعاً فيه تضرب الآلات الموسيقية انما اخذني النعاس من التعب ورجعت الى المنزل لاستريح تلك الليلة من مشقة السفر

يوم الاثنين في ١٧ من آب

بودابست

قضيت صباح هذا النهار بالتجول في بودابست ورايتها من المدن الجميلة التي يمكن عدها بمصاف اجمل العواصم الاوروبية وكانت قبلاً مقسومة الى مدينتين (بست) و(بودا) ففي سنة ١٨٧٣ انضمتا الى مدينة واحدة دعيت قاعدة المجر وبلغ الآن سكانها نحو خمسمائة الف نفسٍ منهم سبعون او ثمانون الفاً من الاسرائيليين

بعد ان كانت مدينة (بست) مشهورةً على ايام الرومانيين وفي القرون الوسطى اخذت في الانحطاط ولا سيما في القرن السادس عشر والسابع عشر بسبب ما لاقته من الحروب ولم تسترجع رونقها القديم الا منذ مائة وخمسين سنة فراجت فيها سوق التجارة وخصوصاً تجارة الحبوب وتأسس فيها جمعية علمية ومحافل ادبية ودور تحف نفيسة

وانطلقت الى جهة نهر الطونه وسرت عند ضفته فشاهدت الجسورة الشاهقة الجميلة منها جسرٌ بني جديداً له قناطر مرتفعة وفي هذا النهر مراكب بخارية تنقل سكان المدينة الى جهة بودا وضواحي المدينة واعجبتني جداً تلك البنايات القائمة على

عدوتي الطونة ولا سيما على العدوة اليمنى حيث الطريق فيها عريضة ومرصوفة بالحجارة النقية وعلى اطرافها الاشجار وهذه الابنية تمتد على مسافة ساعة من الزمان على خط مستقيم فمنها مخازن ومنها نزل عظيمة اخصها نزل (هنغاريا) ونزل (اوروبا) ونزل (كونتيننتال) ونزل (انكلترة) وغيرها كثيرة ومنها بنايات للبلدية وابنية عمومية وعند مدخل كل منها صفوف اشجار وحدائق جميلة وبين الابنية ساحات منصوب فيها تماثيل بعض الرجال العظام منها

(ساحة فرنسيس يوسف) وفيها تمثال الكونت زيشيني (١٨٦٠) من النحاس الاسود ووراء تلك الساحة محفل جمعية العلماء وقصر البرنس كوبرج ولا يبعد عن هذه الاماكن محفل التجارة وتمثال (دبك) المنصوب سنة ١٨٧٦ ثم

(ساحة بيتوفي) (Petöfi) وفيها تمثال الشاعر بيتوفي ١٨٤٩ بالقرب من نزل هنغاريا و بالقرب منها نزلان (اوتل) عظيمان وهما منزل شركة الضمانة المجرية ومنزل (غرانت اوتل هنغاريا)

ودخلت محفل جمعية العلماء الذي بُني سنة ١٨٦٢ الى ١٨٦٤ بمناظرة المهندس ستولير. ففيه رواق جميل جداً قائم على اعمدة مختلفة الالوان ورايت النادي الذي يجتمع فيه العلماء فاذا هو مزين برسوم ملونة بديعة للعلاّمة (ليجتي) ثم صعدت الى الطبقة الثانية وفيها قاعة فسيحة للحفلات والاعياد وفيها نوع من الايوان يدعمه ٢٤ عموداً حمراء اللون وعلى حيطان القاعة رسوم جميلة — وفي هذا المحفل دار تحف للصور ثمينة جداً وكانت هذه الصور قبلاً ملكاً لاسترهازي فاشترتها الحكومة المجرية منه بمبلغ قدره مليون وثلثمائة الف فيوريني وتتألف من ٨٠٠ رسم كبير. الخمسون منها للمعلمين الاسبانيين ومنها بعض صور من قلم موريلو ومن قلم روبنس وفيها خمسون الف صورة صغيرة فتجولت في تلك الغرف وتفرست في تلك الرسوم البديعة التي يمثل معظمها مواضيع دينية من العهد القديم والجديد

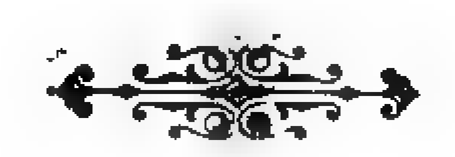
وانطلقت من هذه الدار الجميلة الى جهة اخرى من المدينة فشاهدت بناية الجمرك العظيمة التي هي على ضفة الطونة ومنها ذهبت الى سوق الخضر والبقول واللحوم والاسماك و يا لها من سوق جمعت بين السعة والمحاسن وانواع الترتيب والنظام مما لم نره في اكبر المدن التي شاهدناها وهي بناية واحدة لها سقف عظيم من زجاج

ذات طبقات متعددة وفيها الباعة مئات رجالاً ونساء يبيعون جميع اصناف اللحوم والخضر والبقول والارز والسكر ومن ضمنه (لابوراتوار) اي مختبر خاص طبي لفحص اللحوم والاسماك وللنظر في صحيحها وفاسدها حتى اني شاهدت الاسماك حية في بيوت من زجاج فطفت ذلك السوق طولاً وعرضاً ودُهشت من نظامها ونظافة طرقاتها وترتيب محالها

ثم انصرفت من السوق واتيت دار التحف الوطنية التي تفتح ابوابها مجاناً مرة في الاسبوع مناوبة اي لكل قسم من اقسامها يوم مخصوص وكان ذلك النهار معيناً لدار الحيوانات المصبرة والمعادن المتجانسة فدخلتها ودرت قاعاتها وغرفها المرتبة بغاية النظام و يقال انها اغنى دور اوروبا في كثرة الاجناس التي تشتمل عليها

و بالجملة اقول ان بودابست باريس صغيرة لا بل تمتاز عنها في نوع بناياتها وهيئة اسواقها ثم وجدت ان قوة الكهرباء التي يجري عليها الترامواي غير منظورة خلافاً لما هو جار في رومية ونابولي حيث الاسلاك فوق الازقة اشبه باسلاك التلغراف اما في بودابست فهي تحت الارض وفيها المحال الفسيحة للقهوة وغيرها مزينة ومزخرفة منها نادٍ فيه نحو ثلاثين او اربعين (بيلياردو)

ولما حان اوان السفر اي بعد الظهر بساعتين ذهبت الى المحطة الكبيرة التي اسمها محطة « بو يلا اودوار » وانتظرت عشرين دقيقة في قاعة رحبة الى ان يصل القطار الذي اركبه وكان مأمور السكة واقفاً على باب ردهة القطارات فيفتحه حين اللزوم وكان كل دقيقتين او ثلاثة يحضر قطار و يسافر غيره فينادي البواب بصوت جهير باسماء البلاد المزمع ان يعرج ذلك القطار عليها فيسرع الركاب و يدخلون الردهة التي ذكرتها وفي برهة العشرين دقيقة مر نحو عشرة قطارات قبل ان يشير الى القطار المتوجه الى قسطنطينية . فتأمل كم هي عظيمة حركة الانتقال والاسفار في تلك الديار



❋ يوم الاربعا في ١٩ آب ❋

الوصول الى القسطنطينية

وصلتُ الى بلغراد عاصمة السرب الساعة العاشرة افرنجية مساء الاثنين وفي اليوم التالي قطعتُ بلاد بلغاريا وفيها وديان وجبال كثيرة واين من منظر البلاد الايتالية او المجرية و بلاد بلغاريا فان جبالها ناشفة وارضها قاحلة · ومررتُ بادرنة مساء الثلاثا الساعة العاشرة افرنجية وفي الغد باكرًا جدًا اي يوم الاربعا قابلتُ ضواحي القسطنطينية واولها «كوجك جكمجه» ثم «سنستفانو» ثم «مقري كوي» الذى انا ساكن فيها وهذه القرى الثلاث هي خارج المدينة ولما قربتُ من «يدي قوله» اي الابراج السبعة تفرستُ من جديد بالاسوار القديمة المبنية على عهد الملك تاودوسيوس والباب الذهبي المقفل من ايام الفتح الاسلامي وكان ملوك القسطنطينية من عهد الملك المذكور الى القرن الرابع عشر يدخلونه بالابهة والعظمة حين رجوعهم من الحروب ظافرين واجتزت يدي كوله وهي على كتف الاسوار من داخل المدينة وكان فيها قديمًا دير مار يوحنا ستودبوس الشهير وقد جمع يومًا في قلاليه نحو سبعمائة راهب وانتظم بسلك رهبانيته ملوك وامراء نزلوا عن كراسيهم وزهدوا في الدنيا ولم يبقَ من اثر ذلك الدير سوى الكنيسة المعروفة باسم مار يوحنا وقد بُنيت في القرن الرابع والان هي جامع يُدعى «ميرآخور» هُدم قسمٌ منه في الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٩٤ والى الآن لم يترمم · ومررنا على ساحل بحر مرمرا بقرى «بساماتيا» ثم «بني قبو» ثم «قوم قبو» واخيرًا محطة السركجي وكانت اذ ذاك الساعة السابعة صباحًا ولم اشعر في الطريق ادنى تخديش ولا انزعاج وسررتُ سرورًا ما عليه من مزيد شاكرًا ربي لمقابلتي الاهل والاحباب بالصحة والسلامة بعد غياب سبعة وعشرين يومًا كاملاً



فهرست

﴿ كتاب انفس الاثار في اشهر الامصار ﴾

❋ القسم الثاني ❋

في رومية العظمى وما فيها من النفائس والعجائب وذكر انتخاب البابا بيوس العاشر

❋ يوم الخميس في ٣٠ من تموز ❋

❋ يوم الجمعة في ٣١ من تموز ❋

❋ تابع النهار المذكور ❋

❋ يوم السبت في ١ من آب ❋

﴿ يوم الاحد في ٢ من آب ﴾

﴿ يوم الاثنين في ٣ من آب ﴾

﴿ يوم الثلاثا في ٤ من آب ﴾

﴿ تابع اليوم المذكور ﴾

﴿ يوم الاربعا في ٥ من اب ﴾

صفحة

صفحة

﴿ القسم الثالث ﴾

« العود الى قسطنطينية »